الموجز

في العقيدة السلفية

سيف النصر علي عيسى

تقديم

فضيلة الشيخ

محمد عيد العباسي

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٩٥/٧١٣١
الترقيم الدولي ISBM – 55 – 55671
دولي:٩٧٧

تقديم بقلم
فضيلة الشيخ

محمد عيد العباسي

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على نبيه المصطفى، وآله وأصحابه الشرفاء الأوفياء.

فيطيب لي أن أقدم لهذا الكتاب القيم لأخي الفاضل أبي حسام الدين سيف النصر علي عيسى . حفظه الله تعالى .، فقد طالعته وقرأته بتمامه، فكان يزداد إعجابي به وتقديري لمحتواه كلما مضيت فيه فصلاً بعد فصل، ولعمر الله إن المؤلف قد أحسن فيه وأجاد، وأتقن فيه وأفاد، إذ أوضح العقيدة السلفية وإيمان الفرقة المنصورة الناجية؛ باختصار شاف واف، غير مخل ولا ممل، ودل على اطلاع واسع في أمور الاعتقاد، ووفق أيما توفيق، فجزاه الله تعالى خيرًا، وبارك فيه، وأكثر من أمثاله، وأرجو الله أن ينفع به إخواننا المسلمين، وأن يثبتنا جميعًا من فضله إنه جواد كريم.

ومما امتاز به هذا الكتاب أنه أيَّد غالب الآراء بأدلتها الشرعية الصحيحة من الكتاب والسنة وآثار السلف، كما رجع إلى أقوال الأئمة الأعلام، فاقتبس بعضها، وزان جِيد الكتاب بقلائد من دررها، ووضح المسائل بتقسيمات

وتفريعات حسنة، وعرض آراء الفرق الضالة باختصار وأمانة، فزاد في الإيضاح والبيان من باب قول الشاعر: وبضدها تتميز الأشياء.

فجاء الكتاب بهذا كله قرة عين المؤمنين، وشوكة في حلوق المبتدعين، فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

ولا يخفى أن موضوع العقيدة هو أساس الأسس، وأصل الأصول، فهي التي تحدد نظرة الإنسان إلى الحياة وخالق الحياة، وما وراء الحياة، والإنسان والكون والوجود، وهي بالتالي التي توجه السلوك والأعمال، وهي التي يتوقف عليها مصير الإنسان في الدنيا والآخرة، ولذلك كانت موضع اهتمام الأنبياء والمرسلين، ومحل عناية المصلحين، فإذا صلحت صلح كل شيء، وإذا فسدت فسد كل شيء، وكل إصلاح من غير طريقها فهو عبث ضائع، وسراب خادع، وسعي خائب، ونحن بدورنا على خطى الأنبياء نسير، وبهديهم نقتفي وطريقتهم نحتذي، فلا غرو أن نركز الاهتمام على بحوث العقيدة، وندندن حولها، راجين من الله تعالى التوفيق والسداد، والأجر والثواب، وصلي الله وسلم وبارك على نبي الهدى والرحمة، وآله وصحبه والحمد لله رب العالمين.

الرياض: في ٢٨ شعبان عام ١٤١٨ هـ

بسم الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثالثة

الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، الأول بلا ابتداء، والآخر بلا انتهاء، والظاهر فليس فوقه شيء، والباطن وليس دون شيء، رب كل شيء ومليكه، ورازق الخلق ومدبر أمورهم، له الأسماء الحسنى، وصفات الكمال ونعوت الجلال ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الشورى: ١١]، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، له القدرة التامة ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[المائدة: ١٢٠]

خلق الخلق لعبادته فلا معبود بحق سواه ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[الذاريات: ٥٦]

وأرسل الرسل ليبينوا للناس ما نزل إليهم، ويقيموا الحجة على خلقه بأنه لا معبود سواه

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾[الأنبياء: ٢٥]

فهو الإله الحق، وما دونه باطل، وأنزل الكتب بين للناس فيها ما يراد منهم، وجعل لكل أمة ﴿شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[المائدة: ٤٨]، وقدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وعلمه سابق ذلك كله، وعلم

أهل الضلال والهدى، وجعل للإنسان حرية واختيارا لفعله ورتب عليه جنة عرضها السماوات والأرض، ونارا وقودها الناس والحجارة، قال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا (٢٩) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا (٣٠) أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا (٣١)﴾[الكهف: ٢٩ - ٣١]

وجعل رسوله محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الهاشمي القرشي آخر الرسل، ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾[الأحزاب: ٤٠]

وجعل أمته آخر الأمم وخير الأمم بما تمسكت به من صحة العقيدة والامتثال للأمر والنهي قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾[آل عمران: ١١٠]

وكان خير أمته هم صحابته الذين رباهم النبي ﷺعلى يديه، فكانوا خير صحب، فدوه بأموالهم وأنفسهم، وآبائهم وأمهاتهم وأبنائهم، فصدقوا ما عاهدوا الله عليه، وقاموا بالمهمة خير قيام قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ

وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[الفتح: ٢٩]

وقال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[التوبة: ١٠٠] فمن سلك طريقا غير طريقهم فقد سلك طريق الشيطان وحزبه، ومن طعن فيهم فقد طعن في دينه وإيمانه رضي الله عنهم ورضوا عنه، فمن لم يرضى بمنهجهم وطريقهم فلا رضي الله عنه.

وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحي ويميت وهو على كل شيء قدير.

وأشهد أن محمد عبده ورسوله خير نبي بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح لأمة وكشف الله به الغمة ومحا به الظلمة وتركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

صل الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

وبعد:

هذه هي الطبعة الثالثة من كتابي (الموجز في العقيدة السلفية) بعد إن نفدت طبعتان منه، برغم ما لاقى من حسد وحقد من أطراف تدعي السلفية والسلفية منهم براء، ولكن هذه سنة الله تعالى في خلقه، فما علينا إلا الصبر والثبات على الحق.

ومما امتاز به هذا الكتاب سلاسة الأسلوب، وقوة الدليل، وبيان العقائد المضادة في أوجز عبارة وأبينها، فلاقى قبولا لدى كل من قرأه سواء عدوا أو حبيبا أو محبا للعلم، فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

ومما امتازت به هذه الطبعة زيادة في البيان، وتوضيحا للفرق الأخرى، وزيادة من أقوال أهل العلم، وأيضا تعديل بعض العبارات مما أشتبهت على البعض وخاصة ممن لا علم لديهم ولكنهم قلدوا بجهلهم أهل الحقد والحسد،

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٠٢)﴾[آل عمران: ١٠٢]

﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً (١)﴾[النساء آية: ١]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً(٧١)﴾[الأحزاب: ٧٠،٧١]

أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

فهذه هي الطبعة الثانية من كتابي " الموجز في العقيدة السلفية " بعد أن لم تظهر طبعته الأولى إلي النور إلا من خلال تصويرها وذلك لما لاقته من قبول لدى الشباب من حيث الترتيب وأسلوب العرض، وهذا كله بفضل ربي سبحانه وتعالى؛ بل ولقد حظيت بثناء بعض الشيوخ الذين قرءوها، وهذه الطبعة عليها مقدمة شيخنا وتلميذ شيخنا؛ ألا وهو الشيخ الفاضل محمد عيد العباسي . حفظه الله . وتلميذ العلامة شيخ الحديث في هذا الزمان محمد ناصر الدين الألباني . رحمه الله . فأضيف إلي بهائها بهاء، وإلي حسنها جمالا، وقد راجعها الشيخ الفاضل وتلميذ شيخنا أيضا ألا وهو الشيخ مشهور حسن سلمان . حفظه الله ..

وقد وقعت في الطبعة الأولى أخطاء كثيرة أخلت بالمعني؛ وذلك لأني لم أباشر الكتابة على " الحاسب الآلي "، وقد أضفت إلى هذه الطبعة إضافات كثيرة ، من نقول لأهل العلم، وعزو المسألة إلى مصادرها في الجملة، وقمت بتعديل بعض الفقرات حتى تتناسب مع عقل القارئ المبتدأ.

هذا ولا أدعي العصمة من الخطأ أو الزلل فإن كنت خالفت شيئًا من عقيدة السلف الصالح فأنا منه برئ، وقد رجعت عنه.

وموضوع العقيدة من أهم ما يهتم به المسلم؛ لأنه يفرق به بين أهل الضلال وأهل الهدى، وقد كان السلف أشد عناية لهذا الجانب حتى لا يؤتى الدين من قبله، فكل من ضل وكفر من الأمم السابقة إنما كان ضلالهم في جانب العقيدة، أما جانب الفقه فإن أغلبه ظني ولم يقع فيه كثير اختلاف، فأول شيء يجب الاهتمام به هو تصحيح العقيدة قبل تصحيح العبادة؛ إذ عبادة بغير عقيدة صحيحة لا تقبل، أما عقيدة مع تقصير في العبادة فلا تخرج المسلم من دائرة الإسلام، ولا تؤخذ العقيدة إلا من الكتاب والسنة وفهم السلف الصالح، ولا يقدم على الكتاب والسنة قول أحد من البشر إذا خالف كائنًا من كان،

ولا أدعي العصمة فيما كتبت؛ ولكني أحب أن أعرف خطأي، وهذا حقي عند كل مسلم، فمن وجد خطأ فأرجو التنبيه، هذا ومن أراد النقد أو التنبيه على شيء بدافع من دوافع حظ النفس فإنني على استعداد للجلوس معه ومناقشة كل ما يراه خطأ في الكتاب؛ أو في أي كتاب من كتبي، فإن كان ما قال صواب فأنا راجع عن خطأي، وإن كنت رؤيته خاطئة فليقبل الصواب، وأحب أن أنبه على أن هذا الكتاب مختصر لمجموعة من كتب العقيدة لدي منها " الإيمان وحقيقته عند السلف " و " العقيدة وأثرها في حياة الفرد والمجتمع " و " القضاء والقدر في عقيدة السلف " وغير ذلك من الكتب التي منَّ الله عليَّ بكتابتها واسأله سبحانه أن ييسر لي إخراجها إلى الناس إنه

على كل شيء قدير، واشكر كل من ساهم في طبع هذا الكتاب من الإخوة الأفاضل فجزاهم الله عن الإسلام خيرا، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وسلم.

سيف النصر على عيسى

بسم الله الرحمن الرحم

مقدمة الطبعة الأولى

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٠٢)﴾[آل عمران: ١٠٢]

﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً (١)﴾[النساء: ١]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً(٧١)﴾[الأحزاب: ٧٠،٧١]

أما بعد.

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

فهذا مختصر لطيف في عقيدة السلف شرعت فيه تسهيلاً للمبتدئين، والدارسين لها؛ حتى يتسنى لهم حفظ بدايات العقيدة وأصولها قبل الانتقال إلى المطولات وما يتفرع عن هذه الأصول من مسائل، وأسأل الله سبحانه التوفيق والسداد، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، وصلي الله على نبينا محمد وعلى آله وسلم.

سيف النصر علي عيسى

طرفا . سمالوط . المنيا

تنبيه :

هذه النسخة قمت بترتيبيها على عجالة لتحويلها بي دي اف للاستفادة منها وليست صالحة للطباعة ، فهي لم تكن على مستوى جيد من التنسيق، وهي مخالفة للمطبوع من حيث أرقام الصفحات وبعض الزيادات فيها، وقد قمنا بالتوسع في الموجز في كتابنا " الوفي في عقيدة أل السنة والجماعة " يسر الله الانتهاء منه وطبعه

الفصل الأول

تعريف العقيدة وأسسها ومصدرها

أولاً: معنى العقيدة:

١. **لغة**[١]: من كلمة (عقد) يقال: عقد الحبل والبيع والعهد: أي وثقه وشدَّه، وعقد اليمين أي أكده. قال تعالى: ﴿وَلَكِن يُؤَاخِذكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ﴾[المائدة: ٨٩].

فهي من الشد والتوثيق والإبرام والتأكيد.

٢ـ اصطلاحًا: هي مجموعة من القضايا، يعقد الإنسان عليها قلبه، جازمًا بصحتها، معتقدًا بثبوتها.

وبعبارة أخرى: الحكم الذي لا يقبل الشك فيه لدى معتقده[٢]

ثانيا: أقسام العقيدة:

من خلال التعريف تنقسم العقيدة إلى قسمين:

القسم الأول: عقيدة صحيحة:

وهي: الحكم الشرعي العلمي الذي لا يتطرق إليه شك.

---

(١) القاموس المحيط للفيروز بادي (ص: ٣٨٣) وانظر أيضا المعجم الوسيط (٢/ ٦١٤)

(٢) المعجم الوسيط (٢/ ٦١٤)

أو التصديق الجازم بكل ما جاء به رسول الله ﷺ من عند ربه جملة وتفصيلاً.

وهي ما كان عليها النبي ﷺ وأصحابه والتابعون لهم بإحسان من أهل القرون المفضلة الأولى، وهي ما تسمى بعقيدة السلف الصالح، أو العقيدة السلفية.

القسم الثاني: عقيدة فاسدة:

وهى كل عقيدة خالفت عقيدة السلف الصالح في قليل أو كثير.

فتشمل عقيدة أهل الكفر والإلحاد من اليهود والنصارى والمجوس والوثنيين وغيرهم من ملل الكفر.

وكذلك عقائد أهل الزيغ والضلال ممن دخلوا في الإسلام أو ولدوا فيه من الجهمية والمعتزلة والخوارج والشيعة والمرجئة والأشاعرة وغيرهم

ثالثا: أسماء العقيدة عند السلف ومن تبعهم

هناك عدة أسماء في هذا العلم[1]:

١- العقيدة: (والاعتقاد والعقائد)، فيقال: عقيدة السلف وعقيدة أهل الأثر ونحوه[2]

(١) أنظر مباحث في العقيدة للدكتور ناصر العقل (ص:١٠، ١١) مع بعض الإضافات

(٢) من ذلك: كتاب عقيدة السلف أصحاب الحديث – للصابوني – توفى: ٤٤٩. وشرح أصول اعتقاد أهل السنة و الجماعة – للالكائي، ت: ٤١٨. والاعتقاد للبيهقي، ت: ٤٥٨.

٢- التوحيد[١]: لأنه يدور على توحيد الله بالألوهية والربوبية والأسماء والصفات، فالتوحيد هو أشرف مباحث علم العقيدة وهو غايتها، فسمي به هذا العلم عند السلف تغليباً.

٣- السنة [٢]: والسنة الطريقة، فأطلق على عقيدة السلف السُّنة لاتباعهم طريقة الرسول ﷺ وأصحابه في ذلك.

وهذا الإطلاق هو السائد في القرون الثلاثة الفاضلة

٤ - أصول الدين[٣]: وأصول الديانة، والأصول هي أركان الإيمان وأركان الإسلام، والمسائل القطعية وما أجمع عليه الأئمة.

٥ - الفقه الأكبر[٤]: وهو يرادف أصول الدين، مقابل الفقه الأصغر وهو الأحكام الاجتهادية.

(١) من ذلك: كتاب التوحيد في الجامع الصحيح - للبخاري- ت: ٢٥٦ وكتاب التوحيد وإثبات صفات الرب، لابن خزيمة، ت: ٣١١. وكتاب اعتقاد التوحيد، لأبي عبدالله محمد بن خفيف، ت: ٣٧١. وكتاب التوحيد، لابن منده، ت:٣٥٩. وكتاب التوحيد للإمام محمد بن عبدالوهاب.

(٢) من ذلك: كتاب السنة، للإمام أحمد، ت:٢٤١. وكتاب السنة، لعبدالله بن أحمد بن حنبل، ت: ٢٩٠. والسنة، للخلال، ت: ٣١١. والسنة، للعسال، ت: ٣٤٩. والسنة، للأشرم، ت: ٢٧٣. والسنة، لأبي داود، ت: ٢٧٥

(٣) من ذلك كتاب الإبانة عن أصول الدين لأبي الحسن الأشعري ت ٣٢٤هـ

(٤) من ذلك: كتاب الفقه الأكبر المنسوب للإمام أبي حنيفة ت ١٥٠هـ

٦ – الشريعة[١]: أي ما شرعه الله ورسوله من سنن الهدي وأعظمها أصول الدين.

٧ – الإيمان[٢]: ويشمل سائر الأمور الاعتقادية، أو تأليف في بعض الأبواب

رابعا: أسس العقيدة:

وهي القواعد الأساسية التي ترتكز عليها العقيدة، وهي كما جاءت في حديث جبريل في الصحيحين عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما سأل جبريل النبي ﷺ عن الإيمان فقال: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»[٣]

فهذه الستة أركان (أسس) هي أركان الإيمان

١ . الإيمان بالله

٢ . الإيمان بالملائكة

٣ . الإيمان بالكتب السماوية

٤ . الإيمان برسل الله

---

(١) من ذلك كتاب الشريعة للإمام الأجري ت ٣٦٠هـ

(٢) من: كتاب لإيمان لأبن أبي شيبة. ت ٢٦٢هـ، والإيمان لأبي عبيد القاسم بن سلام.ت ٢٢٤هـ. الإيمان: للعبدي. ت ٣٩٥هـ، شعب الإيمان للبيهقي. ت ٤٥٨هـ. الإيمان لابن منده ٤٧٠هـ

(٣) رواه مسلم (١/ ٣٦) كتاب الإيمان . باب بيان الإسلام والإيمان والإحسان

٥ . الإيمان باليوم الأخر (يوم القيامة)

٦ . الإيمان بالقدر خيره وشره.

خامسا: مصادر العقيدة

العقيدة الإسلامية تعتمد على الإيمان بالغيب، فكل الأركان الستة غيبية، والغيب لا يثبت إلا بوحي، فمن هنا كانت العقيدة توقيفية مبناها على الوحي، والوحي لا يكون إلا بأمرين:

الأول: كتب الله تعالى

والثاني: ما صح من سنة النبي ﷺ

ثم فهم السلف الصالح لهذين المصدرين.

فالله تبارك وتعالى أرسل رسوله محمد ﷺ في وقت كان الناس يتخبطون في ظلمات من الجهل والوثنية، وكان العرب خبراء بالسحر والكهانة، أهل فصاحة وبلاغة لا يماروا فيها، فأخرجهم من هذه الظلمات إلى نور الإسلام، إلى نور التوحيد، هزم النبي ﷺ كل الشر وحطم كل وسائل الشر، بدلا من أن يتلقى الناس طقوسهم وعبادتهم من خرافيين، وأصحاب منفعة، ووثنيين؛ تلقوها من رسول خالق الأرض والسماء وما فيهما وما بينهن، فلا يعبد الناس إلا هذا الخالق العظيم الذي عرف نفسه لعباده فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) الَّذِي

جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[البقرة:٢٢،٢١]

وقال سبحانه للناس: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[الأعراف:٥٤]

دعا النبي ﷺ إلى توحيد الله في مكة والمناطق المحيطة بها، وآمن به أناس اختارهم الله عزوجل لصحبته والدفاع عنه وعن الدين الذي آمنوا به واعتقدوا أنه هو الحق المبين الذي يستحق أن يبذل الإنسان فيه كل غال، فوضع الصحابة حياتهم وما يملكون طوعا لهذا الدين وما يأمر به النبي ﷺ، فصدقوه وأطاعوه ولم يقدموا بين يديه ولم يرفعوا أصواتهم فوق صوته، فكانوا كما وصفهم الله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾[الفتح:٢٩]

فهموا كلام الله عزوجل وكلام النبي ﷺ وطبقوه كما فهموه، ما كان خاصا برسول الله ﷺ عرفوا أنه خاص به، وما كان عاما للأمة طبقوه. ومن أجل

ذلك جعل الله المخالف لسبيلهم في جهنم وساءت مصيرا فقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾[النساء:١١٥] فهم المؤمنون الذين عناهم رب العالمين سبحانه.

وروى أبوداود (٤٦٠٧) عن الْعِرْبَاضَ بْنَ سَارِيَةَ قال: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا، فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا ؟

فَقَالَ: «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ.»[1]

فأي هدي خلاف هديهم فهو ضلال، وأي طريق غير طريقهم تيه، وأي منهج خلاف منهجهم فهو سفه.

وقد ذكر ابن القيم رحمه الله أكثر من خمسين دليلا على وجوب اتباع الصحابة رضي الله عنهم في كتابه القيم (أعلام الموقعين عن رب العالمين)

(١) وأخرجه الترمذي (٢٦٧٦) وأحمد (١٦٦٩٢)، (١٦٦٩٤)، (١٦٦٩٥) وابن ماجة (٤٢) وصححه الألباني

قال الإمام أبو القاسم الأصبهاني:

وليس العلم بكثرة الرواية وإنما هو الإتباع والاستعمال، يقتدي بالصحابة والتابعين، وإن كان قليل العلم، ومن خالف الصحابة والتابعين فهو ضال، وإن كان كثير العلم.. إلى أن قال: وذلك أنه تبين للناس أمر دينهم فعلينا الإتباع، لأن الدين إنما جاء، من قبل الله تعالى لم يوضع على عقول الرجال وآرائهم فقد بين الرسول ﷺ السنة لأمته، وأوضحها لأصحابه، فمن خالف أصحاب رسول الله ﷺ في شيء من الدين فقد ضل.أهـ[1]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية :

فالعلم المشروع والنسك المشروع مأخوذ عن أصحاب رسول الله ﷺ وأما ما جاء عمن بعدهم فلا ينبغي أن يجعل أصلاً، وإن كان صاحبه معذوراً، بل مأجوراً لاجتهاد أو تقليد، فمن بنى الكلام في علم الأصول والفروع على الكتاب والسنة والآثار المأثورة السابقين فقد أصاب طريق النبوة وكذلك من بنى الإرادة والعبادة والعمل والسماع المتعلق بأصول الأعمال وفروعها من الأحوال القلبية والأعمال البدنية على الإيمان والسنة والهدى الذي كان عليه محمد ﷺ وأصحابه فقد أصاب طريق النبوة، وهذه طريق أئمة الهدى، تجد

(١) الحجة في بيان المحجة لأبي القاسم إسماعيل ابن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني المتوفي ٥٣٥هـ (٤٣٧/٢، ٤٤٠)

الإمام أحمد إذا ذكر أصول السنة قال: هي التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ ، وكتب التفسير المأثور عن النبي ﷺ والصحابة والتابعين، وعلى ذلك يعتمد في أصوله العلمية وفروعه..، وكذلك في الزهد والرقائق والأحوال فإنه اعتمد في كتاب الزهد على المأثور على الأنبياء صلوات الله عليهم من آدم إلى محمد ثم على طريق الصحابة والتابعين ولم يذكر من بعدهم.أ هـ[1]

(١) مجموع الفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية(١٠/٣٦٢)

الفصل الثاني

الإيمان ومسائله

المبحث الأول

معنى الإيمان

أولا: معناه لغةً: التصديق والإقرار[1]

قال ابن منظور :

ابن سيده: ما أَحْسَنَ أَمَنَتَكَ وإِمْنَك أَي: دِينَكَ وخُلُقَك.

وآمَنَ بالشيء: صَدَّقَ ، وأَمِنَ: كَذِبَ مَنْ أَخبره.

وفي التنزيل العزيز: ﴿**وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ**﴾[يوسف: ١٧]؛ أَي: بمُصدِّقٍ ، والإِيمانُ: التصديقُ.

التهذيب: وأَمَّا الإِيمانُ فهو مصدر آمَنَ يُؤْمِنُ إِيماناً، فهو مُؤْمِنٌ.

واتَّفق أَهلُ العلم من اللُّغَويّين وغيرهم أَن الإِيمان معناه التصديق. أ ـ هـ[2]

---

(١) أنظر في ذلك تفسير الطبري (٨٢/٦)، وأما الإيمان بمعنى التصديق في اللغة فهو ما عليه السلف والخلف، ومن العلماء من حكى الإجماع على ذلك وانظر تفسير ابن كثير(٤١/١)، وقد فصلنا القول في معنى الإيمان وحقيقته في كتابنا (الإيمان وحقيقته عند السلف) بما لا تجده في غيره. وفي كتابنا " فيض الرحمن بيان الأعمال وعلاقتها بالإيمان " وكتابنا " البرهان في بيان حقيقة الإيمان "

(٢) لسان العرب (٢٣/١٣)

وقال ابن الجوزي:

الإيمان في اللغة: التصديق ، والشرع أقره على ذلك، وزاد فيه القول والعمل.اهـ [١]

وقال الشوكاني:

والإيمان في اللغة: التصديق. أ ـ هـ[٢]

وقال ابن حزم في:

أصل الإيمان كما قلنا في اللغة: التصديق بالقلب وباللسان معا. أ ـ هـ[٣].

وقال ابن جرير:

وأحسب أن قتادة وجه معنى الإيمان بهذا الخبر إلى معنى التصديق والإقرار باللسان؛ لأن ذلك معنى الإيمان عند العرب.أ هـ [٤]

قال تعالى: ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ)﴾[يوسف: ١٧] وإذا جاء الإيمان مع العمل الصالح كان معناه التصديق مثل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[البقرة:٨٢]

(١) زاد المسير لابن الجوزي (٢٠/١)

(٢) فتح القدير ٣٤/١

(٣) الفصل: ١٠٧/٣

(٤) تفسير ابن جرير الطبري (٨٢/٦)، وكذلك في (١٠٠/٦)، (٧٢/١١)

ثانيا: معناه شرعًا: اختلفت عبارات الناس في ذلك:

فأما السلف فقالوا[1]:

هو قول وعمل

أو قول وعمل واعتقاد

أو هو تصديق بالجنان وقول باللسان وعمل بالأركان

قال ابن كثير في تفسيره:

فالإيمان الشرعي المطلوب لا يكون إلا اعتقادًا وقولاً وعملاً هكذا ذهب إليه أكثر الأئمة بل قد حكاه الشافعي وأحمد بن حنبل وأبو عبيد وغير واحد إجماعًا أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص. أ هـ[2]

ثانيًا: تفصيل معنى الإيمان عند السلف

إذا قالوا: قول وعمل

(١) أنظر في ذلك كتب السلف على الجملة منها: السنة للإمام الخلال، والسنة لعبدالله بن الإمام أحمد، والسنة للالكائي، والشريعة للأجري، والإيمان لأبي عبيد القاسم بن سلام، واعتقاد السلف أئمة الحديث للإمام الصابوني، والسنة لابن أبي عاصم، والإيمان لشيخ الإسلام ابن تيمية

(٢) تفسير ابن كثير(١/٤٢،٤١)

فالقول: يشمل قول القلب وهو الاعتقاد (التصديق الجازم) بالأركان الستة جملةً وتفصيلاً، أو بمعنى آخر التصديق الجازم بكل ما جاء به النبي ﷺ من عند ربه.

وقول اللسان: وهو النطق بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله. للقادر على ذلك.

ويسمى أيضًا عند بعض السلف بتصديق اللسان

روي البخاري في صحيحة ومسلم عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ فَمَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي نَفْسَهُ وَمَالَهُ إِلا بِحَقِّهِ وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ »[1]

والعمل: يشمل **عمل القلب** مثل: الخوف، والرجاء، والتوكل، والمحبة، والإنابة، والخشية، والرهبة، وغير ذلك من أعمال القلوب الواجب منها والمستحب.

وعمل اللسان: مثل الذكر، وتلاوة القرآن، والكلم الطيب، والدعاء، وغيرها من أعمال اللسان

وعمل البدن: مثل: الصلاة ، والسعي في مناسك الحج، والصيام والجهاد بالنفس، وإماطة الأذى عن الطريق، وغيرها من أعمال البدن

(١) البخاري(٢٧٢٧)، ومسلم (٣٠)

والأعمال المالية مثل: الزكاة، والنفقات، والجهاد بالمال، وغير ذلك.

وإذا قلنا قول وعمل واعتقاد يشمل القول قول اللسان فقط.

والاعتقاد: اعتقاد القلب

والعمل: عمل القلب واللسان والجوارح

ثالثًا: معنى الإيمان عند الفرق المخالفة لعقيدة السلف، منها:[1]

١ . الخوارج: قالوا: الإيمان قول وعمل واعتقاد

٢ . المعتزلة: قالوا: الإيمان قول وعمل واعتقاد

٣ . المرجئة: قالوا: الإيمان قول اللسان واعتقاد القلب فقط

٤ . الجهمية: قالوا: الإيمان معرفة القلب فقط

٥ . الكرامية: قالوا: الإيمان قول اللسان فقط

٦ . الأشاعرة: قالوا: الإيمان هو تصديق القلب فقط

٧ . مرجئة الفقهاء: قالوا: الإيمان قول واعتقاد

رابعًا: الفرق بين هذه الفرق وبين السلف.

كل هذه الفرق تجعل الإيمان جزء واحدًا، إذا ذهب بعضه ذهب كله، وأنه لا يزيد ولا ينقص، ولا يتبعض ولا يتجزأ، ولا يتفاضل أهله فيه.

(١) أنظر في ذلك فتح الباري لابن حجر العسقلاني (٤٦/١)، وشرح قصيدة ابن قيم الجوزية لأحمد بن إبراهيم (١٣٩/٢)، وشرح الطحاوية ص ٢٧٩، ومعارج القبول ص ١٠١٣، والسنة لعبدالله بن الإمام أحمد

١. الخوارج[(١)]: قالوا: إن الإيمان قول وعمل واعتقاد؛ فجعلوا الأعمال شرطا في صحة الإيمان، وكذلك المعتزلة جعلوها شرطًا في صحة الإيمان، وأما السلف فجعلوا الأعمال شرطًا في كمال الإيمان وليس في صحته.

قال الحافظ ابن حجر:

فالسلف قالوا: هو اعتقاد بالقلب ونطق باللسان وعمل بالأركان، وأرادوا بذلك: أن الأعمال شرط في كماله، ومن هنا نشا لهم القول بالزيادة والنقص كما سيأتي.

والمرجئة قالوا: هو اعتقاد ونطق فقط

والكرامية قالوا: هو نطق فقط

والمعتزلة قالوا: هو العمل والنطق والاعتقاد.

---

(١) الخوارج: فرقة من فرق المسلمين وهي أول الفرق خروجاً في هذه الأمة، يكفرون أصحاب الكبائر، ويتبرؤون من بعض الصحابة، ويجوزون الخروج على الأئمة بالسلاح، وقد خرجوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقاتلهم ، وهم فرق متعددة، منهم: المحكمة، والأزارقة، والإباضية. وقد وصفهم النبي ﷺ كما جاء في صحيح مسلم (٢/ ٧٤١) عن أبي سلمة وعطاء بن يسار أنهما أتيا أبا سعيد الخدري فسألاه عن الحرورية ؟ هل سمعت رسول الله ﷺ يذكرها قال لا أدري من الحرورية ولكني سمعت رسول الله ﷺيقول : (يخرج في هذه الأمة (ولم يقل منها) قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم فيقرأون القرآن لا يجاوز حلوقهم (أو حناجرهم) يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية فينظر الرامي إلى سهمه إلى نصله إلى رصافه فيتمارى في الفوقة هل علق بها من الدم شيء) وانظر في شأنهم: مقالات الإسلامية لأبي الحسن الأشعري (١٦٧/١)، التنبيه والرد للملطي (ص ٤٧)، الملل والنحل للشهرستاني (١١٤/١)

والفارق بينهم وبين السلف أنهم جعلوا الأعمال شرطًا في صحته والسلف جعلوها شرطًا في كماله.أ هـ [1]

وقال الامام ابن حزم :

مسألة: من اعتقد الإيمان بقلبه ولم ينطق به بلسانه دون تقية فهو كافر عند الله تعالى وعند المسلمين، ومن نطق به دون أن يعتقده بقلبه فهو كافر عند الله وعند المسلمين. قال الله تعالى عن اليهود والنصارى: إنهم يعلمون رسول الله ﷺ كما يعلمون أبناءهم. وقال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾[النمل: ١٤] وقال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾[المنافقون: ١]

مسألة: ومن اعتقد الإيمان بقلبه ونطق به بلسانه فقد وفق، سواء استدل أو لم يستدل، فهو مؤمن عند الله تعالى وعند المسلمين. قال الله تعالى: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾[التوبة: ٥] ولم يشترط عز وجل في ذلك استدلالا ولم يزل رسول الله ﷺ مذ بعثه الله عز وجل إلى أن قبضه يقاتل الناس حتى يقروا بالإسلام ويلتزموه، ولم يكلفهم قط

(١) فتح الباري (١/٤٦) وكلام الحافظ هنا على جملة الأعمال وليس على تفصيلاتها، وإلا فقد اختلف في بعض الأعمال مثل الصلاة.

استدلالا، ولا سألهم هل استدلوا أم لا، وعلى هذا جرى جميع الإسلام إلى اليوم. وبالله تعالى التوفيق.

– مسألة: ومن ضيع الأعمال كلها فهو مؤمن عاص ناقص الإيمان لا يكفر.[1]

ثم أتى بحديث : «حَتَّى إِذَا فَرَغَ اللهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ، وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ بِرَحْمَتِهِ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، أَمَرَ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مِنْ كَانَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا مِمَّنْ أَرَادَ اللهُ تَعَالَى أَنْ يَرْحَمَهُ مِمَّنْ يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»[2]

والفرق بين المعتزلة والخوارج

أن الخوارج عندهم من عمل كبيرة أو صغيرة (حسب فرقهم) فهو كافر في الدنيا ومخلد في النار يوم القيامة إذا لم يتب.

والمعتزلة[3] **قالوا**: إن مرتكب الكبيرة ليس بكافر ولا مؤمن في الدنيا؛ بل هو في منزلة بين المنزلتين، وفي الآخرة كافر مخلد في النار إذا لم يتب ولكن عذابه دون الكافر الأصلي.

---

(١) المحلى بالآثار (١/ ٦١، ٦٢) ط دار الفكر – بيروت

(٢) أخرجه مسلم (١٨٢) من حديث أبي هريرة

(٣) المعتزلة: فرقة من فرق المسلمين الكبيرة وكانت بدايتها على المشهور من قول العلماء بسبب اعتزال واصل بن عطاء الغزال وعمرو بن عبيد البصري مجلس الحسن البصري حين اختلفا معه في مرتكب الكبيرة، وقد ابتدعوا قولا ثالثا وهو أنه في منزلة بين المنزلتين وقالوا بأن الأعمال ركن في الإيمان. ثم تطور فكر المعتزلة حتى شمل القول بإنكار صفات الله تعالى، والقول بالقدر، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بإشهار

والسلف قالوا: إن مرتكب الكبيرة في الدنيا مؤمن بإيمانه وفاسق بكبيرته (مؤمن ناقص الإيمان) وفي الآخرة هو في مشيئة الله إن شاء عفا عنه ابتداء وأدخله الجنة وإن شاء عذبه، وإن عذبه لا يخلده في النار بل يخرجه منها بشفاعة الشافعين أو بقبضته .

٢. المرجئة الغلاة [(١)]: أخرجوا الأعمال من مسمى الإيمان

وقالوا: أن من أتى بتصديق القلب وقول اللسان فهو مؤمن كامل الإيمان، ولو أتى بكل الكبائر وإيمانه كإيمان جبريل وأبي بكر وعمر لأن الإيمان عندهم لا يزيد ولا ينقص، وقالوا إنه لا يضر مع الإيمان ذنب ولا ينفع مع الكفر طاعة.

والناس عندهم : مؤمن يدخل الجنة ، وكافر يدخل النار، فلا يدخل الجنة إلا مؤمن ولا يدخل النار إلا كافر

والسلف: أدخلوا الأعمال في مسمى الإيمان وأن من فعل كبيرة فهو ناقص الإيمان، وبذلك يزيد الإيمان بالطاعة وينقص بالمعصية.

قال الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ:

السلاح، ومن أشهر يدعهم القول بخلق القرآن التي امتحنوا الناس عليها في عهد المأمون والمعتصم والواثق، وتفرقت المعتزلة لفرق كثيرة يكفر بعضهم بعضا.

(١) المرجئة: فرقة من فرق المسلمين خرجت في القرن الثاني الهجري مقابل اعتقاد الخوارج في مرتكب الكبيرة، فسموا مرجئة لأنهم أخروا العمل عن مسمى الإيمان. وقد تفرقوا لفرق كثيرة ذكرنا أهمها في الكتاب. وهم الجهمية والكرامية والأشاعرة والمرجئة ومرجئة الفقهاء

ومن زعم أن الإيمان قول بلا عمل فهو مرجئ، ومن زعم أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص فقد قال بقول المرجئة، ومن لم ير الاستثناء في الإيمان فهو مرجئ، ومن زعم أن إيمانه كإيمان جبريل والملائكة فهو مرجئ، قال: ومن زعم أن المعرفة تنفع في القلب لا يتكلم بها فهو مرجىء.أهـ[1]

٣ . الجهمية[2] ومن وافقهم:

قالوا: الإيمان هو أن تعرف الله بقلبك فقط.

ويلزم من هذا أن النطق بالشهادتين ليس شرطا في صحة الإيمان، فالنصراني واليهودي والمشرك الذي يعرف الله بقلبه إيمانه كإيمان أبي بكر وعمر، وبذلك ناقضوا كتاب الله وكذبوه حيث قال تعالى عن اليهود والنصارى: ﴿ الَّذِينَ

(١) العقيدة – أحمد بن حنبل برواية أبي بكر الخلال (ص: ٧٤) وانظر المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل– ابن بدران (ص: ٣٣)

(٢) الجهمية: هم أتباع جهم بن صفوان الترمذي مبتدع نشأ في أواخر عصر التابعين ، قال أبو معاذ البلخي: كان جهم على معبر ترمذ وكان كوفي الأصل فصيحا ولم يكن له علم ولا مجالسة أهل العلم فقيل له صف لنا ربك فدخل البيت ولم يخرج ثم خرج بعد أيام فقال هذا هو الهواء مع كل شيء وفي كل شيء ولا يخلو منه شيء

وقال أحمد بن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى: وأما الجهمية فلا يختلف أحد ممن صنف في المقالات أنهم ينفون الصفات حتى نسبوا إلى التعطيل قال والجهمية أتباع جهم بن صفوان الذي قال بالإجبار والاضطرار إلى الأعمال وقال لا فعل لأحد غير الله تعالى وزعم أن علم الله تعالى حادث وامتنع عن وصف الله تعالى بأنه شيء أو عالم مريد حتى قال لا أصفه بوصف يجوز إطلاقه على غيره.وقتل سنة ١٣٥هـ. انظر [إيضاح الدليل لبدر الدين بن جماعة (ص:٣٤، ٣٥)

آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[البقرة:١٤٦]

وقال تعالى عن إبليس:

﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[الأعراف:١٦]

وهذه الأقوال لا يقولها عاقل يعرف ربه ولا من عنده مسكة من علم الكتاب والسنة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية نقلا عن الأشعري في مقالاته عن فرق المرجئة:

الفرقة الأولى: منهم يزعمون أن الإيمان بالله هو المعرفة بالله وبرسوله وبجميع ما جاء من عند الله فقط ، وأن ما سوى المعرفة من الإقرار باللسان والخضوع بالقلب والمحبة لله ولرسوله والتعظيم لهما والخوف والعمل بالجوارح فليس بإيمان، وزعموا أن الكفر بالله هو الجهل به، وهذا قول يحكى عن الجهم بن صفوان.

قال: وزعمت الجهمية أن الإنسان إذا أتى بالمعرفة ثم جحد بلسانه أنه لا يكفر بجحده، وأن الإيمان لا يتبعض، ولا يتفاضل أهله فيه، وأن الإيمان والكفر لا يكونان إلا في القلب دون الجوارح. أ هـ[1]

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٥٤٣ . ٥٤٤)

٤. الكرَّامية[١]: وهم الذين قالوا: الإيمان هو النطق فقط، بمعنى أن من أتى بالنطق بالشهادتين وإن لم يصدق بقلبه ولم يعمل فهو كامل الإيمان .

قال أبو الحسن الأشعري :

الكرامية: أصحاب محمد بن كرام، يزعمون أن الإيمان هو الإقرار والتصديق باللسان دون القلب، وأنكروا أن يكون معرفة القلب أو شيء غير التصديق باللسان إيمانا، وزعموا أن المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله كانوا مؤمنين على الحقيقة، وزعموا أن الكفر بالله هو الجحود والإنكار له باللسان.أ هـ[٢]

وهؤلاء لعب الشيطان بعقولهم فأضلهم عن السبيل، ولو أنهم تدبروا كتاب الله تعالى لما قالوا ذلك، ونسأل الله العصمة من الضلال .

٥. أما الأشاعرة[٣]: فقد حصروا الإيمان في المعنى اللغوي فقط، فهو في اللغة التصديق وكذلك في الشرع، ويجعلون الكفر هو التكذيب والجحود فقط.

---

(١) وهم أتباع أبي عبد الله محمد بن كرام وكان من زهاد سجستان واغتر جماعة بزهده ثم اخرج هو وأصحابه من سجستان فساروا حتى انتهوا إلى غرجة فدعوا أهلها إلى اعتقادهم فقبلوا قولهم وبقى ذلك المذهب في تلك الناحية وهو فرق كثيرة على هذا التفصيل: الطرايقة، الأسحاقية، الحماقية، العابدية، اليونانية، السورمية، الهيصمية. انظر [اعتقادات المسلمين والمشركين لفخر الدين الرازي (ص: ٦٧)]

(٢) مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري ص ١٤١

(٣) الأشعرية: ينسب المذهب الأشعري الموجود في العالم الإسلامي إلى علي بن إسماعيل بن أبي بشر الأشعري البصري. قال عنه المقريزي: (أخذ عن الجبائي مذهب الاعتزال ثم بدا له فتركه وسلك طريقة عبد الله بن كلاب ونسج على قوانينه في الصفات والقدر فمال إليه جماعة وعولوا على رأيه وجادلوا فيه. وانتشر

والأعمال عندهم ليست من الإيمان ولكنها شرط في كمال الإيمان المستحب. لأن الإيمان الواجب عندهم كامل بالتصديق القلبي فقط. وهو مما خالفوا فيه صريح الكتاب والسنة وأقوال السلف [1]

لكن عند الأشاعرة أن من أتى كبيرة أو ترك فرضا فهو مستحق للوعيد، وأن من عصاة المؤمنين من يدخل الجنة ويخرج بشفاعة الشافعين

٦. أما مرجئة الفقهاء[1]: فعندهم الإيمان هو النطق والاعتقاد، والأعمال لا تدخل في مسماه وإن كان من فعل كبيرة أو ترك واجبًا فهو مستحق للعقوبة

مذهب أبي الحسن الأشعري وحملوا الناس على التزامه فانتشر في أمصار الإسلام. مات الأشعري سنة ٣٢٤ هـ. من أهم آراء الأشاعرة نفي الصفات إلا سبعا يثبتونها بالعقل والقول بأن أفعال العباد مخلوقة لله وهي كسب لهم وأشهر علماء الأشاعرة الباقلاني والجويني والإيجي والرازي. وقد رجع أبوالحسن الأشعري عن هذا المذهب، وقال بقول أهل السنة والجماعة في مسائل أصول الدين، وأثبت ذلك في كتابيه (مقالات الإسلاميين) و (الإبانة عن أصول الديانة).فهو رحمه الله بريء مما ينسب إليه اليوم.. انظر: خطط المقريزي (٣٥٨/٢- ٣٥٩)، وشذرات الذهب (٣٠٣/٢).

(١) وظهرت طائفة من طلبة العلم يدعون أن هذه عقيدة المرجئة، وقد أتوا بكلام للبيجوري أنه يقول: والأعمال شرط كمال عند أهل السنة. والبيجوري أشعري فظنوا أن الرجل يحكي عقيدة الأشاعرة والمرجئة بقوله ذلك، مع العلم أن الرجل إذا كان يقصد الكمال المستحب فهو قول يشبه قول المرجئة وليست عقيدة المرجئة؛ لأن المرجئة يخرجون العمل من مسمى الإيمان فكيف يكون شرطا فيه ؟!! فتنبه حتى لا تقع في الظلم دون دراية

قال شيخ الإسلام ابن تيمية كما في (مجموع الفتاوى ٦٥٣/١١): فمن أراد بقوله نفى كمال الإيمان انه نفى الكمال المستحب فقد غلط وهو يشبه قول المرجئة ولكن يقتضي نفى الكمال الواجب وهذا مطرد في سائر ما نفاه الله ورسوله. أ. هـ

وإن دخل النار خرج بالشفاعة، والكفر عندهم على ما كان عليه السلف في المعتقد، فالخلاف بينهم وبين السلف أكثره لفظي كما صرح به شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره.

- **التوافق بين أهل السنة والجماعة وبين بعض فرق المرجئة**

قال شيخ الإسلام رحمه الله:

أهل السنة والجماعة والصحابة والتابعون لهم بإحسان؛ وسائر طوائف المسلمين من أهل الحديث والفقهاء وأهل الكلام من مرجئة الفقهاء والكرامية والكلابية والأشعرية والشيعة مرجئهم وغير مرجئهم فيقولون: إن الشخص الواحد قد يعذبه الله بالنار ثم يدخله الجنة كما نطقت بذلك الأحاديث الصحيحة وهذا الشخص الذي له سيئات عذب بها وله حسنات دخل بها الجنة وله معصية وطاعة باتفاق فإن هؤلاء الطوائف لم يتنازعوا في حكمه؛ لكن تنازعوا في اسمه. فقالت المرجئة: جهميتهم وغير جهميتهم: هو مؤمن كامل الإيمان. وأهل السنة والجماعة على أنه مؤمن ناقص الإيمان ولولا ذلك لما عذب كما أنه ناقص البر والتقوى باتفاق المسلمين. اهـ[٢]

---

(١) أول من قال بذلك هو حماد بن أبي سليمان شيخ أبي حنيفة رحمهما الله، ثم أخذ عنه أبو حنيفة المذهب وبعدها انتشر في الأفاق، وعند التحقيق نجد الخلاف بين أهل السنة ومرجئة الفقهاء أكثره في اللفظ كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في مما لا يترتب عليه فساد في الاعتقاد كما قال شيخنا الشيخ عبد العزيز الراجحي.

(٢) مجموع الفتاوى (٧/ ٣٥٤)

خامسًا: درجات الإيمان عند السلف[1]

على ثلاث درجات: .

الدرجة الأولى: الإيمان الركن: وهو اعتقاد القلب (التصديق بالأركان الستة جملة وتفصيلا)، والنطق بالشهادتين لمن يستطيع النطق بهما.

الدرجة الثانية: الإيمان الواجب: وهو فعل الواجبات وترك المحرمات.

الدرجة الثالثة: الإيمان المستحب :وهو فعل المستحبات وترك المكروهات.

فمن أتى بالإيمان الركن وأخل بالواجب أو لم يأتي به فعنده أصل الإيمان فهو المؤمن الناقص الإيمان إن شاء الله عفا عنه وإن شاء عذبه ثم يخرجه من النار، ومن أتى بالواجب وأخل بالركن فهو الكافر الخالد في نار جهنم.

ومن أتى بالإيمان الركن والإيمان الواجب فهذا عنده الإيمان المطلق وهو من الناجيين من النار ابتداء فلا يدخلها، ومن أتى بالركن والواجب والمستحب فهذا عنده الإيمان الكامل.

(١) أنظر في ذلك كتاب الاعتقاد للبيهقي ص٩٥، والفصل لابن حزم (٢٥٥/٣)، وابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث ص ١٧٠، وكتابنا "الإيمان وحقيقته عند السلف"، وكتابنا "فيض الرحمن بيان الأعمال وعلاقتها بالإيمان

قال الإمام البيهقي رحمه الله:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ(٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ(٣) أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾[الأنفال:٢ ٤]

فأخبر أن المؤمنين هم الذين جمعوا هذه الأعمال التي بعضها يقع في القلب، وبعضها باللسان، وبعضها بهما وسائر البدن، وبعضها بهما أو بأحدهما وبالمال، وفيما ذكر الله في هذه الأعمال تنبيه على ما لم يذكره، وأخبر بزيادة إيمانهم بتلاوة آياته عليهم، وفي كل ذلك دلالة على أن هذه الأعمال وما نبه بها عليه من جوامع الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص، وإذا قبل الزيادة قبل النقصان، وبهذه الآية وما في معناها من الكتاب والسنة ذهب أكثر أصحاب الحديث إلى أن اسم الإيمان يجمع الطاعات فرضها ونفلها وأنها على ثلاثة أقسام:

١. فقسم يكفر بتركه : وهو اعتقاد ما يجب اعتقاده والإقرار بما اعتقده.

٢. وقسم يفسق بتركه: أو يعصي ولا يكفر به إذا لم يجحده وهو مفروض الطاعات كالصلاة ، والزكاة، والصيام، والحج، واجتناب المحارم

٣. وقسم يكون بتركه مخطئا للأفضل غير فاسق ولا كافر: وهو ما يكون من العبادات تطوعا. أهـ[١]

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية:

وهو* مركب من أصل لا يتم بدونه، ومن واجب ينقص بفواته نقصا يستحق صاحبه العقوبة، ومن مستحب يفوت بفواته علو الدرجة.

فالناس فيه ظالم لنفسه، ومقتصد، وسابق، كالحج وكالبدن والمسجد وغيرهما من الأعيان والأعمال والصفات، فمن سواء أجزائه ما إذا ذهب نقص عن الأكمل، ومنه ما نقص عن الكمال وهو ترك الواجبات أو فعل المحرمات، ومنه ما نقص ركنه وهو ترك الاعتقاد والقول. اهـ[٢]

وقال رحمه الله:

فالسلف يقولون: ترك الواجبات الظاهرة دليل على انتفاء الإيمان الواجب من القلب، لكن قد يكون ذلك بزوال عمل القلب – الذي هو حب الله ورسوله وخشية الله ونحو ذلك – لا يستلزم ألا يكون في القلب من التصديق

(١) كتاب الاعتقاد للإمام البيهقي ص٩٥

* أي الإيمان

(٢) مجموع الفتاوى (٧/ ٦٣٧)

شيء، وعند هؤلاء كل من نفى الشرع إيمانه دل على أنه ليس في قلبه شيء من التصديق أصلا، وهذا سفسطة عند جماهير العقلاء. اهـ[1]

سادسًا: الأدلة على زيادة الإيمان ونقصانه عند السلف

(أ) . أدلة القرآن ومنها:

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[الأنفال:٢]

قال ابن كثير رحمه الله: "وقد استدل البخاري وغيره من الأئمة بهذه الآية وأشباهها، على زيادة الإيمان وتفاضله في القلوب، كما هو مذهب جمهور الأمة، بل قد حكى الإجماع على ذلك غير واحد من الأئمة، كالشافعي،

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ١٤٨)

وقد وقع تقسيم معاصر مخالف لتقسيم السلف: فمنهم من قسم الإيمان إلى قول باللسان واعتقاد قلبي وعمل بالجوارح وجنس العمل ، وجعلوا جنس العمل شرط في صحة الإيمان

ومنهم من قسم الإيمان إلى تصديق وعمل بالجوارح وقول باللسان وأصل عمل القلب ، وجعلوا أصل عمل القلب شرط في صحة الإيمان. وقد استوفينا الرد عليهم في أكثر من كتاب منها: فيض الرحمن في بيان الأعمال وعلاقتها بالإيمان.

وأحمد بن حنبل، وأبي عبيد". اهـ[1]

وقال تعالى: ﴿ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَاناً﴾[المدثر: ٣١]

(ب) . أدلة السنة ومنها:

١- روى مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: « مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ»[2]

٢. وروى البخاري ومسلم عَنْ أَنَسٍ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « يَخْرُجُ مِنْ النَّارِ مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ وَيَخْرُجُ مِنْ النَّارِ مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ بُرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ وَيَخْرُجُ مِنْ النَّارِ مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ»

قَالَ أَبُو عَبْد اللَّهِ: قَالَ أَبَانُ حَدَّثَنَا قَتَادَةُ حَدَّثَنَا أَنَسٌ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ: « مِنْ إِيمَانٍ» مَكَانَ «مِنْ خَيْرٍ»[3].

والأحاديث في ذلك كثيرة.

(ج) . من أقوال السلف[4]

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ١٢)

(٢) مسلم (٧٠)

(٣) متفق عليه: وروى البخاري (٤٢) ومسلم (٢٨٥)

(٤) أنظر في ذلك كتب السنة المشار إليها سابقًا عند عرض قول السلف في الإيمان

١- عن كعب . رحمه الله . قال: من أقام الصلاة وأتى الزكاة وأطاع محمدا فقد توسط الإيمان ومن أحب لله وأبغض لله ومن لله فقد استكمل الإيمان، (أخرجه ابن أبي شيبة في الإيمان وحسنه الألباني)

٢ . وعن علقمة بن قيس النخعي . رحمه الله . أنه كان يقول لأصحابه: امشوا بنا نزداد إيمانا

٣ . وقال ابن جرير الطبري:

وأما القول في الإيمان هل هو قول وعمل وهل يزيد وينقص أم لا زيادة فيه ولا نقصان ؟

فإن الصواب فيه قول من قال هو: قول وعمل يزيد وينقص، وبه جاء الخبر عن جماعة من أصحاب رسول الله وعليه مضى أهل الدين والفضل[1] .

٤- وعن عبد الرازق الصنعاني . رحمه الله . قال: كان معمر وابن جريج والثوري ومالك وابن عيينة يقولون: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص وإن خالفتهم فقد ضللت إذًا وما أنا من المهتدين.

٥. وقال الإمام أحمد . رحمه الله .: نحن نقول الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، إذا زنا وشرب الخمر نقص إيمانه.

٦ . وقال الإمام البربهاري . رحمه الله .:

(١) صريح السنة لابن جرير الطبري:ص٢٥

ولا يحل لرجل أن يقول فلان صاحب سنة حتى يعلم أنه قد اجتمعت فيه خصال السنة، فلا يقال له صاحب سنة حتى تجتمع فيه السنة كلها.

قال عبد الله بن المبارك: أصل اثنين وسبعين هوى أربعة أهواء، فمن هذه الأربعة الأهواء تشعبت الاثنتان وسبعون هوى . القدرية والمرجئة والشيعة والخوارج .:

فمن قدم أبا بكر وعمر وعثمان وعليًا على أصحاب رسول الله ﷺ، ولم يتكلم في الباقين إلا بخير، ودعا لهم فقد خرج من التشيع أوله وآخره.

ومن قال: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص فقد خرج من الإرجاء أوله وآخره.

ومن قال: الصلاة خلف كل بر وفاجر، والجهاد مع كل خليفة، ولم ير الخروج على السلطان بالسيف، ودعا لهم بالصلاح فقد خرج من قول الخوارج أوله وآخره.

ومن قال: المقادير كلها من الله عز وجل خيرها وشرها يضل من يشاء ويهدي من يشاء فقد خرج من قول القدرية أوله وآخره وهو صاحب سنة. أ هـ[1]

(١) شرح السنة للبربهاري ص ٥٧

سابعًا: تفاضل أهل الإيمان

وأهل الإيمان يتفاضلون فيه، فليس إيمان من فعل المعاصي وانغمس فيها كإيمان من فعل معصية واحدة، وليس إيمان من فعل معصية مثل إيمان من ترك كل المعاصي، فكل يتفاضل بحسب عمله وإقباله على ربه، وهذا مذهب السلف، أما مذهب المرجئة فإيمان الناس كله واحد ولا فرق بين نبي وفاجر، وهم قوم قد عميت بصائرهم عن نور الوحي.

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾[فاطر:٣٢]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

المسلم الذي لم يقم بواجب الإيمان هو الظالم لنفسه، والمقتصد هو المؤمن المطلق الذي أدى الواجب وترك المحرم؛ والسابق بالخيرات هو المحسن الذي عبد الله كأنه يراه.اهـ[1]

وعن الْمِقْدَادُ بْنُ الْأَسْوَدِ قَالَ:سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «تُدْنَى الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ الْخَلْقِ، حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ، فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٣٥٨)

رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ إِلْجَامًا»، قال: وَأَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ إِلَى فِيهِ.(١)

قال أبو بكر المروزي: قلت لأبي عبدالله في معرفة الله عز وجل في القلب يتفاضل فيه ؟

قال: نعم ، قلت: ويزيد ؟ قال: نعم.

وقال عبدالله بن الإمام أحمد:

وسمعت ابن المبارك يقول: الإيمان قول وعمل والإيمان يتفاضل.

قال: وسمعت النضر بن شميل يقول: الإيمان قول وعمل والإيمان يتفاضل.(٢)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية . رحمه الله .:

وأما عامة السلف والأئمة فعندهم أن إيمان العباد لا يتساوى بل يتفاضل وإيمان السابقين الأولين أكمل من إيمان أهل الكبائر المجرمين. أهـ(٣)

ثامنًا: الاستثناء في الإيمان:

١ . معناه: عدم الجزم والقطع

وهو أن يقول الرجل: أنا مؤمن إن شاء الله

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢١٩٦) ح رقم (٢٨٦٤)

(٢) كتاب السنة لعبد الله بن الإمام أحمد (١/٣١٦)

(٣) مجموع الفتاوى (٦/٤٨٠)

وهو عند السلف على

٢ . أقسامه ثلاثة أقسام:

القسم الأول: استثناء محرم

وهو في أصل الإيمان (اعتقاد القلب ونطق اللسان) على جهة الشك. يكون كفرا[١]

فالواجب على المسلم أن يجزم في ذلك فيقول: أنا مؤمن، بمعنى أنه مؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

روى الخلال في السنة بسند صحيح عن أبي بكر بن حماد المقري قال: وأخبرني بعض أصحابنا قال: سمعت أبا عبد الله (يعني أحمد بن حنبل) يقول: لو كان القول كما تقول المرجئة أن الإيمان قول ! ثم استثنى بعد على القول لكان هذا قبيحًا أن تقول: لا إله إلا الله إن شاء الله، ولكن الاستثناء في العمل.

وروى أبو عبيد القاسم بن سلام[٢]، عن محمد بن سيرين قال: إذا قيل لك أمؤمن أنت ؟ فقل: ﴿ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ﴾[البقرة: ١٣٦]

(١) أنظر مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٣/ ٨٥)

(٢) الإيمان لأبي عبيد القاسم ص٢٢

وروى أيضًا عن إبراهيم النخعي ومحمد بن سيرين وطاووس: إذا قيل لك أمؤمن أنت ؟ فقل: آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله.

أما إذا لم يكن شكا فجائز الاستثناء

القسم الثاني: استثناء واجب

وهو الاستثناء في العمل؛ لأن العبد لا يدري هل جاء بالعمل على وجهه الكامل أم لا وهو ما يترب عليه أن يكو من أهل الجنة ابتداء [1]

قال الإمام أبو بكر الأجري:

من صفة أهل الحق ممن ذكرنا من أهل العلم: الاستثناء في الإيمان، لا على جهة الشك في الإيمان، ولكن خوف التزكية لأنفسهم من الاستكمالِ للإيمان، لا يدري أهو ممن يستحق حقيقة الإيمان أم لا ؟؛ وذلك أن أهل العلم من أهل الحق إذا سئلوا: أمؤمن أنت ؟ قال: آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار، وأشباه ذلك، والناطق بهذا والمصدق به بقلبه مؤمن، وإنما الاستثناء في الإيمان لا يدري: أهو ممن يستوجب ما نعت الله عز وجل به المؤمنين من حقيقة الإيمان أم لا ؟ !

هذا طريق الصحابة . رضي الله عنهم . والتابعين لهم بإحسان، عندهم أن الاستثناء في الأعمال لا يكون في القول والتصديق بالقلب وإنما الاستثناء في

(١) أنظر مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٣/ ٨٥)

الأعمال الموجبة لحقيقة الإيمان، والناس عندهم على الظاهر مؤمنون يتوارثون، وبه يتناكحون، وبه تجري أحكام ملة الإسلام ولكن الاستثناء منهم على حسب ما بيناه لك وبينه العلماء من قبلنا. أهـ[1]

عن أبو بكر الأثرم قال: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل سئل عن الاستثناء في الإيمان ما تقول فيه ؟ قال: أما أنا فلا أعيبه قال أبو عبد الله: " إذا كان يقول إن الإيمان قول وعمل، واستثنى مخافة واحتياطا، ليس كما يقولون على الشك، إنما تستثني للعمل قال الله عز وجل: ﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾[الفتح: ٢٧] فهذا استثناء بغير شك، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: « إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله عز وجل»[2] قال: هذا كله تقوية للاستثناء في الإيمان"[3]

القسم الثالث: استثناء جائز:

وهو إذا كان المقصود منه التبرك بذكر المشيئة، أو بيان التعليل، وأن ما قام بقلبه من الإيمان بمشيئة الله. ونحو ذلك[4]

---

(١) الشريعة للإمام الأجري (ص: ١١٧)

(٢) أخرجه مسلم (٢/ ٧٨١) ح (١١١٠) عن عائشة

(٣) الشريعة للإمام الأجري (ص١١٨)

(٤) أنظر كتاب فتاوى في التوحيد لشيخنا عبدالله بن جبرين رحمه الله (ص: ٤٤) ومجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٣/ ٨٥)

٣ . من خالف السلف في الاستثناء

وقد خالف السلف في الاستثناء في الإيمان طائفتان:

١. طائفة . وهم المرجئة ومرجئة الفقهاء والماتريدية والمعتزلة . قالت بعدم جواز الاستثناء في الإيمان، وعللوا ذلك بأنَّ الاستثناء لا يكون إلا عن شك، والشك في الإيمان كفر، حتى غلا بعضهم فنص على عدم جواز تزويج من يستثني في الإيمان[١].

٢. طائفة . وهم الكلابية والأشاعرة . قالت بوجوب الاستثناء في الإيمان باعتبار الموافاة، فيقولون: إيمان الحال نقطع به ولا نستثني فيه، لكن إيمان المآل وهو الذي يوافي به العبد ربه نستثني فيه. وهذا على اعتبار أنهم لا يدرون بم يختم لهم، وهل سيبقون على هذا الإيمان أم لا. فاستثناؤهم باعتبار المآل لا باعتبار الحال.[٢]

ونتج عن القول الأخير خروج فرقة تقول بالاستثناء في كل شيء [٣]

(١) وهذا قول لمتأخري مرجئة الفقهاء أنهم كان لا يزوجون من لا يتثني في إيمانه، ثم لم يثبت طويلا

(٢) تذكرة المؤتسي شرح عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي للشيخ عبد المحسن العباد (ص: ٣١٢) بتصرف وزيادة

(٣) وهم المرازقة المنتسبين لأبي عمرو عثمان بن مرزوق . وكان في الاستثناء على طريقة السلف . إلا أنَّهم انحرفوا عن منهجه، فأخذوا يستثنون في كلِّ شيء، فيسأل أحدهم . وفي يده حبل . فيقول: هذا حبل إن شاء الله. فإن قيل: هذا لا شك فيه. قال: إن شاء الله أن يغيره غيره

تاسعًا: نواقض الإيمان[1]

وهي في الجملة منها نواقض اعتقادية، ونواقض قولية، ونواقض عملية ولا تكون إلا بالكتاب والسنة فقط لا بأقوال الرجال وآرائهم.

ومنها:

١ . الشك: وهو التردد بين التصديق والتكذيب.

ولا يصلح إيمان العبد إلا بتصديق جازم

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾[التوبة:٤٥]

وعن أبي هُرَيْرَةَ قال:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ لا يَلْقَى اللَّهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ فَيُحْجَبَ عَنْ الْجَنَّةِ)[2]

(١) أنظر في ذلك على الجملة : باب الردة في كتب الفقه، وانظر نواقض الإيمان الاعتقادية لمحمد على الوهيبي، وكتاب التوحيد للشيخ صالح الفوزان، وكتاب شرح نواقض الإيمان لسليمان بن ناصر العلوان، وكتاب مدارج السالكين لابن قيم الجوزية (١/ ٣٣٦)، وكتاب الإعلام بقواطع الإسلام لابن حجر الهيتمي، وكتابنا الكفر وقضية تكفير المسلم في عقيدة السلف.

(٢) أخرجه مسلم (١/ ٥٥) كتاب الايمان ح(٤٤)

والشك في حرف من القرآن فما فوق كفر يخرج من الملة، وكذلك الشك في نبوة نبي ثبتت نبوته بالكتاب أو السنة، وكذلك الشك في وجوب المباني الأربعة . الصلاة والزكاة والصيام والحج . ونحو ذلك.

٢ . الجحود: وهو الإنكار مع العلم.

فهو تكذيب باللسان مع تصديق بالقلب.

قال تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾[الأنعام:٣٣]

قال الإمام البغوي رحمه الله:

يقول: إنهم لا يكذبونك في السر لأنهم عرفوا صدقك فيما مضى، وإنما يكذبون وحيي ويجحدون آياتي، كما قال: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾[النمل: ١٤][(١)]

وقال تعالى: ﴿ ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾[فصلت:٢٨]

وقال سبحانه عن فرعون وقومه: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾[النمل:١٤]

فمن علم شيئًا من دين وصح علمه عنده ثم جحده بلسانه فهو كافر.

(١) تفسير البغوي (٣/ ١٤٠)

وللجحود أنواع:

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ:

وكفر الجحود نوعان : كفر مطلق عام ، وكفر مقيد خاص:

فالمطلق: أن يجحد جملة ما أنزله الله وإرساله الرسول

والخاص المقيد: أن يجحد فرضا من فروض الإسلام، أو تحريم محرم من محرماته، أو صفة وصف الله بها نفسه، أو خبرا أخبر الله به عمدا، أو تقديما لقول من خالفه عليه لغرض من الأغراض.أ هـ[1]

وللجحود أسباب منها: الاستكبار، والحسد، والبغض والكراهية وغير ذلك

ويترتب عليه آثار منها: التكذيب، والسب، والاستهزاء، والاستحلال، والتشكيك في دين الله، والإعراض عن دين الله، وافتراء الكذب وغير ذلك.

٣ ـ الإعراض عن دين الله تعالى:

وهو لغة التولي. وهو التولي عن تعلم أصل الدين الذي يكون به مسلمًا، أو يخرج به من عقيدة كفرية أو فعل كفر

قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآياتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ﴾[السجدة:٢٢]

قال ابن القيم:

(١) مدارج السالكين (١/٣٣٧)

وأما كفر الإعراض: فأن يعرض بسمعه وقلبه عن الرسول لا يصدقه ولا يكذبه ولا يواليه ولا يعاديه ولا يصغي إلى ما جاء به البتة،كما قال أحد بني عبد ياليل للنبي صلى الله عليه وسلم: والله أقول لك كلمة إن كنت صادقًا فأنت أجل في عيني من أن أرد عليك، وإن كنت كاذبا فأنت أحقر من أن أكلمك. أهـ[1]

٤ . الاستهزاء والسخرية بالله، أو آياته، أو رسول من رسله[2]

وهذا كفر بنص الكتاب والسنة وإجماع المسلمين

قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾[التوبة:٦٥]

وقال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً﴾[النساء:١٤٠]

قال الإمام ابن حزم ـ رحمه الله ـ:

فصح بما ذكرنا أن كل من سب الله تعالى، أو استهزأ به، أو سب ملكا من الملائكة، أو استهزأ به، أو سب نبيا من الأنبياء، أو استهزأ به، أو سب آية

(١) مدارج السالكين (١/٣٣٧)

(٢) من أراد مزيد تفصيل في هذه المسألة فليرجع إلى كتاب (الاستهزاء بالدين وأهله) لمحمد بن سعيد القحطاني فقد أجاد حفظه الله

من آيات الله تعالى، أو استهزأ بها، والشرائع كلها والقرآن من آيات الله تعالى فهو بذلك كافر مرتد له حكم المرتد وبهذا نقول وبالله . أهـ[1]

ونقل الإمام القرطبي في تفسيره[2] عن القاضي أبو بكر بن العربي . رحمهما الله . وهو يشرح موقف المستهزئين في غزوة تبوك قوله:

لا يخلو أن يكون ما قالوه من ذلك جدًا أو هزلاً، وهو كيفما كان كفر فإن الهزل بالكفر كفر لا خلاف فيه بين الأمة، فإن التحقيق أخو العلم والحق والهزل أخو الباطل والجهل. أهـ

٥ . سب الله عز وجل، أو رسول من رسوله، أو سب دين الله:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُهِيناً﴾[الأحزاب:٥٧]

وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[التوبة: ٦١]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

وقال الإمام إسحاق بن راهوية أحد الأئمة الأعلام: أجمع المسلمون على أن من سب الله أو سب رسوله أو دفع شيئا مما أنزل الله عز وجل أو قتل نبيا من أنبياء الله عز وجل أنه كافر بذلك وإن كان مقرًا بكل ما أنزل الله .

(١) المحلى (٤١٣/١١)

(٢) تفسير القرطبي(١٩٧/٨)

وقال الخطابي: لا أعلم أحدًا من المسلمين اختلف في وجوب قتله وقال محمد بن سحنون: أجمع العلماء على أن شاتم النبي ﷺ المتنقص له كافر، والوعيد جار عليه بعذاب الله له، وحكمه عند الأمة القتل، ومن شك في كفره وعذابه كفر.أهـ[1]

وكذلك قذف أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بما برأها الله منه، قال الله تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾[الأحزاب: ٦].

وقال تعالى: ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾[النور: ٢٦].

قال أبو يعلى: من قذف عائشة رضي الله عنها بما برأها الله منه فقد كفر بلا خلاف.

قال شيخ الإسلام: "وقد حكى الإجماع على هذا غير واحد، وصرح غير واحد من الأئمة بهذا الحكم.

والصحيح أن من قذف واحدة من أمهات المؤمنين فهو كقذف عائشة رضي الله عنها؛ لأن فيه عار وغضاضة على رسول الله ﷺ وأذى له أعظم من أذاه بنكاحهن بعده".اهـ[2]

(١) الصارم المسلول ص ١٥

(٢) الصارم المسلول (ص: ٥٦٩)

٦ . الاستكبار على الله وشرعه:

وهو عدم الاعتراف بما جاء به الرسول من عند ربه كبرًا، أو عدم الخضوع لطاعة الله كبرًا.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾[البقرة:٣٤]

وقال تعالى: ﴿ إِلا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾[صّ:٧٤]

وقال تعالى على لسان نوح: ﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَاراً﴾[نوح:٧]

وقال تعالى عن المشركين:﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾[الصافات:٣٥]

وقال تعالى: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآياتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾[الأعراف:١٤٦]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

ومن استكبر عن عبادة الله فلم يستسلم له فهو معطل لعبادته وهو شر من المشركين كفرعون وغيره قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[غافر: ٦٠]. أ هـ [١]

وقال ابن القيم :

وأما كفر الإباء والاستكبار: فنحو كفر إبليس فإنه لم يجحد أمر الله ولا قابله بالإنكار؛ وإنما تلقاه بالإباء والاستكبار، ومن هذا كفر من عرف صدق الرسول وأنه جاء بالحق من عند الله ولم ينقد له إباء واستكبارا وهو الغالب على كفر أعداء الرسل كما حكى الله تعالى عن فرعون وقومه: ﴿ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ﴾[المؤمنون: ٤٧]، وقول الأمم لرسلهم: ﴿ إِنْ أَنْتُمْ إِلا بَشَرٌ مِثْلُنَا ﴾[إبراهيم: ١٠]، وقوله: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا﴾[الشمس:١١]

وهو كفر اليهود كما قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾[البقرة: ٨٩] ، وقال سبحانه : ﴿ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهمْ ﴾[البقرة: ١٤٦]، وهو كفر أبي طالب أيضا؛ فإنه صدقه ولم يشك في صدقه ولكن أخذته الحمية، وتعظيم آبائه أن يرغب عن ملتهم ويشهد عليهم بالكفر. أ هـ[٢]

(١) العقيدة الصفدية (٢/٣١٤)

(٢) مدارج السالكين (١/٣٣٧)

٧ . التكذيب: وهو تكذيب الرسل فيما جاءوا به من عند ربهم، أو تكذيب شئ من شرع الله.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾[الأنعام:٢١]

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الأَشْهَادُ هَؤُلاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[هود:١٨]

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوىً لِلْكَافِرِينَ﴾[العنكبوت:٦٨]

وقال تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَه أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوىً لِلْكَافِرِينَ﴾[الزمر:٣٢]

وقال تعالى: ﴿بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٥٩) وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوىً لِلْمُتَكَبِّرِينَ(٦٠)﴾[الزمر:٥٩ . ٦٠]

قال ابن القيم :

فأما كفر التكذيب: فهو اعتقاد كذب الرسل، وهذا القسم قليل في الكفار؛ فإن الله تعالى أيد رسله، وأعطاهم من البراهين والآيات على صدقهم ما أقام

به الحجة، وأزال به المعذرة قال الله تعالى عن فرعون وقومه: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً﴾[النمل: ١٤]

وقال لرسولهﷺ: ﴿فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾[الأنعام: ٣٣] وإن سمي هذا كفر تكذيب أيضا فصحيح إذ هو تكذيب باللسان. أ هـ(١)

والتكذيب نوعان: تكذيب القلب، وهو ما عناه ابن القيم

والنوع الثاني: تكذيب اللسان مع علم القلب، وهذا هو الجحود

٨ . العرافة والكهانة:

الكاهن هو: الذي يدعي المعرفة عن الكوائن في مستقبل الزمان، ويدعي معرفة الأسرار ومطالعة علم الغيب فيصيب بعضها ويخطئ في أكثرها، وذلك عن طريق الجن وغيره.

والعرَّاف هو: الذي يدعي علم ما مضي، كمعرفة السارق ومكان السرقة، واسم من يأتيه ومكانه، وذلك من خلال اتصاله بالجن.

قال الحافظ بن حجر:

والكهانة . بفتح الكاف ويجوز كسرها . ادعاء علم الغيب كالإخبار بما سيقع في الأرض مع الاستناد إلى سبب.

(١) مدارج السالكين (١/٣٣٧)

والأصل فيه: استراق الجني السمع من كلام الملائكة فيلقيه في أذن الكاهن.
والكاهن لفظ يطلق على العراف، والذي يضرب بالحصى، والمنجم ويطلق على من يقوم بأمر آخر ويسعى في قضاء حوائجه،
وقال في "المحكم ": الكاهن القاضي بالغيب.
وقال في "الجامع": العرب تسمي كل من أذن بشيء قبل وقوعه كاهنا.
وقال الخطابي: الكهنة قوم لهم أذهان حادة، ونفوس شريرة، وطباع نارية، فألفتهم الشياطين؛ لما بينهم من التناسب في هذه الأمور ومساعدتهم بكل ما تصل قدرتهم إليه.
وكانت الكهانة في الجاهلية فاشية خصوصا في العرب؛ لانقطاع النبوة فيهم.
وهي على أصناف منها:
١. ما يتلقونه من الجن فإن الجن كانوا يصعدون إلى جهة السماء فيركب بعضهم بعضا إلى أن يدنو الأعلى بحيث يسمع الكلام فيلقيه إلى الذي يليه إلى أن يتلقاه من يلقيه في أذن الكاهن فيزيد فيه، فلما جاء الإسلام ونزل القرآن حرست السماء من الشياطين، وأرسلت عليهم الشهب فبقي من استراقهم ما يتخطفه الأعلى فيلقيه إلى الأسفل قبل أن يصيبه الشهاب، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى: ﴿ إِلا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾[الصافات: ١٠]
وكانت إصابة الكهان قبل الإسلام كثيرة جدا كما جاء في أخبار شق

وسطيح ونحوهما، وأما في الإسلام فقد ندر ذلك جدا حتى كاد يضمحل ولله الحمد

٢. ثانيها: ما يخبر الجني به من يواليه بما غاب عن غيره مما لا يطلع عليه الإنسان غالبا، أو يطلع عليه من قرب منه لا من بعد.[١]

٣. ثالثها: ما يستند إلى ظن وتخمين وحدس، وهذا قد يجعل الله فيه لبعض الناس قوة مع كثرة الكذب فيه.

٤. رابعها: ما يستند إلى التجربة والعادة فيستدل على الحادث بما وقع قبل ذلك.[٢]

ومن هذا القسم الأخير ما يضاهي السحر وقد يعتضد بعضهم من ذلك بالزجر والطرق والنجوم وكل ذلك مذموم شرعا. أ هـ[٣]

روي أحمد في مسنده: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَالْحَسَنِ عَنْ النَّبِيِّ ﷺقَالَ: « مَنْ أَتَى كَاهِنًا أَوْ عَرَّافًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ»[١].

(١) وهذا حال من يستعين بالجن فيما يقدر عليه الجن وسؤاله عن أشياء وقعت

(٢) وهذا والذي قبله يقع فيه من يعالج بالقرآن في استخراج الجن والسحر، فإما أنه يصدق ما يسمعه من المريض، وإما أن المريض لا يتكلم فيخمن أن عليه جنًا يهوديًا أو نصرانيًا أو أو، أو أنه قد عمل له سحر، ثم يصنف هذا السحر بحسب تخمينه ولا حول ولا قوة إلا بالله، وهذا من الجهل وحب عرض الدنيا وقد أغرقوا الناس في بحر من الأوهام والرعب، مع العلم أن أمراض الجن والسحر ليست هكذا كما يتصورها هؤلاء، وإنما هي الرقية من الراقي والاستعانة بالطاعة من المريض.

(٣) فتح الباري (١٠/٢١٧،٢١٦)

وروى مسلم في صحيحه: عَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺقَالَ: « مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً»[٢]

٩ . السحر:[٣]

معناه في اللغة: ما لطف وخفي سببه.

وأما حقيقته والمقصد منه هنا كما قال ابن مفلح :

السحر: عقد ورقي وكلام يتكلم به، أو يعمل شيئا، يؤثر في بدن المسحور أو قلبه أو عقله من غير مباشرة له.

وله حقيقة في قول الأكثر، فمنه ما يقتل، ومنه ما يمرض، ومنه ما يمنع الرجل من وطء امرأته، ومنه ما يفرق بينهما. أ هـ[٤]

وأكثر السحرة يستعينون بالجن في إنفاذ سحرهم ويستعملون الطلاسم التي تؤدي بفعلها إلى الشرك بالله

ومن أنواعه: سحر الصرف: وهو التفريق بين اثنين فأكثر.

وسحر العطف: وهو الجمع بين اثنين فأكثر.

وحكم الساحر ومن يصدقه مختلف فيهما بحسب ما يقوم به الساحر

---

(١) مسند أحمد (٩١٧١) وأخرجه أبوداود في سننه (٣٤٠٥)، والترمذي في سننه (١٢٥)، وابن ماجة (٦٣١) وصححه الألباني

(٢) مسلم (٤١٣٧)

(٣) أنظر في هذا الأمر كتاب (عالم السحر والشعوذة) لعمر سليمان الأشقر فإنه فريد في بابه

(٤) المبدع لابن مفلح الحنبلي (١٨٨/٩)

قال تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[البقرة:١٠٢]

١٠ . بغض الله ورسوله، أو بغض شيء مما جاء به الرسول ﷺ من عند ربه:

وهذا كفر باتفاق المسلمين، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْساً لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ (٨) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ(٩)﴾[محمد: ٨، ٩]

١١ . استحلال ما حرم الله ورسوله، أو تحريم ما أحله الله ورسوله.

قال الشوكاني :

ومن استحل ما هو حرام كفر بالإجماع. أ هـ[١]

وقال ابن حزم :

(١) نيل الأوطار (٩/٧٢)

فمن أحل ما حرم الله تعالى وهو عالم بأن الله تعالى حرمه فهو كافر بذلك الفعل نفسه، وكل من حرم ما أحل الله تعالى فقد أحل ما حرم الله عز وجل لأن الله تعالى حرم على الناس أن يحرموا ما أحل الله. أ هـ[1]

١٢. الشرك في عبادة الله:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً﴾[النساء:١١٦]

وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ)﴾[المائدة:٧٢]

وسيأتي مزيد تفصيل في مبحث الشرك.

١٣ . عدم تكفير المشركين الأصليين، أو الشك في كفرهم، أو تصحيح مذهبهم:

وهم كل من دان بغير الإسلام، من اليهود والنصارى والمجوس والوثنيين وغيرهم من ملل الكفر.

وهذا كفر بإجماع المسلمين، ومن لم يكفر الكافر فهو كافر. وذلك لأن الله تعالى حكم بكفر هؤلاء فقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ

(١) الفصل (٣/١١٤)

يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[آل عمران:٨٥]

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعاً وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[المائدة:١٧]

وقال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾[التوبة: ٣٠]

١٤ . موالاة المشركين، ونصرتهم على المسلمين:

والمقصود بها المولاة القلبية بالحبة لهم ونصرتهم على المسلمين

قال تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾[آل عمران: ٢٨]

قال الشيخ السعدي رحمه الله:

وهذا نهي من الله تعالى للمؤمنين عن موالاة الكافرين بالمحبة والنصرة والاستعانة بهم على أمر من أمور المسلمين، وتوعد على ذلك فقال: ﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ أي: فقد انقطع عن الله، وليس له في

دين الله نصيب، لأن موالاة الكافرين لا تجتمع مع الإيمان.اهـ[1]

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[التوبة:٢٣]

وقال تعالى: ﴿لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهمْ أَوْ أَبْنَاءَهمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[المجادلة:٢٢]

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ ﴾[الممتحنة: ١]

١٥ . النفاق الاعتقادي:

ومعناه: إظهار الإسلام وإبطان الكفر والشرك بالله.

وهذا كان حال المنافقين في المدينة وعلى رأسهم عبدالله بن أبي بن أبي سلول قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ (٨) يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلا أَنْفُسَهُمْ وَمَا

(١) تفسير السعدي (ص: ١٢٧)

يَشْعُرُونَ(٩)﴾[البقرة:٨،٩]

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاؤُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلا قَلِيلاً﴾[النساء:١٤٢]

وقال تعالى:﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرا﴾[النساء:١٤٥]

وهذا النفاق أنواع منها:

أ ـ تكذيب الرسول ﷺ فيما جاء به من عند ربه، أو تكذيب بعضه

ب ـ بغض الرسول ﷺ، أو بغض بعض ما جاء به

جـ ـ المسرة بانخفاض دين الإسلام

د ـ الكراهية لانتصار دين الإسلام، ومحبة نصرة الكفار على المسلمين

١٦ ـ الاعتقاد الباطل المخالف لأصول الإسلام:

وهي كثير من القضايا الكفرية التي يجزم أصحابها بصحتها، كاعتقاد النصيرية في القول بألوهية علي بن أبي طالب رضي الله عنه، واعتقاد الروافض في تحريف القرآن، وردة كثير من الصحابة، وكاعتقاد الفلاسفة أمثال ابن سينا في عقيدته في النبوة أنه أمر كسبي والبعث بأنه بعث الأرواح لا بعث الأجساد، وكاعتقاد ابن عربي والسهروردي والحلاج والتلمساني في الاتحاد والحلول، وكاعتقاد المشركين من المتصوفة في الأولياء وأنهم يملكون النفع

والضر والتصرف في الكون، وكاعتقاد العلمانيين أن شرع الله لا ينفع في هذا العصر، وأن القوانين الوضعية أفضل من شرع الله، أو مثله، أو يجوز الحكم بها والتحاكم إليها، وكاعتقاد بعض المتصوفة أن الإنسان يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى ﷺ.

ولكل هذه القضايا تفصيلات ليس هذا موضع بسطها.

عاشرًا: قواعد وأمور مهمة للمسلم في مسألة تكفير المعين

اعلم أن الإقدام على تكفير مسلم أعظم من الإقدام على قتله، وإدخال ألف كافر الإسلام أهون من إخراج مسلم منه، ولذلك حذر النبي ﷺ من ذلك تحذيرًا شديدًا.

روى مسلم في صحيحه عن ابْنَ عُمَرَ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَيُّمَا امْرِئٍ قَالَ لأَخِيهِ يَا كَافِرُ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ وَإِلا رَجَعَتْ عَلَيْهِ»(١)

وفي لفظ للإمام أحمد في مسنده: «إِذَا قَالَ الرَّجُلُ لِصَاحِبِهِ يَا كَافِرُ فَإِنَّهَا تَجِبُ عَلَى أَحَدِهِمَا فَإِنْ كَانَ الَّذِي قِيلَ لَهُ كَافِرٌ فَهُوَ كَافِرٌ وَإِلا رَجَعَ إِلَيْهِ مَا قَالَ»(٢)

قال الإمام الشوكاني ـ رحمه الله ـ :

(١) مسلم (٦٢)، وأخرجه البخاري أيضًا (٥٦٣٨)

(٢) مسند أحمد (٥٥٦١) وصححه أحمد شاكر والألباني

اعلم أن الحكم على الرجل المسلم بخروجه من دين الإسلام ودخوله في الكفر لا ينبغي لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقدم عليه إلا ببرهان أوضح من شمس النهار؛ فإنه قد ثبت في الأحاديث الصحيحة المروية من طريق جماعة من الصحابة: أن من «قَالَ لأَخِيهِ يَا كَافِرُ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا» هكذا في الصحيح، وفي لفظ آخر في الصحيحين وغيرهما: (من دعا رجلا بالكفر أو قال عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه): أي رجع وفي لفظ في الصحيح: (فقد كفر أحدهما).

ففي هذه الأحاديث وما ورد موردها أعظم زاجر وأكبر واعظ عن التسرع في التكفير وقد قال الله عز وجل: ﴿وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً﴾[النحل: ١٠٦]، فلابد من شرح الصدر بالكفر وطمأنينة القلب به، وسكون النفس إليه، فلا اعتبار بما يقع من طوارق عقائد الشر لا سيما مع الجهل بمخالفتها لطريقة الإسلام، ولا اعتبار بصدور فعل كفري لم يرد به فاعله الخروج عن الإسلام إلى ملة الكفر، ولا اعتبار بلفظ تلفظ به المسلم يدل على الكفر وهو لا يعتقد معناه.أ هـ [1]

(١) السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار للشوكاني: (٤ /٥٨٤)

وإليك بعض القواعد الهامة في ذلك:

القاعدة الأولى: لا يكفر أحد من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله:

بمعنى أنه لا يجوز تكفير المسلم بمجرد فعله للذنب إلا إذا اعتقد أن فعله للمعصية أو تركه للفريضة ليس بحرام.(١)

وفي هذا رد على الخوارج الذين يكفرون المسلم بالكبيرة أو الإصرار عليها، وكذلك رد على المعتزلة الذين يخرجونه من الإيمان ويخلدونه في النار.

القاعدة الثانية: لا بد من التفرقة بين الحكم والمعين في مسألة الكفر:

بمعنى أنه لا يجوز تطبيق حكم الكفر على من ارتكبه بمجرد الفعل حتى يتبين من أمره، فليس كل من وقع في الكفر وقع الكفر عليه، إلا في مسألة السب والاستهزاء فيشرع إطلاق الكفر على من ارتكب مثل ذلك ما لم يكن مكرهًا أو مجنونًا وما في حكمهما. لقول الله تعالى: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾[التوبة: ٦٦]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ:

وحقيقة الأمر في ذلك: أن القول قد يكون كفرا فيطلق القول بتكفير صاحبه، ويقال من قال كذا فهو كافر، لكن الشخص المعين الذي قاله لا يحكم بكفره حتى تقوم عليه الحجة التي يكفر تاركها.

(١) وكذلك جحود الذنب أو إنكاره أنه ذنب

وهذا كما في نصوص الوعيد فان الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً﴾[النساء:١٠]

فهذا ونحوه من نصوص الوعيد حق، لكن الشخص المعين لا يشهد عليه بالوعيد، فلا يشهد لمعين من أهل القبلة بالنار؛ لجواز أن لا يلحقه الوعيد؛ لفوات شرط؛ أو ثبوت مانع، فقد لا يكون التحريم بلغه، وقد يتوب من فعل المحرم، وقد تكون له حسنات عظيمة تمحو عقوبة ذلك المحرم، وقد يبتلى بمصائب تكفر عنه، وقد يشفع فيه شفيع مطاع، وهكذا الأقوال التي يكفر قائلها قد يكون الرجل لم تبلغه النصوص الموجبة لمعرفة الحق، وقد تكون عنده ولم تثبت عنده، أو لم يتمكن من فهمها، وقد يكون قد عرضت له شبهات يعذره الله بها.

فمن كان من المؤمنين مجتهدا في طلب الحق وأخطأ فإن الله يغفر له خطأه كائنا ما كان سواء كان في المسائل النظرية أو العملية هذا الذي عليه أصحاب النبي ﷺ وجماهير أئمة الإسلام. أ هـ[1]

(١) مجموع الفتاوى (٣٤٥/٢٣)

القاعدة الثالثة: تكفير المعين لابد من إثبات شروط وانتفاء موانع في حقه:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وأصل ذلك أن المقالة التي هي كفر بالكتاب والسنة والإجماع يقال: هي كفر قولاً يطلق، كما دل على ذلك الدلائل الشرعية، فإن الإيمان من الأحكام المتلقاة عن الله ورسوله، ليس ذلك مما يحكم فيه الناس بظنونهم وأهوائهم، ولا يجب أن يحكم في كل شخص قال ذلك بأنه كافر، حتى يثبت في حقه شروط التكفير، وتنتفي موانعه. اهـ(١)

وذلك على النحو التالي:

الشرط الأول: العلم بما فعله أنه كفر.

والمانع من ذلك: الجهل بذلك

قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[الإسراء: ١٥]

قال الإمام الشافعي: لله أسماء وصفات لا يسع أحداً ردها، ومن خالف بعد ثبوت الحجة عليه فقد كفر، وأما قبل قيام الحجة فإنه يعذر بالجهل، لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل، ولا الرؤية والفكر. اهـ(٢)

وقال الإمام ابن حزم: ولا خلاف في أن امرءاً لو أسلم، ولم يعلم شرائع الإسلام، فاعتقد أن الخمر حلال، وأن ليس على الإنسان صلاة، وهو لم

(١) مجموع الفتاوى (٣٥/ ١٦٦)

(٢) فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٤٠٧)

يبلغه حكم الله تعالى لم يكن كافراً بلا خلاف يعتد به، حتى إذا قامت عليه الحجة، فتمادى، حينئذ بإجماع الأمة فهو كافر.اهـ [1]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: إن تكفير المعين وجواز قتله موقوف على أن تبلغه الحجة النبوية التي يكفر من خالفها، وإلا فليس كل من جهل شيئاً من الدين يكفر.اهـ[2]

الشرط الثاني: قصد الكفر

والمانع منه: الخطأ وعدم قصد الكفر، وكذلك التأويل عن اجتهاد.

قال تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾[الأحزاب: ٥]

وقال تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾[البقرة: ٢٨٦]

قال الله: «قد فعلت»[3]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وأجمع الصحابة وسائر أئمة المسلمين على أنه ليس كل من قال قولا أخطأ فيه أنه يكفر بذلك وإن كان قوله مخالفا للسنة فتكفير كل مخطئ خلاف الإجماع.اهـ[4]

---

(١) المحلى (١١/ ٢٠٦)

(٢)الرد على البكري (٢/ ٤٩٢)

(٣) أنظر صحيح مسلم (١/ ١١٦)كتاب الايمان ح (٢٠٠)

(٤) مجموع الفتاوى (٧/ ٦٨٥)

وقال الإمام الذهبي: الوعيد لا يتناول المجتهد المتأول وإن كان مخطئا فإن الله تعالى يقول في دعاء المؤمنين ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ قد فعلت

وقد عفا للمؤمنين عن النسيان والخطأ والمجتهد المخطئ مغفور له خطأه.اهـ[1]

الشرط الثالث: الحرية في التصرف.

والمانع من ذلك الإكراه مع اطمئنان القلب بالإيمان

قال تعالى:﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ ﴾[النحل: ١٠٦]

قال الإمام البغوي: وأجمع العلماء على: أن من أكره على كلمة الكفر، يجوز له أن يقول بلسانه، وإذا قال بلسانه غير معتقد لا يكون كفرا، وإن أبى أن يقول حتى يقتل كان أفضل.اهـ[2]

الشرط الرابع: وعي العقل.

والمانع من ذلك: النسيان

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ، وَالنِّسْيَانَ، وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ)[1]

(١) المنتقى من منهاج الاعتدال (ص: ٢٢٥)

(٢) تفسير البغوي (٥/ ٤٦)

الشرط الخامس: سلامة العقل.

والمانع من ذلك: الجنون

فالمجنون ليس بمكلف فلا يصح منه إيمان ولا كفر

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: فمن لا عقل له لا يصح إيمانه ولا فرضه ولا نفله، ومن كان يهوديا أو نصرانيا ثم جن وأسلم بعد جنونه لم يصح إسلامه، لا باطنا ولا ظاهرا، ومن كان قد آمن ثم كفر وجن بعد ذلك فحكمه حكم الكفار، ومن كان مؤمنا ثم جن بعد ذلك أثيب على إيمانه الذي كان في حال عقله، ومن ولد مجنونا ثم استمر جنونه لم يصح منه إيمان ولا كفر.اهـ[٢]

الشرط السادس: البلوغ، فلا يحكم على صبي قال كفرًا أو فعل كفرًا.

عَنْ عَائِشَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثٍ عَنْ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ وَعَنْ الصَّغِيرِ حَتَّى يَكْبُرَ وَعَنْ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَعْقِلَ أَوْ يُفِيقَ»[٣]

(١) صحيح: أخرجه ابن حبان (١٦/ ٢٠٢) والحاكم في المستدرك (٢/ ١٩٩)وصححه، وأيضا صححه الالباني

(٢) بيان الدليل على بطلان التحليل (٢/ ٢٢٠)

(٣) صحيح: أخرجه النسائي (٦/ ٤٦٨) والدارمي (٢/ ٢٢٥) وماجه (١/ ٦٥٨) بسند صحيح

الفصل الثالث

التوحيد

المبحث الأول

معنى التوحيد وأقسامه

أولا: معنى التوحيد

لغةً: من وحّد يوحَّد، وهو الاعتقاد بأن الشيء واحد، ووحد أي فرد، وتوحد برأيه أ تفرد

قال ابن الأثير: في أسماء الله تعالى "الواحد" هو الفرد الذي لم يزل وحده ولم يكن معه آخر.

وقيل: الواحد: هو الذي لا يتجزأ ولا يثنى ولا يقبل الانقسام ولا نظير له ولا مثل.،ولا يجمع هذين الوصفين إلا الله تعالى[1]

قال تعالى: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾[البقرة: ١٦٣]

"أي: متوحد منفرد في ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله"[2]

وشرعًا: هو إفراد الله بالوحدانية في الربوبية والألوهية والأسماء والصفات

(١) أنظر لسان العرب (٣/ ٤٤٦)

(٢) تفسير السعدي (ص: ٧٧)

عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «مَنْ وَحَّدَ اللَّهَ وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِهِ، حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ».[1]

ثانيا: أقسام التوحيد

التوحيد ينقسم إلى ثلاثة أقسام: توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات وتوحيد الألوهية.

وبتقسيم آخر: ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: توحيد المعرفة والإثبات، ويسمى التوحيد العلمي الخبري؛ ويشمل توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات

والقسم الثاني: توحيد الطلب والقصد؛ ويشمل توحيد الألوهية.

وسنتكلم على كل قسم من هذه الأقسام بأذن الله تعالى

أنواع التوحيد الذي دعت إليه الرسل:

ثم التوحيد الذي دعت إليه رسل الله ونزلت به كتبه نوعان: توحيد في الإثبات والمعرفة، وتوحيد في الطلب والقصد.

فالأول: هو إثبات حقيقة ذات الرب تعالى وصفاته وأفعاله وأسمائه، ليس كمثله شيء في ذلك كله، كما أخبر به عن نفسه، وكما أخبر رسوله ﷺ

(١) صحيح أخرجه ابن حبان (١/ ٣٩٥) وأحمد (٣/ ٤٧٢) ومسلم (١/ ١١٩)

وقد أفصح القرآن عن هذا النوع كل الإفصاح، كما في أول "الحديد" و "طه" وآخر "الحشر" وأول "الم تنزيل السجدة "وأول "آل عمران" وسورة "الإخلاص" بكمالها، وغير ذلك.

والثاني: وهو توحيد الطلب والقصد، مثل ما تضمنته سورة ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، و﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾[آلِ عِمْرَانَ:٦٤]، وأول سورة "تنزيل الكتاب "وآخرها، وأول سورة "يونس" وأوسطها وآخرها، وأول سورة "الأعراف" وآخرها، وجملة سورة "الأنعام".

وغالب سور القرآن متضمنة لنوعي التوحيد، بل كل سورة في القرآن.

فإن القرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته، وهو التوحيد العلمي الخبري.

وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلع ما يعبد من دونه، فهو التوحيد الإرادي الطلبي. وإما أمر ونهي وإلزام بطاعته، فذلك من حقوق التوحيد ومكملاته.

وإما خبر عن إكرامه لأهل توحيده، وما فعل بهم في الدنيا، وما يكرمهم به في الآخرة، وهو جزاء توحيده.

وإما خبر عن أهل الشرك، وما فعل بهم في الدنيا من النكال، وما فعل بهم في العقبى من العذاب فهو جزاء من خرج عن حكم التوحيد.اهـ [1].

(١) شرح الطحاوية (ص: ٤١) ط الأوقاف السعودية

المبحث الثاني
توحيد الربوبية

أولاً: معناه

معنى الرب لغة وشرعًا: هو السيد والمالك والمربي والمنشئ والمصلح والمدبر والقيم والمنعم(١)

ويطلق على الله تعالى وغير الله مضافا فيقال: رب الدابة، رب البيت، رب العمل

ويقال عن الله: رب الناس، رب العالمين، ونحوه

ولا يطلق معرفا "الرب" إلا على الله تعالى.

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾[يوسف:٥٠]

وقد فسَّر السلف جميعًا الرب في هذه الآية وأمثالها بمعنى السيد والملك كما قدمنا(٢).

(١) انظر النهاية في غريب الأثر (٢/ ٤٥٠) باب: ربب، والمعجم الوسيط (١/ ٣٢١)

(٢) أنظر في ذلك تفسير ابن جرير الطبري(٢٣٤،٢٢٢/١٢)، وكتاب (خطأ في التفسير) لوحيد الدين خان

وقد أخطأ بعض المعاصرين بتفسير الرب بمعنى الحاكم، دون أثارة من علم، وقد خدم بذلك منهج الخوارج، ومن على شاكلتهم ممن لديهم شهوة تكفير الناس عصبية وحماقة.

ومعنى توحيد الربوبية شرعًا: هو الاعتقاد بأن الله سبحانه هو الخالق لهذا الكون المالك له وهو الرازق والمحيي والمميت وهو المدبر ولا مدبر سواه.

"فلا خالق ولا رازق ولا معطي ولا مانع ولا محيي ولا مميت ولا مدبر لأمر المملكة ظاهرا وباطنا غيره سبحانه، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا تتحرك ذرة إلا بإذنه، ولا يجوز حادث إلا بمشيئته، ولا تسقط ورقة إلا بعلمه، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا وقد أحصاها علمه، وأحاطت بها قدرته، ونفذت فيها مشيئته، واقتضتها حكمته.[1]

وهو توحيد الله سبحانه بأفعاله. ويجمعها ثلاث كلمات: إفراد الله بالخلق والملك والتدبير.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ

(١) أنظر تاج العروس من جواهر القاموس (٩/ ٢٧٦)

السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[البقرة:٢١،٢٢]

وقال تعالى: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لا إِلَهَ إِلا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾[الأنعام:١٠٢]

وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[الأعراف:٥٤]

وقال تعالى: ﴿رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً﴾[الإسراء:٦٦]

وقال تعالى: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمّىً ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾[فاطر:١٣]

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ قَرَاراً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[غافر:٦٤]

ثانيًا: الذين أنكروا توحيد الربوبية [1]

إنكار توحيد الربوبية معناه: إنكار أن هناك خالق رازق ملك مدبر لهذا الكون وما فيه.

وهم أصناف منها:

الدهرية قديما، وهم مذهب كان عليه بعض مشركي العرب قبل البعثة، حيث قال الله عنهم: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلا يَظُنُّونَ﴾[الجاثية:٢٤]

عن أبي هريرة، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم، قال: (كَانَ أَهْلُ الجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ: إِنَّمَا يُهْلِكُنَا اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَهُوَ الَّذِي يُهْلِكُنَا وَيُمِيتُنَا وَيُحْيِينا، فقال الله في كتابه: ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلا الدَّهْرُ﴾ قال: فَيَسُبُّونَ الدَّهْرَ، فَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ وأنا الدَّهْرُ، بِيَدِي الأَمْرُ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ).[2]

والدهرية قسمان:

قسم أنكروا الخالق سبحانه، وقسم أنكروا البعث

قال ابن كثير رحمه الله:

---

(١) أنظر في ذلك كتاب (تلبيس إبليس) لابن الجوزي ص٥٥، وكتاب (الفصل في الملل والأهواء والنحل) لابن حزم (١٥/١)، (والملل والنحل) للشهرستاني (٤/٢)

(٢) إسناده صحيح: أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٢/ ٧٩) والدارقطني في العلل (٨/ ٨١)

"يخبر تعالى عن قول الدهرية من الكفار ومن وافقهم من مشركي العرب في إنكار المعاد: ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾

أي: ما ثم إلا هذه الدار، يموت قوم ويعيش آخرون وما ثم معاد ولا قيامة وهذا يقوله مشركو العرب المنكرون للمعاد، ويقوله الفلاسفة الإلهيون منهم، وهم ينكرون البداءة والرجعة، ويقوله الفلاسفة الدهرية الدورية المنكرون للصانع المعتقدون أن في كل ستة وثلاثين ألف سنة يعود كل شيء إلى ما كان عليه. وزعموا أن هذا قد تكرر مرات لا تتناهى، فكابروا المعقول وكذبوا المنقول"اهـ[1]

والصنف الثاني من منكري الربوبية: الشيوعية في زماننا

حيث يقوم مذهبهم على : إنكار وجود الله تعالى، واعتبار المادة أزلية أبدية، وهي كل شيء في الوجود.[2]

وأصل الشيوعية مذهب اقتصادي اجتماعي وضع له أساس اعتقادي فكري، قائم على إنكار وجود رب خالق لهذا الكون، وأن المادة هي كل الوجود، وأن أحداثها وتغيراتها مع أحداث التاريخ الإنساني تخضع لقانون جبري

(١) تفسير ابن كثير (٧/٢٦٨، ٢٦٩) وانظر تفصيل ذلك في كتاب إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان لابن قيم الجوزية (٢/ ٢٥٦)

(٢) انظر كتاب كواشف زيوف للشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني (ص:٤٤٠)

مزعوم في المادة، على أنه صفة من صفاتها الذاتية، أساسه فكرة فلسفية عنوانها "المادة الجدلية" [1]

وللرد على هؤلاء كما سئل الأعرابي عن وجود الله فقال: إن البعرة لتدل على البعير، وإن الأثر ليدل على المسير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج، ألا يدل ذلك على اللطيف الخبير ؟!!

قال الإمام ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ:

قد أوهم إبليس خلقًا كثيرًا أنه لا إله ولا صانع، وأن هذه الأشياء كانت بلا مكون، وهؤلاء لما لم يدركوا الصانع بالحس، ولم يستعملوا في معرفته العقل جحدوه، وهل يشك ذو عقل في وجود صانع، فإن الإنسان لو مر بقاع ليس فيه بنيان، ثم عاد فرأى حائطًا مبنيًا علم أنه لا بد له من بان بناه، فهذا المهاد الموضوع، وهذا السقف المرفوع، وهذه الأبنية العجيبة والقوانين الجارية على وجه الحكمة، أما تدل على صانع !!

وما أحسن ما قال بعض العرب: إن البعرة تدل على البعير فهيكل علوي بهذه اللطافة، ومركز سفلي بهذه الكثافة، أما يدلان على اللطيف الخبير ثم لو

(١) المصدر السابق (ص:٤٣٩) وأنظر أيضا للمؤلف كتاب (الكيد الأحمر).ومؤسس الشيوعية في العصر الحديث هو كارل ماركس المتوفى سن ١٨٨٣م، وهو يهودي الأصل، وقد أفسدت الشيوعية وهلك من جرائها البلاد والعباد والأموال، سقطت هيبتها ولم تسقط هي فهي الآن موجودة في كثير من الدول وفي بلاد عربية أحزاب شيوعية لها طابع سياسي، ولذلك فلا يغفل لإنسان عن دراسة هذه الأنظمة والتحذير منها.

تأمل الإنسان نفسه لكفت دليلا، ولشفت غليلا؛ فإن في هذا الجسد من الحكم ما لا يسع ذكره في كتاب، ومن تأمل تحديد الأسنان لتقطع، وتقريض الأضراس لتطحن، واللسان يقلب الممضوغ، وتسليط الكبد على الطعام ينضجه ثم ينفذ إلى كل جارحة قدر ما تحتاج إليه من الغذاء، وهذه الأصابع التي هيئت فيها العقد لتطوي، وتنفتح فيمكن العمل بها، ولم تجوف لكثرة عملها؛ إذ لو جوفت لصدمها الشيء القوي فكسرها، وجعل بعضها أطول من بعض لتستوي إذا ضمت، وأخفي في البدن ما فيه قوامه وهي النفس التي إذا ذهبت فسد العقل الذي يرشد إلى المصالح، وكل شيء من هذه الأشياء ينادي (﴿ أَفِي اللَّهِ شَكٌ﴾[إبراهيم: ١٠] وإنما يخبط الجاحد لأنه طلبه من حيث الحس. أ هـ[١]

ونسأل أمثال هؤلاء: هل يقبل بعقله أن يرى سيارة تسير على الأرض، أو طائرة تحلق في السماء، أو مصنعًا يخرج مثل هذه الأشياء صدفة من غير صانع ؟!!

والجواب بالبديهي: لا

فكيف بعقل من صنع الطائرة والسيارة وأنشأ المصنع ؟ أهكذا خُلق صدفة !!؟

(١) تلبيس إبليس لابن الجوزي(ص: ٤٠)

فكيف بهذا الكون وما فيه من بديع الصنع ؟ ! !

قال تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[الحج:٤٦].

هذا والدهرية ومن ينكرون الخالق فرق شتى، هؤلاء أخبثهم

ثالثًا: الذين أقروا بوجود رب خالق للكون

وهم الذين اعترفوا بأن للكون ربًا خالقًا له، وإن اختلفت تصوراتهم لهذا الرب، وهم جميع الطوائف عدا الدهرية والشيوعية، سواء كانوا من أصحاب الديانات ذات الأصول السماوية أو الديانات الأرضية.

رابعًا: الذين أشركوا في توحيد الربوبية.

والشرك في الربوبية هو الاعتقاد بأن غير الله تعالى له القدرة على التصرف فيما لا يقدر عليه إلا الله. أو الغلو في أشخاص ورفعهم إلى منزلة الله، فيغفر ذنبا ويفرج كربا ويرزق خلقا ويشفي مريضا ويحي موتى. وهم أصناف:

أ . اليهود: حيث زعمت طائفة منهم أن عزيرًا ابن الله وأن له في تدبير أمور العباد، وحيث وصفوا الله بأنه فقير وأنهم هم الأغنياء، وأن يده مغلولة، وجعلوا للأحبار والرهبان حق التشريع والتحليل والتحريم، تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا

قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (٣٠) اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣١) ﴾[التوبة: ٣٠، ٣١]

قال ابن عادل:

لما حكم تعالى في الآيةِ المتقدِّمة على اليهودِ والنَّصارى بأنهم لا يُؤمنونَ بالله ، شرح ذلك في هذه الآية ، بأن نقل عنهم أنهم أثبتُوا للهِ ابناً ومنْ جوَّز ذلك في حق الإله ، فقد أنكر الإله في الحقيقة ، وأيضاً بيَّن تعالى أنهم بمنزلة المشركين في الشرك وإن كانت طرق القول بالشرك مختلفة ، إذ لا فرق بين من يعبد الصَّنم وبين من يعبد المسيح وغيره ، لأنه لا معنى للشرك إلاَّ أن يتَّخذ الإنسانُ مع الله معبوداً ، وهذا معنى الشِّرك ، بل لو تأمَّلنَا لعلمنا أن كفر عابد الوثن أخَفّ من كفر النصارى؛ لأنَّ عابد الوثن لا يقولُ: إنَّ هذا الوثن خالق للعالم ، بل يجريه مجرى الشيء الذي يتوسَّلُ به إلى طاعة الله ، والنَّصارى يثبتون الحلول والاتحاد وذلك كفر قبيح؛ فثبت أنَّه لا فرق بين هؤلاء الحلولية وبين سائر المشركين.[1]

١ تفسير اللباب لابن عادل (ص: ٢٦٠٥)

ب . النصارى: حيث زعموا أن عيسى ابن الله أو هو الله أو هو وأمه إلهين من دون الله. تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا

قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعاً وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[المائدة:١٧]

وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾[المائدة:٧٢]

وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[المائدة:٧٣]

وعقيدة النصارى في المسيح عقيدة باطلة بكافة أشكالها.(١)

ج . الديانات الوثنية:

. منها: **الديانة المجوسية الزردشتية** (١):ومن عقائدهم

(١) فليراجع في ذلك كتاب: "الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح "لشيخ الإسلام ابن تيمية، وكتاب "إظهار الحق" للعلامة محمد رحمت الله الهندي وهو من أفضل ما كتب في هذا الباب.

١ . إظهار سبب امتزاج النور بالظلمة.

٣ . بيان سبب خلاص النور من الظلمة.

٣ . الاعتقاد بوجود إلهين.

ومثل الديانة البرهمية[٢] حيث اعتقدوا أن هناك إله للخير وإله للشر.

وعقيدتهم:

---

(١) فالمجوس: كلمة فارسية تطلق على أتباع الديانة المجوسية، والديانة المجوسية ديانة وثنية ثنوية منذ أكثر من ٣٠٠ سنة تقول بإلهين اثنين، أحدهما إله للخير والآخر إله للشر، وبينهما صراع دائم إلى قيام الساعة، التي تقوم حسب زعمهم الفاسد نتيجة لانتصار إله الخير على إله الشر. وهي تقوم على تقديس الكواكب والنار، جددها " زرادشت " فيما بعد، ولعل من أسباب تقديسها للنار أنها جوهر شرف علوي، وأنها لم تحرق النبي إبراهيم عليه السلام، ولعل تعظيمهم لها ينجيهم من العذاب في الآخرة وقد اختلف العلماء في سبب تسميتها إلى أقوال عديدة، منها أنها نسبة إلى رجل اسمه مجوس، أو أنه وصف لرجل انتسبت إليه المجوسية، أو أنها نسبة لقبيلة من قبائل الفرس، أو أنها وصف لعبادة النار

٢ الهندوسية واحدة من أقدم الديانات المعروفة – ترجع الكتابات المقدسة لدى الهندوس إلى حوالي عام ١٤٠٠ – عام ١٦٠٠ ق. م. وهي أيضاً واحدة من أكثر الديانات تعقيداً وتنوعاً إذ يؤمن الهندوس بملايين الآلهة. يوجد لدى الهندوس تشكيلة واسعة من المعتقدات الأساسية ولهم طوائف مختلفة. ورغم أن الهندوسية تعتبر ثالث الديانات الكبرى في العالم، إلا أنها توجد أساساً في الهند ونيبال. رغم أن الهندوسية تعتبر من الديانات متعددة الآلهة، إذ تعترف بوجود حوالي ٣٣٠ مليون إله، إلا أنه يوجد لها إله واحد فوق هذه الآلهة وهو البراهما. براهما هو كيان يعتقد أنه يسكن كل جزء من العالم الواقعي في كل أنحاء الكون. براهما هو كيان مجهول لا يمكن الاستدلال عليه، وكثيراً ما يعتقد أنه يوجد في ثلاثة صور منفصلة: براهما أي الخالق؛ فينشو أي الحافظ؛ شيفا أي المهلك. هذه "الوجوه" الثلاثة للبراهما معروفة أيضاً من خلال صور التجسد الكثيرة لكل منها.

١ . أحدية – القول بأن ثمة مبدأ غائي واحد موجود؛ مدرسة سنكارا.
٢. وحدوية الوجود – القول بوجود شيء الهي واحد فيكون الله والطبيعة شيء واحد؛ البراهماتية.
٣. وحدوية الله والوجود – الطبيعة هي جزء من الله؛ مدرسة رامانوجا.
٤. التوحيد – القول بوجود اله واحد، منفصل عن الطبيعة؛ الهندوسية البهاكتية.

ومنها: الديانة الكونفوشسية[1] ومن عقيدتها:

– الإله الأعظم أو إله السماء، ويتوجهون إليه بالعبادة كما أن عبادته وتقديم القرابين إليه مخصوصة بالملك أو بأمراء المقاطعات.

– للأرض إله وهو إله الأرض ويعبده عامة الصينيين. الشمس والقمر.. لكل منها إله وعبادتها وتقديم القرابين إليها وهي مخصوصة بالأمراء. والملائكة: تقدس ويقدم لها القرابين. وأرواح الأجداد: يعتقدون ببقائها ويستخدم في تدخيلها الموسيقى الحزينة. ويوجد في كل منزل معبد لأرواح الأموات ولآلهة المنزل

(١) ديانة أهل الصين وترجع إلى الفيلسوف كونفوشيوس المولود في مدينة تسو الصينية عام ٥٥١ ق.م. داعى إلى إحياء الطقوس والعادات والتقاليد الدينية التي ورثها الصينيون عن أجدادهم مضيفاً إليها جانباً من فلسفته وآرائه في الأخلاق والمعاملات والسلوك القويم. وهي تقوم على عبادة إله السماء أو الإله الأعظم وتقديس الملائكة،وعبادة أرواح الآباء والأجداد.

ومنها: الديانة البوذية[1]: إذ يعتقد البوذيون أن بوذا هو ابن الله، وهو المخلص للبشرية من مآسيها وآلامها، وأنه يتحمل عنهم جميع خطاياهم، ويعتقدون أن تجسد بوذا كان بواسطة حلول روح القدس على العذراء مايا، وغالى البوذيون في بوذا حتى ألهوه فهو معبودهم الأول في هذا الشأن. وكتبهم ليست منزلة ولا يدّعون هم ذلك.

– وينقسم البوذيون إلى قسمين: بوذيون متدينون: وهؤلاء يأخذون بكل تعاليم بوذا وتوصياته. وبوذيون مدنيون: وهؤلاء يقتصرون على بعض التعاليم والوصايا فقط.

– والبوذية لها مذهبان: المذهب الشمالي: وقد غالى أهله في بوذا حتى ألهوه. والمذهب الجنوبي: وهؤلاء معتقداتهم أقل غلواً في بوذا.

د . بعض المنتسبين إلى الإسلام:

أمثال الصوفية الفلسفية الذين اعتقدوا أن الله حل في مخلوقاته، أو اتحد معهم أمثال الحلاج وابن عربي والسهروردي وابن سبعين والتلمساني المغربي وغيرهم

(١) ديانة ظهرت في بلاد الهند بعد الديانة البرهمية أسسها سدهارتا جوتاما الملقب ببوذا عام (٥٦٠ – ٤٨٠ ق.م) وبوذا تعني العالم ويلقب بالمعتكف أيضاً، دعت في بدايتها إلى التصوف والخشونة ونبذ الترف والمناداة بالمحبة والتسامح وفعل الخير، لكنها لم تلبث بعد موت مؤسسها أن تحولت إلى معتقدات باطلة ذات طابع وثني، حتى غالى أتباعها في مؤسسها فألهوه.

مـن الزنادقـة[١]، وأمثـال الصـوفية المشـركين الـذين اعتقـدوا أن للكـون أربـع أقطـاب يتصـرفون فيـه [٢]، وأن الأوليـاء لهـم شـأن في تصـريف أمـور العبـاد، وأمثال الفرق الباطنية كالإسماعيلية[٣].

والنصيرية[٤]،

(١) أنظر كتاب: "مصرع التصوف" للإمام البقاعي، وكتاب: "هذه هي الصوفية "للشيخ عبد الرحمن الوكيل

(٢) وهم أحمد البدوي وإبراهيم الدسوقي وأحمد الرفاعي وعبد القادر الجيلاني، والأولان من الشيعة الباطنية، والآخران من أهل السنة وهما بريئان مما يفعل بهما إحسانًا للظن، وانظر في ذلك كتاب "هذه هي الصوفية " لعبد الرحمن الوكيل.

(٣) هم فرقة تعتقد الإمامة لإسماعيل بن جعفر الصادق، فسُمّوا " الإسماعيلية" .وهؤلاء قد زعموا أن جعفر الصادق نصّ على إمامة إسماعيل. وقد وقع الخلاف بينهم: هل مات إسماعيل في حياة أبيه أولا ؟ والأشهر أنه مات في حياة أبيه سنة ١٤٥ هـ ومن عقائدهم: القول بأن لهذا الكون إلهين ! ويُعبر عنه عندهم بـ " السابق والتالي "، وهذا معتقد مجوسي ! وهو موجود حتى عند المعاصرين، بل عند الكتّاب والمثقفين منهم! وهم يقولون بالحلول، وبِقِدَم العالَم. والقول بتناسخ الأرواح. والقول بالوصية والرجعة. وقد ادعى بعض دعاتهم النبوة – كما تقدم– .بل ادعى سلطانهم طاهر سيف الدين أنه إله حقيقة، وكان ذلك سنة ١٩١٧م

(٤) النصيرية هي إحدى الفرق الباطنية الغلاة، ظهرت في القرن الثالث للهجرة انشقت عن فرقة الإمامية الإثنى عشرية. تنتسب هذه الطائفة إلى زعيمهم محمد بن نصير النميري، وكنيته أبو شعيب، وكان من الشيعة الاثني عشرية، وأصله من فارس، ثم انفصل عنهم إثر نزاع بينه وبينهم على ثبوت صفة الباب له، حيث ادعى أنه الباب إلى المهدي المنتظر فلم تقرّ له الإمامية بذلك فانفصل عنهم وكوّن له طائفة وقد ظل زعيماً لطائفته إلى أن هلك سنة ٢٦٠هـ، وبعضهم يذكر أنه في سنة ٢٧٠هـ وقد كان فيما يقول علماء الفرق – مولى للحسن العسكري– الإمام الحادي عشر للشيعة الاثني عشرية– ولقد كان للحسن العسكري موقف شديد منه ومن آرائه الكفرية.

والدروز[1]،

من أهم عقائدهم::١ . تأليه الإمام علي رضي الله عنه، زاعمين أنه إمام في الظاهر وإله في الباطن لم يلد ولم يولد، ولم يمت ولم يقتل، ولا يأكل ولا يشرب.

٢ . القول بالتناسخ: وهو ناتج عن عدم إيمانهم باليوم الآخر، فالروح بعد موت صاحبه تنتقل إلى آخر.

٣. تقديس الخمر؛ حيث زعموا أن الله تعالى يتجلى فيها وأنها تسمى عبد النور تشريفاً لها، وجعلوا من أكبر الإجرام قلع شجرة العنب.

جرائمهم: والنصيريون كغيرهم من أعداء العقيدة الإسلامية الذين يتربصون بالمسلمين الدوائر، إذ لم تمر بهم فرصة دون أن يهتبلوها في إيقاع أكبر الأذى بالمسلمين، والنصيريون حينما يوقعون الأذى بالمسلمين دون هوادة أو رحمة، يعتقدون في نفس الوقت أنهم يثابون على ذلك، فكلما أوغل الشخص منهم في إلحاق الأذى بالمسلمين كلما زاد ثوابه حسب اعتقادهم، وهذا ظاهر في غلظتهم ومعاملتهم للمسلمين.

وأقرب مثال على مواقف النصيريين في العصر الحاضر ما يجري في أماكن المسلمين في سوريا ولبنان من تقتيلهم الأبرياء من الرجال والنساء والأطفال، ثم وقوفهم كذلك في صف المارونيين والخمينيين. ولقد هيأ هؤلاء للتتار قديماً وللصليبيين الفرص لذبح المسلمين وإنزال أفدح المصائب بهم، مما لم يسمع بمثله باعتراف كتَّاب النصيرية أنفسهم. وما فعله حافظ الأسد وأخيه رفعت وابنه بشار بالمسلمين في سوريا يندى له الجبين، طهر الله الأرض منهم.

(١) الدروز: هي إحدى فرق الباطنية الإسماعيلية العبيدية الغلاة الذين ألهوا الحاكم بأمر الله، وجحدوا كل ما أخبر الله به؛ من يوم القيامة والثواب والعقاب، وقالوا بالتناسخ الذي يسمونه التقمص مخالفة للنصيرية، ظهرت في بداية القرن الخامس الهجري في مصر، ولقد حذر علماء المسلمين من هذه الطائفة أشد تحذير.

يقول عنهم العلامة السفاريني وعن كتبهم ووجوب إتلافها هي وجميع كتب أهل الكفر: "وكتب أهل الكفر لا سيما كتب الدروز عليهم لعنة الله، فقد نظرت في بعضها فرأيت العجب العجاب، فلا يهود ولا نصارى ولا مجوس مثلهم؛ بل هم أشد من علمنا كفراً لإسقاطهم الأحكام وإنكارهم القيامة وزعمهم أن الحاكم العبيدي الخبيث رب الأنام". ويتمركزون في لبنان وفلسطين وسوريا.

والعبيدية الفاطمية[1] والبهائية[2]،

(١) نسبة إلي عبيدالله بن ميمون القداح الذي أسس الدولة العبيدية في المغرب سنة ٢٩٦ هـ، ثم امتد نفوذهم إلى مصر وصارت القاهرة عاصمة لهم، وانتسبوا إلى سيدة النساء فاطمة رضي الله عنها كذبا وزروا لجلب الناس إليهم وكسب ولاؤهم، ولا تختلف عقيدتهم عن عقيدة النصيرية والدروز.

عقيدتهم تدور على في نقاط جوهرية ثلاث:

الأولى: التناسخ، والاعتقاد بأن مذهبهم أو دينهم ينسخ جميع الأديان والشرائع السابقة، ويقول بأن الحاكم بأمر الله هو " ناطق النطقاء " جاء بعد النطقاء الستة الذين تقدموه، وكان آخرهم محمد، وهو قائم الزمان جاء بعد السبعة الصامتين الذين جاءوا بعد محمد صلى الله عليه وسلم.

الثانية: الحلول أو حلول الروح، فروح آدم أصل البشر قد انتقلت إلى علي بن أبي طالب، ثم انتقلت روح علي إلى الحاكم بأمر الله.

الثالثة: ألوهية الحاكم بأمر الله، فالحاكم ليس إنساناً كباقي البشر، ولكن الروح الإلهية حلت به واتخذت صورته، وهذا هو في الواقع أساس المذهب وعماده الجوهري.

(٢) البهائية ظهرت في إيران في القرن الماضي نابعة من الفكر الشيعي؛ فقد بشر الشيرازي الملقب بالباب بقرب ظهور الإمام الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري الذي ينتظر الشيعة الإمامية الاثنا عشرية ظهوره، ثم ظهر كذب الباب عند الشيعة حينما قال إن الإمام الغائب سيظهر في تبريز بآذربيجان، والشيعة يعتقدون أنه سيظهر في مشرق إيران عند جبل يسمى (كوه خدا) أي (جبل الله)؛ فقبضت السلطة على الباب وحوكم وأعدم، وأعلن قبل إعدامه أن الإمام الذي يقصده هو تلميذه (حسين صبح أزل) الملقب ببهاء الله؛ فسميت الدعوة البهائية نسبة إلى بهاء الله هذا الذي خرج هاربا من إيران، وزعم أنه نبي أرسل بدين جديد مجدد للإسلام، كما زعم أن كتابا نزل عليه، وأخذ يدعو لهذه الدعوة المارقة المضلّلة حتى مات ودفن في فلسطين وقبره في الجزء المحتل منها.

والبهائية شبيهة بالشيوعية؛ فهي تدعو إلى التحلّل من الدين وترك الحرية للمرأة تفعل ما تشاء، وتقسم السنة إلى تسعة عشر شهرا. وألغت الصلوات الخمس، وأباحت لأتباعها ارتكاب الشهوات كيفما شاءوا في خمسة أيام قبل زمن الصيام، وحرمت على المرأة الحجاب وغير ذلك من العقائد الفاسدة المعارضة للربوبية.

والفرق المارقة الأخرى مثل القاديانية[1]

وكذلك الروافض[2] من الشيعة الذين يعتقدون تحريف القرآن أو يسبون أم المؤمنين عائشة بما برأها الله تعالى منه وغيرها من أهل الزندقة والكفر.

خامسًا: الأدلة على إقرار المشركين بتوحيد الربوبية

المشركون العرب كانوا يقرون بأن الله تعالى هو الخلق والرازق والمحيي والمميت وهو المدبر للأمور.

---

(١) القاديانية (ويقال لها كذلك الأحمدية) فرقة حديثة العهد نشأت في بلاد الهند في آخر القرن التاسع عشر الميلادي في فترة اندفع فيها المسلمون في شبه هذه القارة ليطردوا عن بلادهم (كابوس) الاحتلال الإنجليزي الجاثم آنذاك على صدورهم، وعندئذ رأى المحتلون أن أنجع الوسائل لتفريق كلمة المسلمين وإطفاء جذوة صدورهم، الإيحاء إلى رجل يقال له: غلام أحمد القادياني المنتمي في الأصل إلى أسرة تنتمي إلى الإسلام، ليعلن ديناً جديداً، يفارق به إجماع المسلمين، وينقض به أصول الإسلام، وينكر ما علم بالضرورة أنه من هذا الدين، فزعم أن الوحي لم ينقطع، وأنّه مرسل من الله لإلغاء الجهاد ووجوب مسالمة المحتلين الإنجليز، وأنهم رحمة الله التي بعثها إلى أرض الهند.

(٢) الروافض هم فرقة من فرق الشيعة، وتسمي بالشيعة الإمامية وهم الآن أكثر فرق الشيعة انتشارا في العالم. وسموا روافض لرفضهم إمامة زيد بن علي بن الحسين رضي الله عنه حين طلبوا منه التبرئ من أبي بكر وعمر فأبى ذلك وذكرهم بخير فناصبوه العداء واخترعوا لأنفسهم عقيدة هي خليط من عقائد المجوسية والإسلام.

وعقيدة الروافض فيها كفر من وجوه منها: الوجه الأول: عبادة آل البيت واعتقادهم فيهم أنهم يملكون نفعا وضرا. الوجه الثاني: تكذيب الله في تعديل الصحابة وتزكيتهم ووعدهم بالجنة والحكم عليهم بالردة. الوجه الثالث: تكذيب الله في أن القرآن محفوظ ويعتقدون تحريفه. الوجه الرابع: تكذيب الله تعالى في تبرئة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها. الوجه الخامس: ادعاؤهم أن علي بن أبي طالب أفضل من الأنبياء وأنه خلق قبل خلق العرش.

قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ﴾[يونس:٣١]

وقال تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾[الزخرف:٩]

وقال تعالى: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾[العنكبوت:٦١]

وقال تعالى: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾[العنكبوت:٦٣]

سادسًا: توحيد الربوبية لا يكفي لدخول الإنسان في دين الإسلام:

فالمشركون العرب وغيرهم ممن كانوا مقرين بربوبية الله تعالى إلا أنهم لم يكونوا مسلمين، بل حكم عليهم بالكفر لأنهم صرفوا العبادة لغير لله عز وجل.

فإبليس كان مقرا بهذا التوحيد، ولم يكن إقراره هذا مانعا من كفره وطرده من رحمة الله تعالى قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[الحجر: ٣٩]

وهذا حال المشركين، قال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾[العنكبوت:٦٥]

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾[لقمان:٣٢]

ومع ذلك لم يدخلهم هذا الإقرار في الإسلام، ولم يحرم دماءهم وأموالهم، إلا بعد إقرارهم بتوحيد الألوهية، فالإقرار بتوحيد الربوبية يستلزم الإقرار بتوحيد الألوهية، فمن عرف أن الله هو الخالق الرازق المدبر لجميع أمره لزمه أن يعبده وحده لا شريك له، وكذلك الإقرار بتوحيد الألوهية يتضمن الإقرار بتوحيد الربوبية، فمن عبد الله عز وجل ووحده فلا بد أن يكون قد اعتقد انه هو ربه وخالقه.

قال ابن القيم رحمه الله: (والألوهية التي دعت الرسل أممهم إلى توحيد الرب بها هي العبادة والتأليه، ومن لوازمها: توحيد الربوبية الذي أقر به المشركون فاحتج الله عليهم به؛ فإنه يلزم من الإقرار به الإقرار بتوحيد الإلهية "[1]

سابعًا: مظاهر الشرك في الربوبية [2]

وهي كثيرة منها:

١. الاعتقاد بأن للكون غوث، وأوتاد،و أقطاب يتصرفون فيه، وأبدال، ونجباء ، وهذا ما يقع فيه فرقة من المتصوفة ولهم في ذلك ترتيب خاص.

(١) إغاثة اللهفان (١٣٥/٢)

(٢) أنظر (عقيدة المؤمن) لأبي بكر الجزائري ص٦٥

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

بيان حقيقة القطب الغوث الفرد الجامع وأما سؤال السائل عن القطب الغوث الفرد الجامع فهذا قد يقوله طوائف من الناس ويفسرونه بأمور باطلة في دين الإسلام، مثل تفسير بعضهم: أن الغوث هو الذي يكون مدد الخلائق بواسطته في نصرهم ورزقهم، حتى يقول إن مدد الملائكة وحيتان البحر بواسطته.

فهذا من جنس قول النصارى في المسيح عليه السلام، والغالية في علي رضي الله عنه، وهذا كفر صريح يستتاب منه صاحبه فإن تاب وإلا قتل.

فإنه ليس من المخلوقات لا ملك ولا بشر يكون إمداد الخلائق بواسطته، ولهذا كان ما يقوله الفلاسفة في العقول العشرة الذين يزعمون أنها الملائكة، وما يقوله النصارى في المسيح، ونحو ذلك كفر صريح باتفاق المسلمين.

وكذلك ـ أعني بالغوث ـ ما يقوله بعضهم: من أن في الأرض ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا يسمونهم النجباء فينتقي منهم سبعون هم النقباء ومنهم أربعون هم الأبدال ومنهم سبعة هم الأقطاب ومنهم أربعة هم الأوتاد ومنهم واحد هو الغوث وأنه مقيم بمكة وأن أهل الأرض إذا نابهم نائبة في رزقهم ونصرهم فزعوا إلى الثلاثمائة وبضعة عشر رجلا وأولئك يفزعون إلى السبعين والسبعون إلى الأربعين والأربعون إلى السبعة والسبعة إلى الأربعة والأربعة إلى الواحد

وبعضهم قد يزيد في هذا وينقص في الأعداد والأسماء والمراتب فإن لهم فيها مقالات متعددة.اهـ[1]

٢ . الاعتقاد بأن أرواح الأولياء الصالحين تتصرف في العباد وأحوالهم بعد الموت. وأنهم يملكون للخلق نفعًا وضرًا

قال الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ:

شرك غلاة عباد القبور الذين يزعمون أن أرواح الأولياء تتصرف بعد الموت فيقضون الحاجات ويفرجون الكربات وينصرون من دعاهم ويحفظون من التجأ إليهم ولاذ بحماهم فإن هذه من خصائص الربوبية.اهـ[2]

٣ . الاعتقاد أن الجن والشياطين يملكون ضرا ونفعا،والخوف منهم والرهبة في ما لا يقدر عليه إلا الله. قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾[الجن: ٦]

٤ . طاعة المشايخ من الصوفية وغيرهم في معصية الله مع اعتقاد ذلك حق في تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله، وهو ما كان في بني إسرائيل.

---

(١) زيارة القبور لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص: ٦٢. ٦٤)، وعند بعض الصوفية ن الأقطاب أربعة وهم احمد الرفاعي وعبد القادر الجيلاني وإبراهيم الدسوقي وأحمد البدوي، والأولان سنيان من هل الفضل، والآخران شيعيان باطنيان.

(٢) تيسير العزيز الحميد (ص: ٢٨) وانظر كتاب جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية لابن قيصر الأفغاني (٢/ ٨٣٥)

قال تعالى عن بني إسرائيل: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾[التوبة: ٣١]

٥ . دعاء غير الله والاستغاثة به؛ لأن في الدعاء والاستغاثة طلب نفع ورفع ضر وهذا من خصائص الربوبية. قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾[الجن: ٢٠]

٦ . الخضوع والخنوع للحكام وإقرارهم على غير شريعة الله، واعتقاد ذلك حق. وإعطاء البشر حق التشريع من دون الله.

قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾[الأعراف: ٥٤]

٧ . الاعتقاد بأن الله حل في مخلوقاته أو اتحد معها ، مثل عقيدة النصارى في عيسى، وعقيدة النصيرية بأن على بن أبي طالب هو الله، وعقيدة ابن عربي والحلاج وأمثالهما في وحدة الوجود واتحاد الله مع جميع مخلوقاته كما ورد عن هؤلاء قولهم:

وما الكلب والخنزير إلا إلهنا وما الله إلا راهب في كنيسة.

تعالى الله عما يقول الظالمون والكافرون علوًا كبيرًا.

٨. الغلو في الأنبياء أو الصالحين ورفعهم لمقام الربوبية أو الالوهية

قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ

أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (١٧١) لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا (١٧٢)﴾[النساء: ١٧١، ١٧٢]

عن ابن عباس سمع عمر رضي الله عنه يقول على المنبر: سمعت النبي ﷺيقول: (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبده فقولوا عبد الله ورسوله)[١]

وهذا مثال من الغلو عند الروافض في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

قال الميلاني أحد علماء الروافض:

وأيضا مؤيد للمذكور ما روي في كلماته المأثورة رضي الله عنه: أنا علي وهو علي أنا بكل شئ عليم، أنا الذي مفاتيح الغيب عندي لا يعلمها بعد محمد غيري، أنا قلب الله، أنا يد الله، أنا جنب الله، أنا اللوح المحفوظ، أنا ذو القرنين، أنا النوح الأول، أنا الإبراهيم الخليل، أنا الموسى الكليم، أنا الأول والآخر والظاهر والباطن، أنا روح الأرواح، أنا روح الأشباح، أنا خازن النبوة، أنا وجه الله، أنا ترجمان وحي الله. انتهى[٢]

(١) أخرجه البخاري (٣/ ١٢٧١)

(٢) نفحات الأزهار للسيد الميلاني ج ٥ ص ٣٠٢

الفصل الرابع

توحيد الأسماء والصفات

المبحث الأول

المطلب الأول

منهج السلف في توحيد الأسماء والصفات [1]

منهج السلف في توحيد الأسماء والصفات يعتمد على الكتاب والسنة الصحيحة دون غيرهما، وهو على ثلاث أحوال:

الأول: في الإثبات:

إثبات ما أثبته الله لنفسه وأثبته له رسوله ﷺ من أسماء وصفات من غير تحريف ولا تأويل ولا تشبيه ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل ولا إلحاد .

قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الشورى: ١١]، فقوله ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾: نفي المثلية والتشبيه والتكييف عن الله تعالى.

(١) أنظر في ذلك (مختصر الفتوى الحموية) لابن عثيمين ص٥٢،(وتقريب التدمرية) له أيضًا ص١٩، (واعتقاد أئمة الحديث) للإمام الإسماعيلي ص٥١، (وعقيدة السلف أصحاب الحديث) للإمام أبي عثمان الصابوني ص٤، وكذلك (الرسالة الأكميلية) لشيخ الإسلام ابن تيمية

وقوله: ﴿وَهوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾: إثبات لصفتي السمع والبصر لله مع نفي التعطيل والتأويل والإلحاد والتحريف.

وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[الأعراف:١٨٠]

قال الشيخ حمد بن ناصر آل عمر ـ المتوفى عام ١٢٢٥ هـ ـ :

قولنا في آيات الصفات والأحاديث الواردة في ذلك ما قاله الله ورسوله ، وما قاله سلف الأمة وأئمتها من الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة وغيرهم من علماء المسلمين .

فنصف الله تعالى بما وصف به نفسه في كتابه، وبما وصفه به رسوله محمد ﷺ من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكييف، ولا تمثيل ، بل نؤمن بأن الله سبحانه : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الشورى: ١١] فلا ننفي عنه ما وصف به نفسه، ولا نحرف الكلم عن مواضعه، ولا نلحد في أسماء الله وآياته، ولا نكيف، ولا نمثل صفاته بصفات خلقه؛ لأنه سبحانه لا سمي له، ولا كفو له، ولا ند له، ولا يقاس بخلقه سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا.

فهو سبحانه ليس كمثله شيء لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله؛ بل يوصف بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله من غير تكييف ولا تمثيل خلافا للمشبهة، ومن غير تحريف ولا تعطيل خلافا للمعطلة، فمذهبنا

مذهب السلف إثبات بلا تشبيه، وتنزيه بلا تعطيل، وهو مذهب أئمة الإسلام كمالك والشافعي والثوري والأوزاعي وابن المبارك والإمام أحمد وإسحاق بن راهويه، وهو اعتقاد المشايخ المقتدى بهم كالفضيل بن عياض وأبي سليمان الداراني وسهل بن عبد الله التستري وغيرهم، فإنه ليس بين هؤلاء الأئمة نزاع في أصول الدين. أ هـ[1]

الثاني: في النفي:

ننفي ما نفاه الله عن نفسه، ونفاه عنه رسوله ﷺ من صفات لا تليق به سبحانه وتعالى.

مثال: قال تعالى: ﴿ وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾[الكهف: ٤٩] فنفي الظلم عن الله واجب مع إثبات كمال العدل له سبحانه.

مثال آخر: قال تعالى: ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ﴾[البقرة: ٢٥٥]

ففي هذه الآية إثبات لصفتي الحياة والقيومية لله تعالى لأنهما من صفات الكمال، ونفي صفتي السِنَة والنوم عنه؛ لأنهما من صفات النقص، فيجب نفيهما وإثبات كمال الحياة والقيومية ... وهكذا في سائر الصفات.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ:

---

١ التحفة المدنية في العقيدة السلفية (ص ٢٣ ـ ٢٥)

أن الله سبحانه موصوف بالإثبات والنفي :

فالإثبات: كإخباره بأنه بكل شيء عليم، وعلى كل شئ قدير، وأنه سميع بصير ونحو ذلك

والنفي: كقوله: ﴿ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ﴾[البقرة: ٢٥٥]

وينبغي أن يعلم أن النفي ليس فيه مدح ولا كمال إلا إذا تضمن إثباتا، وإلا فمجرد النفي ليس فيه مدح ولا كمال؛ لأن النفي المحض عدم محض، والعدم المحض ليس بشيء، وما ليس بشيء فهو كما قيل: ليس بشيء فضلا عن أن يكون مدحا أو كمالا؛ ولأن النفي المحض يوصف به المعدوم والممتنع، والمعدوم والممتنع لا يوصف بمدح ولا كمال، فلهذا كان عامة ما وصف الله به نفسه من النفي متضمنا لإثبات مدح كقوله: ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ ﴾[البقرة: ٢٥٥] إلى قوله: ﴿وَلا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾[البقرة: ٢٥٥]

فنفي السنة والنوم يتضمن كمال الحياة والقيومية، فهو مبين لكمال أنه الحي القيوم.

وكذلك قوله: ﴿وَلا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾ أي: لا يكرثه ولا يثقله، وذلك مستلزم لكمال قدرته وتمامها، بخلاف المخلوق القادر إذا كان يقدر على الشيء بنوع كلفة ومشقة ، فإن هذا نقص في قدرته وعيب في قوته.

وكذلك قوله: ﴿ لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ﴾[سبأ: ٣] فإن نفى العزوب مستلزم لعلمه بكل ذرة في السماوات والأرض٠٠٠ وإذا تأملت ذلك وجدت كل نفى لا يستلزم ثبوتا هو مما لم يصف الله به نفسه، فالذين لا يصفونه إلا بالسلوب لم يثبتوا في الحقيقة إلها محمودا؛ بل ولا موجودا، وكذلك من شاركهم في بعض ذلك كالذين قالوا: لا يتكلم أو لا يرى، أو ليس فوق العالم أو لم يستو على العرش ، ويقولون: ليس بداخل العالم ولا خارجه، ولا مباين للعالم، ولا محايث له؛ إذ هذه الصفات يمكن أن يوصف بها المعدوم، وليست هي صفة مستلزمة صفة ثبوت. أهـ[1]

الثالث: فيما لم يرد به إثبات ولا نفي

وهو مما استحدث بعد عصر السلف من ألفاظ تثبت لله صفات أو أسماء لم ترد لا في كتاب ولا في سنة مثل: الحيز والجسم والعرض والجهة وغير ذلك. ففيه أمران:

الأول: التوقف في اللفظ فلا نثبته ولا ننفيه.

(١) مجموع الفتاوى(٣/٣٥ . ٣٧)، كلام شيخ الإسلام في النفي مهم جدًا، وخصوصًا لمن لا يعرفون النفي المجمل والإثبات المفصل، ويأولون القاعدة على حسب فهمهم القاصر، ويصدرون أحكامًا باطلة على العلماء والأئمة من غير حياء. ونسأل الله العافية

الثاني: الاستفسار عن القصد وعما يراد منه. فإن كان يقصد به كمال يوصف الله به فنثبت المعنى دون اللفظ، وإن كان يقصد به صفة نقص ينزه الله عنها فلا نثبت اللفظ ولا المعنى.

مثال: الجهة:

فإن أراد من يثبت الجهة لله أنه على السماء مستوي على عرشه فهذه صفة كمال نثبتها لله، وإن أراد أنه في كل مكان، فهذا معنى نقص ينزه الله عنه فننفيه، وهكذا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

إن ما أخبر به الرسول ﷺعن ربه فانه يجب الإيمان به، سواء عرفنا معناه أو لم نعرف؛ لأنه الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم، فما جاء في الكتاب والسنة وجب على كل مؤمن الإيمان به وإن لم يفهم معناه.

وكذلك ما ثبت باتفاق سلف الأمة وأئمتها ، مع أن هذا الباب يوجد عامته منصوصًا في الكتاب والسنة متفق عليه بين سلف الأمة.

وما تنازع فيه المتأخرون نفيا وإثباتا؛ فليس على أحد بل ولا له أن يوافق أحدا على إثبات لفظه أو نفيه حتى يعرف مراده، فإن أراد حقا قبل، وإن أراد باطلا رد، وان اشتمل كلامه على حق وباطل لم يقبل مطلقا ولم يرد جميع معناه؛ بل يوقف اللفظ ويفسر المعنى.

كما تنازع الناس في الجهة والتحيز وغير ذلك ، فلفظ الجهة قد يراد به شيء موجود غير الله، فيكون مخلوقا، كما إذا أريد بالجهة نفس العرش أو نفس السماوات، وقد يراد به ما ليس بموجود غير الله تعالى، كما إذا أريد بالجهة ما فوق العالم، ومعلوم أنه ليس في النص إثبات لفظ الجهة ولا نفيه، كما فيه إثبات العلو والاستواء والفوقية والعروج إليه، ونحو ذلك، وقد علم أن ما ثم موجود إلا الخالق والمخلوق، والخالق مباين للمخلوق سبحانه وتعالى، ليس في مخلوقاته شئ من ذاته، ولا في ذاته شئ من مخلوقاته، فيقال لمن نفى الجهة: أتريد بالجهة أنها شيء موجود مخلوق فالله ليس داخلا في المخلوقات، أم تريد بالجهة ما وراء العالم ؟، فلا ريب أن الله فوق العالم مباين للمخلوقات.

وكذلك يقال لمن قال الله في جهة: أتريد بذلك أن الله فوق العالم ؟ أو تريد به أن الله داخل في شيء من المخلوقات ؟

فان أردت الأول فهو حق، وإن أردت الثاني فهو باطل. أهـ[1]

(١) مجموع الفتاوى (٣/٤١)

المطلب الثاني

توضيح المصطلحات المهمة[1]

١. التعطيل:

معناه لغة: الخلو والفراغ والترك.

ومعناه عند أصحابه: نفي أسماء الله وصفاته، أو بعضها، والذي دعا المعطل إلى نفي صفات الله تعالى أنه وقع تشبيه الصفة في قلبه بصفة المخلوق، فلذلك لجأ إلى التعطيل، فجمع بين التشبيه والتعطيل وهذا كفر وشرك.

فأتباع جهم بن صفوان سمو معطلة لأنهم نفو جميع أسماء الله وصفاته.

وكل من نفى صفة من صفات الله تعالى فهو جهمي

٢ . التشبيه:

هو تشبيه الله عز وجل بخلقة فيما يختص به من صفات وحقوق، والتشبيه يكون في صفة فأكثر، كأن يقول المشبه: يد الله كأيدي المخلوقين، ووجه كوجهنا، وعينه كأعيننا وهكذا ، وهذا كفر وشرك لأنه متضمن النقص في حق الله تعالى.

(١) أنظر في ذلك (مختصر الحموية)لابن عثيمين، (وشرح لمعة الاعتقاد) له، (والقواعد المثلى) له أيضًا، وكتابنا (الأسماء والصفات في عقيدة السلف)، وكتاب (العقيدة السلفية) لعلي الصلابي

٣ . التمثيل:

وهو لغة: الند والنظير.

والمقصود به هو مماثلة الله من كل وجه، وهو كفر أيضًا وشرك ومناقضة لكتاب الله قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الشورى: ١١]

٤ . التحريف:

وهو لغة: التبديل والتغيير والعدول عن الشيء

ومعناه هنا على معنيين:

الأول: العدول عما كان عليه السلف وأئمة الإسلام في إثبات الأسماء والصفات ونفيها إلى منهج أهل الزيغ والضلال من الجهمية والمشبهة والمفوضة وغيرهم.

الثاني: هو تغيير نصوص الأسماء والصفات

وهذا نوعان: تحريف اللفظ بحيث يتغير معه المعنى قاصدًا؛ كتحريف الجهمية والمعتزلة.

مثال: قال تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً﴾[النساء: ١٦٤] برفع لفظ الجلالة لإثبات الكلام لله تعالى

فعمد هؤلاء المبدعة إلى نصب لفظ الجلالة ليجعلوا التكليم من موسى لله؛ فينفوا صفة الكلام عن الله تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا

الثاني: تحريف معنى اللفظ

مثل تحريف معنى " استوى " إلى " استولى " وهكذا كما تقوله الجهمية

٥ . الإلحاد:

وهو في اللغة على معان منها:

الأول: الميل والقصد

والثاني: الشك أو الاعتراض

قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ﴾[الحج: ٢٥]

قال الفراء: اعتراض، وقال الزجاج: الإلحاد: الشك في الله

الثالث: الممراء والجدل

أما معناه هنا: فهو الميل عما يجب اعتقاده أو عمله

وهو قسمان:

الأول: الحاد في أسماء الله وصفاته، وهو العدول عما يجب اعتقاده فيها وهو أنواع منها:

النوع الأول: إنكار شيئًا منها أو مما دلت عليه كما فعلت الجهمية ومن نحا نحوهم

النوع الثاني: أن يشبه الصفة بصفة المخلوق كما فعلت المشبهة

النوع الثالث: أن يفوض معناها فيجعلها كلامًا لا معنى له كما فعل المفوضة

النوع الرابع: أن يسمي الله بما لا يسمي به نفسه؛ لأن أسماء الله توقيفية

القسم الثاني: الحاد في آيات الله: وهو نوعان:

الأول: الحاد في آيات الله الكونية وهي خلق السماوات والأرض وما فيها، وذلك بنسبتها إلى غير الله، كنسبتها إلى مخلوق بشر، أو إلى الصدفة كما فعلت الدهرية والشيوعية، أو اعتقاد شريك معين مع الله كما فعلت النصارى.

النوع الثاني: الحاد في آيات الله الشرعية: وهي ما جاءت به الرسل من أحكام شرعية، وذلك بتحريفها، مثل تحريف زنادقة الصوفية أن لهذه الأحكام معان باطنة ومعان ظاهرة، فالظاهرة تسمى الشريعة، والباطنة تسمى الحقيقة، فهم لا يعملون بالظاهر وإنما يعملون بالباطن، ولذلك استحلوا حرمات الله تعالى.

٦. التكييف:

وهو حكاية كيفية صفات الله، وهو أن يعتقد المثبت لصفات الله أنها تقع بوصف معين في رأسه، كأن يقول عين زرقاء، أو سوداء، أو يقول يد الله بحجم كذا وكذا، ونحو ذلك.

وهذا باطل بالسمع والعقل:

أما السمع: فمثل قوله تعالى: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً﴾[طه:١١٠]

فإذا كنا لا نحيط علما بالله فكيف نكيف صفاته سبحانه

وأما العقل: فلأن معرفة كيفية صفات شيء متوقف على معرفة كيفية ذاته؛ ولا أحد يستطيع معرفة كيفية ذات الله تعالى، فبالبديهي لا نعرف كيفية صفاته.

٧ . التأويل[١]:

معناه لغة: التصيير، والتفسير، وما تؤول إليه حقيقة الأمر في ثاني حال.

فيطلق على التفسير كما يقول ابن جرير في تفسيره : (وتأويل قوله تعالى كذا)

ويطلق على ما تؤول إليه حقيقة الأمر ما في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُه﴾[الأعراف: ٥٣]

أما التأويل في اصطلاح الأصوليين فمعناه: صرف اللفظ عن ظاهره المتبادر منه لدليل.

وهو نوعان:

الأول: تأويل صحيح وهو ما كان بدليل من الكتاب أو السنة.

والثاني: تأويل فاسد: وهو أنواع منها:

١ . ما لا يحتمله اللفظ بوضعه الأول

(١) أنظر في هذه المسألة (مختصر الصواعق المرسلة) لابن قيم الجوزية ص١١، وكتاب (العقيدة في الله) لعمر سليمان الأشقر (ص٢٢٣)

مثل تأويل حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(تَحَاجَّتْ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ فَقَالَتْ النَّارُ: أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالْمُتَجَبِّرِينَ.

وَقَالَتْ الْجَنَّةُ: مَا لِي لا يَدْخُلُنِي إلا ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ

قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي وَقَالَ لِلنَّارِ: إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مِلْؤُهَا، فَأَمَّا النَّارُ فَلا تَمْتَلِئُ **حَتَّى يَضَعَ رِجْلَهُ** فَتَقُولُ قَطْ قَطْ فَهُنَالِكَ تَمْتَلِئُ وَيُزْوَى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ وَلا يَظْلِمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا، وَأَمَّا الْجَنَّةُ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُنْشِئُ لَهَا خَلْقًا.[1]

فقالوا: رجله : جماعة من الناس، وهذا شيء لا يعرف في لغة العرب البتة.

٢ . ما لا يحتمله اللفظ ببنيته الخاصة من تثنية أو جمع، وإن احتمله مفردًا مثل تأويل المعطلة يد الله بقدرته في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[صّ: ٧٥]

(١) أخرجه البخاري (٤٤٧٢) ومسلم (٥٠٨٣)

المبحث الثاني

أقسام الصفات [1]

تنقسم الصفات إلى قسمين:

١. صفات ذات: وهي: التي لا تنفك عن ذات الله سبحانه

مثل اليد والوجه والساق والقدرة والحياة والعلم والسمع والبصر وغيرها من الصفات.

قال تعالى: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾[صّ: ٧٥]

وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[البقرة:١١٥] ، وقال تعالى: ﴿ وَيَبْقَى وَجهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ﴾[الرحمن:٢٧]

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾[آل عمران:٢]

وقال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرِ﴾[الشورى: ١١]

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[البقرة: ١٤٨]

---

(١) راجع كتابي (شرح لمعة الاعتقاد، والقواعد المثلى) لابن عثيمين

وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ﴾[القلم:٤٢]

وفي صحيح مسلم (٤٧٩٨): عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قال: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺيَقُولُ: (إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ)

٢. صفات فعل: وهي أنت تتعلق بمشيئة الله ، إن شاء الله فعل وأن شاء الله لم يفعل.

مثل الغضب والرضى والنزول والمجيء والمحبة والضحك والخلق والرحمة ..... وغير ذلك من صفات الفعل.

قال تعالى:﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾[الفتح:٦]

وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[المائدة:٤٠]

وقال تعالى: ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً﴾[الفجر:٢٢]

وقال تعالى: ﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ﴾[المائدة: ١١٩]

وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[المجادلة:١٤]

وقال تعالى: ﴿ بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾[آل عمران:٧٦]

وقال تعالى: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾[آل عمران:٣٢]

وقال تعالى: ﴿ إِلا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾[الدخان:٤٢]

وروى البخاري (١٠٧٧) ومسلم (١٢٦١) في صحيحيهما: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺقَالَ: (يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ) وفي البخاري (٢٦١٤) ومسلم (٣٥٠٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺقَالَ: (يَضْحَكُ اللَّهُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ كِلاهُمَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ.

فَقَالُوا: كَيْفَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟

قَالَ: يُقَاتِلُ هَذَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَيُسْتَشْهَدُ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَى الْقَاتِلِ فَيُسْلِمُ فَيُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَيُسْتَشْهَدُ)

وفي البخاري (٥٨٣٤) عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (اللَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ سَقَطَ عَلَى بَعِيرِهِ وَقَدْ أَضَلَّهُ فِي أَرْضٍ فَلاةٍ)

المبحث الثالث

صفات اشتد الخلاف فيها بين السلف والفرق الأخرى

وهناك بعض الصفات اشتد الخلاف فيها بين السلف وبعض الفرق الأخرى المبتدعة، نتكلم عن بعضها مثل: الاستواء ، والعلو، والكلام ، ثم نتكلم عن رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة.

المطلب الأول

صفة العلو والاستواء[1]

فالله سبحانه وتعالى موصوف بصفة العلو فوق خلقه مستوياً على عرشه بذاته ، وعلمه في كل مكان.

والأدلة كثيرة لا ينكرها إلا من كان على قلبه وبصره غشاوة:

١. فمن أدلة القرآن:

قوله تعالى:﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾[الأنعام:١٨]

وقوله تعالى: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾[فاطر: ١٠]

(١) راجع المسألة في كتاب (اجتماع الجيوش الإسلامية) لابن القيم، وكتاب (صفة العلو) للحافظ الذهبي

وقوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[النحل:٥٠]

وقوله تعالى:﴿ أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾[الملك:١٦]

٢. ومن السنة:

قصة الإسراء والمعراج إلى السماوات العلى وحديث النزول الذي قدمناه ومنها حديث الجارية الذي رواه مسلم (٨٣٦): عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ قَالَ: كَانَتْ لِي جَارِيَةٌ تَرْعَى غَنَمًا لِي قِبَلَ أُحُدٍ وَالْجَوَّانِيَّةِ فَاطَّلَعْتُ ذَاتَ يَوْمٍ فَإِذَا الذِّيبُ قَدْ ذَهَبَ بِشَاةٍ مِنْ غَنَمِهَا، وَأَنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي آدَمَ آسَفُ كَمَا يَأْسَفُونَ، لَكِنِّي صَكَكْتُهَا صَكَّةً، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺفَعَظَّمَ ذَلِكَ عَلَيَّ.

قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلا أُعْتِقُهَا ؟

قَالَ: ائْتِنِي بِهَا فَأَتَيْتُهُ بِهَا فَقَالَ لَهَا: أَيْنَ اللَّهُ ؟

قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ

قَالَ: مَنْ أَنَا ؟

قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ

قَالَ: أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ)

وما رواه الترمذي (١٨٤٧) وأبو داود (٤٢٩٠) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمْ الرَّحْمَنُ ارْحَمُوا

مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ الرَّحِمُ شُجْنَةٌ مِنْ الرَّحْمَنِ فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلَهُ اللَّهُ وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعَهُ اللَّهُ)[1]

وروى البخاري في صحيحه(٦٨٧٠) عَنْ أَنَسٍ قَالَ: جَاءَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ يَشْكُو فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺيَقُولُ: اتَّقِ اللَّهَ وَأَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ قَالَ أَنَسٌ: لَوْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺكَاتِمًا شَيْئًا لَكَتَمَ هَذِهِ

قَالَ: فَكَانَتْ زَيْنَبُ تَفْخَرُ عَلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺتَقُولُ: زَوَّجَكُنَّ أَهَالِيكُنَّ، وَزَوَّجَنِي اللَّهُ تَعَالَى مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ.

٣. ومن هذه الأدلة أدلة الفطرة:

أن الإنسان إذا ما دعا ربه اتجه قلبه إلى جهة العلو ولم يتجه إلى غيرها.

٤. ومن أقوال الصحابة:

نختار قول عبد الله بن مسعود الذي رواه البيهقي في (الأسماء والصفات)، والإمام عبد الله بن الإمام أحمد في (السنة) بسند صحيح:

قال رضي الله عنه: (ما بين السماء والأرض الدنيا والتي تليها خمسمائة عام، وبين كل سماء مسيرة خمسمائة عام، وبين السماء السابعة وبين الكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسي إلى الماء مسيرة خمسمائة عام والعرش على الماء والله تعالى فوق العرش وهو يعلم ما أنتم عليه.)

١ قَالَ الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ،وصححه الألباني في صحيح الجامع: (٣٥٢٢)

٥. ومن أقوال العلماء:

قال أبو عمر بن عبد البر في قوله تعالى: ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾[المجادلة: ٧]

علماء الصحابة والتابعين الذين حملت عنهم التأويل في القرآن قالوا في تأويل هذه الآية هو على العرش وعلمه في كل مكان وما خالفهم في ذلك أحد يحتج بقوله أ هـ[١]

ثانيا: صفة الاستواء:

أما استواؤه سبحانه على عرشه فقد وردت في سبع آيات في القرآن منها قوله تعالى: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[طه:٥]

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّماوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾[الأعراف: ٥٤]

قال الإمام ابن مالك رحمه الله: الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب السؤال عنه بدعة.

فقوله "معلوم" أي: معلوم المعنى في اللغة

ومعنى استوى: أي ارتفع وعلا وقصد واستقر.

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٧/ ١٣٩)

قال الربيع بن أنس فيما رواه عنه اللالكائي في (شرح أصول السنة) بسند صحيح في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ ﴾[الفرقان: ٥٩] أي: علا وارتفع

وقال إسحاق بن راهوية : أخبرنا بشر بن عمر قال: سمعت غير واحد من المفسرين يقول ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[طه:٥] : ارتفع

وقال الأخفش: استوى إي علا.

وقال ابن عبد البر: الاستواء: الاستقرار في العلو.

وقال ابن القيم رحمه الله:

قول الإمام محي السنة الحسين بن مسعود البغوي رحمه الله .:

قال في تفسيره الذي هو شجى في حلوق الجهمية والمعطلة في سورة الأعراف في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾[الأعراف: ٥٤] :

قال الكلبي ومقاتل: استقر

وقال أبو عبيدة: صعد

قال: وأولت المعتزلة الاستواء بالاستيلاء.

قال: وأما أهل السنة فيقولون: الاستواء على العرش صفة الله بلا كيف، يجب على الرجل أن يؤمن بذلك ويكل العلم فيه إلى الله تعالى

ثم حكى قول مالك : الاستواء غير مجهول.

ومراد السلف بقولهم (بلا كيف) هو: نفي التأويل؛ فإنه التكييف الذي يزعمه أهل التأويل، فإنهم هم الذين يثبتون كيفية تخالف الحقيقة، فيقعون في ثلاثة محاذير: نفي الحقيقة، وإثبات التكييف بالتأويل، وتعطيل الرب تعالى عن صفته التي أثبتها لنفسه.

وأما أهل الإثبات فليس أحد منهم يكيف ما أثبته الله تعالى لنفسه ويقول كيفية كذا وكذا حتى يكون قول السلف(بلا كيف) ردا عليه؛ وإنما ردوا على أهل التأويل الذي يتضمن التحريف والتعطيل، تحريف اللفظ وتعطيل معناه. أهـ[1]

وخلاصة الأمر: في ذلك:

ما قاله إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة في كتابه "التوحيد ":

فنحن نؤمن بخبر الله جلا وعلا أن خالقنا مستويًا على عرشه لا نبدل كلام الله، ولا نقول قولاً غير الذي قيل لنا كما قالت المعطلة الجهمية أنه استولى على عرشه فبدلوا قولاً غير الذي قيل لهم كفعل اليهود لما أمروا أن يقولوا (حطة) فقالوا (حنطة) مخالفين لأمر الله جل وعلا كذلك الجهمية. أهـ[2].

١ اجتماع الجيوش الإسلامية(ص١٢٢)

٢ كتاب التوحيد لابن خزيمة ص

المطلب الثاني

صفة الكلام

فالله عز وجل متصف بصفة الكلام تليق بجلال وعظمته نثبتها له سبحانه من غير تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل ولا تأويل ولا تكييف.

قال تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً﴾[النساء: ١٦٤]

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ ﴾[الأعراف: ١٤٣]

وقال سبحانه: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلا وَحْياً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾ [الشورى: ٥١]

وروى البخاري في صحيحه (٦٨٨٩) عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ وَلا حِجَابٌ يَحْجُبُهُ)

قال إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة رحمه الله: .[1]

(١) تكلم بعض مبتدعة زماننا . وقد تستر تحت السلفية ليروج من الباطل الذي يعيش فيه . في الإمام ابن خزيمة وبدَّع كلامه ذلك، وقد طلبنا منه أن يأتنا بقول عالم أو إمام من أئمة السلف ممن عاصروا هذا الإمام ينتقد قوله ذلك فعجز وأصر على قوله، وهذا من البلاء الذي عمت به الأمة، مع العلم أن كتاب التوحيد لابن خزيمة تلقته الأمة بالقبول وأثنى عليه العلماء في كل عصر ولم ينتقدوا قوله في صفة كلام الله تعالى بل قال الإمام ابن القيم في كتابه (اجتماع الجيوش الإسلامية ص ١١٦، ١١٧):

قول إمام الأئمة أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة إمام السنة:

والبيان أن كلام ربنا عز وجل لا يشبه كلام المخلوقين، لأن كلام الله متواصل لا سكت بينه ولا سمت ككلام الآدميين الذي يكون بين كلامه سكت وسمت لانقطاع النفس، أو التذاكر، أو فترة، الله مقدس من ذلك أجمع تبارك وتعالى. أهـ.

قال الشيخ الأنصاري سمعت يحي بن عمار يقول أنبأنا محمد بن الفضل بن محمد بن إسحاق بن خزيمة يقول حدثنا جدي إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة قال . وذكر كلامه في الاستواء الذي قدمناه . ثم قال ابن القيم: وقال في كتاب التوحيد: باب ذكر استواء خالقنا العلي الأعلى الفعال لما يشاء على عرشه وكان فوقه فوق كل شيء عاليا ثم ساق الأدلة على ذلك من القرآن والسنة، ثم قال: باب الدليل على أن الإقرار بأن الله فوق السماء من الإيمان، ثم ساق حديث الجارية، ثم قال باب ذكر أخبار ثابتة السند صحيحة القوام رواها علماء الحجاز والعراق عن النبي في نزول الرب سبحانه وتعالى إلى سماء الدنيا كل ليلة: ثم قال نشهد شهادة مقر بلسانه مصدق بقلبه بما في هذه الأخبار من ذكر نزول الرب تبارك وتعالى من غير أن نصف الكيفية، ثم ساق الأحاديث: ثم قال: باب كلام الله تعالى لكليمه موسى عليه الصلاة والسلام: ثم ساق الأدلة على ذلك، ثم قال: باب صفة تكلم الله تعالى بالوحي وشدة خوف السماوات منه وذكر صعقة أهل السماوات وسجودهم، ثم قال: **باب بيان أن الله سبحانه يكلم عباده يوم القيامة من غير ترجمان يكون بين الله تعالى وبين عباده**: ثم ذكر الأحاديث في ذلك، ثم قال: باب ذكر بيان الفرق بين كلام الله تعالى الذي به يكون خلقه وبين خلقه الذي يكون بكلامه، ثم قال: باب ذكر بيان أن الله تعالى ينظر إليه جميع المؤمنين يوم القيامة برهم وفاجرهم وإن رغمت أنوف الجهمية المعطلة المنكرة لصفات الله سبحانه وتعالى، **وكتابه في السنة كتاب جليل**.أ . هـ فهل يكف ذلك رادعًا لكل مبتدع ينال من أئمة السلف !!!

والقرآن كلام الله تكلم به حقيقة كما شاء سبحانه بحرف وصوت قال تعالى: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّه﴾[التوبة: ٦]

وروى أبو داود (٤١٠٩) والترمذي (٢٨٤٩) وابن ماجة (١٩٧) والدارمي (٣٢٢٠) بإسناد صحيح عَنْ جَابِرٍ قَالَ : كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَعْرِضُ نَفْسَهُ بِالْمَوْقِفِ فَقَالَ: (أَلا رَجُلٌ يَحْمِلْنِي إِلَى قَوْمِهِ فَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ مَنَعُونِي أَنْ أُبَلِّغَ كَلامَ رَبِّي) قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ صَحِيحٌ.[والحديث صححه الألباني]

قال شارح قصيدة ابن القيم (٢٢٩/١):

وروى الإمام احمد رضي الله عنه بسنده إلى عبد الله بن مسعود قال : إذا تكلم الله بالوحي سمع صوته أهل السماء.

قال السجزي: وما في رواة هذا الخبر إلا إمام مقبول، وتتمة الخبر: فيخرون سجدا حتى إذا فزع عن قلوبهم قال سكن عن قلوبهم

قال أهل السماء: ماذا قال ربكم ؟

قالوا: الحق

قال: كذا وكذا

قال القاضي أبو الحسين وغيره: ومثل هذا لا يقوله ابن مسعود رضي الله عنه إلا توقيفا لأنه إثبات صفة للذات انتهى .

وقد روي في إثبات الحرف والصوت أحاديث تزيد على أربعين حديثا بعضها صحاح وبعضها حسان ويحتج بها أخرجها الإمام الحافظ ضياء الدين المقدسي وغيره.

وأخرج الإمام أحمد غالبها، واحتج به ، وأخرج الحافظ ابن حجر غالبها أيضا في شرح البخاري، واحتج به البخاري وغيره من أئمة الحديث على أن الحق جل شأنه يتكلم بحرف وصوت، وقد صححوا هذا الأصل واعتقدوه، واعتمدوا على ذلك منزهين الله تعالى عما لا يليق بجلاله من شبهات الحدوث وسمات النقص كما قالوا في سائر الصفات، فإذا رأينا أحدا من الناس ممن لا يقدر عشر معشار هؤلاء قد دونوا هذه الصفات وعملوا بها ودانوا الله سبحانه وتعالى بها وصرحوا بأن الله تعالى تكلم بحرف وصوت لا يشبهان صوت مخلوق ولا حرفه بوجه البتة معتمدين على ما صح عندهم عن صاحب الشريعة المعصوم في أقواله وأفعاله الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحي، مع اعتقادهم الجازم الذي لا يعتريه شك ولا وهم ولا خيال نفي التشبيه والتمثيل والتحريف والتعطيل؛ بل يقولون في صفة الكلام كما يقولون في سائر الصفات إثباتًا بلا تمثيل، وتنزيهًا بلا تعطيل كما عليه سلف الأمة وفحول الأئمة فهو حق اليقين وما بعد الحق إلا الضلال. أ. هـ

قال الإمام الصابوني في كتابه " عقيدة السلف أصحاب الحديث ":

ويشهد أصحاب الحديث أن القرآن كلام الله وكتابه ووحيه وتنزيله غير مخلوق ومن قال بخلقه واعتقده فهو كافر عندهم، والقرآن هو الذي كلام الله ووحيه هو الذي ينزل به جبريل عليه السلام على الرسول ﷺ قرآنًا عربيًا لقوم يعلمون، بشيرا ونذيرا كما قال عز من قائل: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ (٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ(٩٥) ﴾[الشعراء ١٩٥:٩٢] وهو الذي بلغه الرسول ﷺ أمته كما أمر به في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾[المائدة: ٦٧] فكان الذي بلغهم بأمر الله تعالى كلامه عز وجل وفيه قال ﷺ: (أتمنعوني أن أبلغ كلام ربي) وهو الذي تحفظه الصدور، وتتكلم به الألسنة، ويكتب فيه المصاحف كيف ما تصرف، بقراءة قارئ، ولفظ لافظ، وحفظ حافظ، وحيث تلى، وفي أي موضع قريء، وكتب في مصاحف أهل الإسلام وألواح صبيانهم وغيرها، كله كلام الله جل جلاله غير مخلوق، فمن زعم أنه مخلوق فهو كافر بالله العظيم. سمعت الحاكم أبا عبد الله الحافظ يقول: سمعت أبا الوليد حسان بن محمد يقول: سمعت الإمام أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة يقول: " القرآن كلام الله غير مخلوق، فمن قال: أن القرآن مخلوق فهو كافر بالله العظيم لا تقبل شهادته ولا يعاد إن مرض ولا يصلي عليه إن مات ولا يدفن في مدافن المسلمين ويستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه. أهـ

المطلب الثالث

رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة

وهذا الأمر ثابت في الكتاب والسنة الصحيحة لا ينكره إلا جاهل، ولا يتأوله إلا مبتدع ضال، رؤية بلا إحاطة ولا كيفية، قال تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ(٢٣) ﴾[القيامة: ٢٢:٢٣].

وقال تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾[يونس:٢٦]

وتفسير الزيادة التي درج عليه سلف الأمة هي النظر إلى وجهه الكريم سبحانه كما روى مسلم في صحيحه (٢٦٦) عن صهيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : (إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنةَ قَالَ يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ ؟

فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا ! أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنْ النَّارِ!

قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ ثُمَّ تَلا هَذِهِ الآيَةَ ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾.

وروى البخاري (٥٢١) ومسلم (١٠٠٢) في صحيحيهما عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺفَنَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةً يَعْنِي الْبَدْرَ فَقَالَ: إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ لا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لا

تُغْلَبُوا عَلَى صَلاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾

قال الإمام أبوعبدالله بن بطة العكبري . رحمه الله . :

الكلام في إثبات رؤية الله سبحانه بالأبصار في الآخرة:

قال الله تعالى : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾[القيامة:٢٢] يعنى مشرقة ﴿ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[القيامة:٢٣] يعنى رائية ، وليس يخلو النظر من وجوه نحن ذاكروها:

إما أن يكون الله سبحانه عنى نظر الاعتبار كقوله تعالى: ﴿أَفَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾[الغاشية:١٧]

أو يكون عنى نظر الانتظار كقوله تعالى: ﴿ مَا يَنْظُرُونَ إِلا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾[يّس: ٤٩]

أو يكون عنى نظر التعطف كقوله تعالى: ﴿ وَلا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[آل عمران: ٧٧]

أو يكون عنى نظر الرؤية .

فلا يجوز أن يكون الله عز وجل عنى نظر التفكير والاعتبار؛ لأن الآخرة ليست بدار اعتبار

ولا يجوز أن يكون عنى نظر الانتظار؛ لأن النظر إذا ذكر مع ذكر الوجه فمعناه نظر العينين اللتين في الوجه، كما إذا ذكر أهل اللسان نظر القلب فقالوا: أنظر في هذا الأمر بقلبك، لم يكن معناه نظر العينين، وكذلك إذا

ذكر النظر مع الوجه لم يكن معناه نظر الانتظار الذي يكون للقلب؛ وأيضا فإن نظر الانتظار لا يكون في الجنة؛ لأن الانتظار معه تنغيص وتكدير، وأهل الجنة في ما لا عين رأت ولا أذن سمعت من العيش السليم والنعيم المقيم .

وإذا كان هذا هكذا لم يجز أن يكونوا منتظرين لأنهم كلما خطر ببالهم شيء أتوا به مع خطوره ببالهم، وإذا كان ذلك كذلك فلا يجوز أن يكون الله عز وجل أراد نظر التعطف؛ لأن الخلق لا يجوز أن يتعطفوا على خالقهم.

وإذا فسدت الأقسام الثلاثة صح القسم الرابع من أقسام النظر وهو أن معنى قوله: ﴿ إلى ربها ناظرة ﴾ أنها رائية ترى ربها عز وجل .

ومما يبطل قول المعتزلة أن الله عز وجل أراد بقوله ﴿إلى ربها ناظرة ﴾ نظر الانتظار أنه قال ﴿إلى ربها ناظرة ﴾ ، ونظر الانتظار لا يكون مقرونا بقوله ﴿إلى ﴾ ؛ لأنه لا يجوز عند العرب أن يقولوا في نظر الانتظار ﴿إلى ﴾ ألا ترى أن الله تعالى لما قال: ﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلا صَيْحَةً وَاحِدَةً ﴾[يس: ٤٩] لم يقل﴿إلى﴾ إذ كان معناه الانتظار.

وقال عز وجل مخبرًا عن بلقيس: ﴿ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾[النمل: ٣٥] فلما أرادت الانتظار لم تقل ﴿إلى ﴾

وقال أمرؤ القيس:

فإنكما إن تنظراني ساعة من الدهر تنفعني لدى أم جندب

فلما أراد الانتظار لم يقل (إلى)

فلما قال سبحانه ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[القيامة:٢٣]

علمنا أنه لم يرد الانتظار؛ وإنما أراد نظر الرؤية؛ لما قرن النظر بذكر الوجه، وقرن الله عز وجل النظر بذكر الوجه أراد نظر العينين اللتين في الوجه كما قال: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾[البقرة: ١٤٤]. ا هـ[1]

١ كتاب (الإبانة لابن بطة ص٣٥ ـ٣٨)

المبحث الرابع

أسماء الله الحسنى[1]

أولاً: أسماء الله توقيفية:

الله تبارك وتعالى سمى نفسه بأسماء وسماه النبي ﷺ بأسماء، وكل أسماء الله تعالى بالغة الحسن، كاملة المعنى، متضمنة لصفات الكمال له سبحانه،

فنحن نسمي الله عز وجل بهذه الأسماء ونثبتها له من غير تأويل ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تحريف ولا إلحاد. فلا نسمي الله إلا بما سمى به نفسه وسماه به رسوله ﷺ.

قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[الأعراف:١٨٠]

وقال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيّاً مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً﴾[الإسراء:١١٠]

وقال تعالى: ﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسنَى﴾[طه:٨]

---

(١) راجع في هذا المبحث كتاب (الأسماء والصفات) للإمام البيهقي، وكتاب(الأسماء الحسنى) لابن القيم، وكتاب (شرح أسماء الله الحسنى) لسعيد بن وهف القحطاني، ومقدمة كتاب (تفسير العلامة ناصر السعدي)، وكتاب (القواعد المثلى) لابن عثيمين، وغير ذلك من الكتب في هذا الشأن

وقال تعالى: ﴿ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر:٢٤]

روي البخاري (٦٨٤٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺقَالَ: ﴿إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلا وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ) أَحْصَيْنَاهُ حَفِظْنَاهُ.

ثانيًا: معنى قوله تعالى: ﴿ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ﴾:

قال ابن كثير في تفسيره (٢/٢٧٠):

وقال العوفي عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ قال: إلحاد الملحدين أن دعوا اللات في أسماء الله.

وقال ابن جريج عن مجاهد: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ قال: اشتقوا اللات من الله والعزى من العزيز

قال قتادة : يلحدون: يشركون في أسمائه.

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: الإلحاد التكذيب.

وأصل الإلحاد في كلام العرب العدول عن القصد والميل والجور والانحراف ومنه اللحد في القبر لانحرافه إلى جهة القبلة عن سمت الحفر. أ. هـ

قال الشيخ حافظ أحمد حكمي . رحمه الله . في (معارج القبول ١/١٢٨):

وهذه الأقوال متقاربة، والإلحاد يعمها و هو ثلاثة أقسام:

الأول: إلحاد المشركين: وهو ما ذكره ابن عباس و ابن جريج و مجاهد من عدولهم بأسماء الله تعالى عما هي عليه، وتسميتهم أوثانهم بها مضاهاة لله عز و جل ومشاقة له وللرسول ﷺ.

الثاني: إلحاد المشبهة: الذين يكيفون صفات الله عز وجل، و يشبهونها بصفات خلقه مضاهاة له تعالى، وردا لقوله عز و جل: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[الشورى: ١١] ، ﴿ وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً﴾[طه: ١١٠]، وهو مقابل لإلحاد المشركين.

فأولئك جعلوا المخلوق بمنزلة الخالق، وسووه به، وهؤلاء جعلوا الخالق بمنزلة الأجسام المخلوقة ، وشبهوه بها تعالى و تقدس عن إفكهم.

الثالث: إلحاد النفاة

وهم قسمان:

قسم: أثبتوا ألفاظ أسمائه تعالى دون ما تضمنته من صفات، فقالوا رحمن رحيم بلا رحمة، عليم بلا علم، حكيم بلا حكمة، قدير بلا قدرة، سميع بلا سمع، بصير بلا بصر.

واطردوا بقية الأسماء الحسنى هكذا، وعطلوها عن معانيها وما تقتضيه

و تتضمنه من صفات الكمال لله تعالى، وهم في الحقيقة كمن بعدهم، وإنما أثبتوا الألفاظ دون المعاني تسترا، وهو لا ينفعهم.

وقسم: لم يتستروا بما تستر به إخوانهم؛ بل صرحوا بنفي الأسماء وما تدل عليه من المعاني، واستراحوا من تكلف أولئك، وصفوا الله تعالى بالعدم المحض الذي لا اسم له، ولا صفة، وهم في الحقيقة جاحدون لوجود ذاته تعالى، مكذبون بالكتاب، وبما أرسل الله به رسله.

وكل هذه الأربعة الأقسام كل فريق منهم يكفِّر مقابله، وهم كما قالوا كلهم كفار بشهادة الله وملائكته وكتبه ورسله والناس أجمعين من أهل الإيمان والإثبات الواقفين مع كلام الله تعالى وسنة رسوله ﷺ و آله و صحبه أجمعين. أ . هـ

ثالثًا: دلالة الأسماء الحسنى:

دلالة أسماء الله على ذات الله وصفاته تكون: بالمطابقة، والتضمن، والالتزام[1] :

مثال: اسم الله الرحمن: فهو يدل على ذات الله وصفة الرحمة بالمطابقة، ويدل على صفة الرحمة أو ذات الله بالتضمن، ويدل على صفة القدرة والحياة والقيومية والسمع والبصر وغيرها من الصفات التزامًا؛ لأنه إذا كان سمى نفسه بالرحمن فلابد وأن تكون فيه صفة الرحمة، وإذا كان هو رحيم، فالرحيم

(١) المطابقة هي: دلالة اللفظ على كامل معناه، مثل إطلاق السقف على البيت. والتضمن: دلالة اللفظ على جزء معناه كدلالة السقف على أنه جزء من البيت. والالتزام: دلالة اللفظ على لازم معناه كدلالة السقف على وجود الجدران.

لابد وأن يكون قادرًا على هذه الصفة، ولابد أن حيًا، ولابد وأن يكون يسمع من يرحمه ويبصره، وهكذا.

رابعًا: ذكر أسماء الله تعالى على ما ورد في القرآن والسنة:

سنذكر الأسماء التي وردت معرف بالألف واللام، ثم الأسماء الغير معرفة، ثم المضافة.

(أ) الأسماء المعرفة بالألف واللام:

أولاً: ما ورد في القرآن:

١ . ٣ . الله الواحد القهار

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾[ص:٦٥]

٤،٥ . الرحمن الرحيم

قال تعالى: ﴿**الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**﴾[الفاتحة:٣]

٦ . ١٧ . الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور الحكيم

قال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[الحشر:٢٣]

قال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[الحشر:٢٤]

١٨ . ٢١ . الأول والآخر والظاهر والباطن

قال تعالى: ﴿ هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[الحديد:٣]

٢٢ .٢٣ . الحي القيوم

قال تعالى: ﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾[آل عمران:٢]

٢٤ .٢٦ . العلي العظيم الكبير

قال تعالى: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَهُوَ الْعلِيُّ الْعَظِيمُ﴾[الشورى:٤]

وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾[لقمان:٣٠]

٢٧ . التوَّاب

قال تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[البقرة:٣٧]

٢٨ . ٣٠ . القاهر الحكيم الخبير

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾[الأنعام:١٨]

٣١ .٣٥ . الخلاق العليم السميع الفتاح القدير

قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلاقُ الْعَلِيمُ﴾[الحجر:٨٦]

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[الشعراء:٢٢٠]

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفاً وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾[الروم:٥٤]

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾[سبأ:٢٦]

٣٦ . البصير

قال تعالى: ﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَمِنَ الأَنْعَامِ أَزْوَاجاً يَذْرَأُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الشورى:١١]

٣٧، ٣٨ . المولى، النصير

قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾[الأنفال:٤٠]

٣٩،٤٠ . الغني الحميد

قال تعالى: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾[الحج:٦٤]

٤١ . الكريم

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾[الانفطار:٦]

٤٢ . اللطيف

قال تعالى: ﴿أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[الملك:١٤]

٤٣ . الرقيب

قال تعالى: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[المائدة:١١٧]

٤٤ . القوي

قال تعالى: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾[الشورى:١٩]

٤٥، ٤٦ . الحق المبين

قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾[النور:٢٥]

٤٧ . الغفار

قال تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفارُ﴾[صّ:٦٦]

٤٨، ٤٩ . الغفور الودود

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾[البروج:١٤]

٥٠ . المتعال

قال تعالى ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾[الرعد:٩]

٥١ . المستعان

قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾[الأنبياء:١١٢]

٥٢ . الوهَّاب

قال تعالى: ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ﴾[ص:٩]

٥٣ . البر

قال تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾[الطور:٢٨]

٥٤ . الولي

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾[الشورى:٢٨]

٥٥ . القادر

قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآياتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾[الأنعام:٦٥]

٥٦ . الصمد

قال تعالى: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾[الإخلاص:٢]

٥٧ . الوكيل

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾[آل عمران:١٧٣]

٥٨ . الأكرم

قال تعالى: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ﴾[العلق:٣]

٥٩ . الأعلى

قال تعالى: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾[الأعلى:١]

٦٠ . المتين

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾[الذريات:٥٨]

٦١ . المجيد

قال تعالى: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾[البروج:١٥]

فهو اسم على قراءة رفع المجيد.

ثانيًا: ما ورد في الأحاديث معرفًا بأل

٦٢ . الرب

روي البخاري في صحيحه (٤٤٧١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَفَعَهُ وَأَكثَرُ مَا كَانَ يُوقِفُهُ أَبُو سُفْيَانَ: (يُقَالُ لِجَهَنَّمَ هَلْ امْتَلأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ فَيَضَعُ **الرَّبُّ تَبَارَكَ** وَتَعَالَى قَدَمَهُ عَلَيْهَا فَتَقُولُ قَطْ قَطْ)

وروى مسلم في صحيحه (٧٣٨) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ كَشَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺالسِّتَارَةَ وَالنَّاسُ صُفُوفٌ خَلْفَ أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ مُبَشِّرَاتِ النُّبُوَّةِ إِلا الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الْمُسْلِمُ أَوْ تُرَى لَهُ أَلا وَإِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ رَاكِعًا أَوْ سَاجِدًا فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظِّمُوا فِيهِ **الرَّبَّ عَزَّ وَجَلَّ** وَأَمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ فَقَمِنٌ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ

٦٣ . الأحد

روى البخاري (٤٥٩٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺقَالَ: (قَالَ اللَّهُ: كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ لَنْ يُعِيدَنِي كَمَا بَدَأَنِي، وَلَيْسَ أَوَّلُ الْخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا وَأَنَا **الأَحَدُ الصَّمَدُ** لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفْئًا أَحَدٌ)

٦٤ . الشافي

روى البخاري (٥٢٤٣) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺكَانَ إِذَا أَتَى مَرِيضًا أَوْ أُتِيَ بِهِ قَالَ أَذْهِبْ الْبَاسَ رَبَّ النَّاسِ اشْفِ وَأَنْتَ **الشَّافِي** لا شِفَاءَ إِلا شِفَاؤُكَ شِفَاءً لا يُغَادِرُ سَقَمًا

٦٥ . السيد

روى أبوداود في سننه (٤١٧٢) عَنْ مُطَرِّفٍ قَالَ: قَالَ أَبِي: انْطَلَقْتُ فِي وَفْدِ بَنِي عَامِرٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺفَقُلْنَا: أَنْتَ سَيِّدُنَا فَقَالَ: **السَّيِّدُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى،**

قُلْنَا: وَأَفْضَلُنَا فَضْلا وَأَعْظَمُنَا طَوْلا.

فَقَالَ: قُولُوا بِقَوْلِكُمْ أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ وَلا يَسْتَجْرِيَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ)

قال الألباني: (صحيح) أنظر حديث رقم:(٣٧٠٠) في صحيح الجامع.

٦٦ . ٦٩ . القابض الباسط الرازق المسعر

روي أحمد (١٢١٣١) وأبوداود (٢٩٩٢) وابن ماجة (٢١٩١) والترمذي في (١٢٣٥) بسند صحيح : عَنْ أَنَسٍ قَالَ: غَلا السِّعْرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺفَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ سَعِّرْ

فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ هُوَ **الْمُسَعِّرُ الْقَابِضُ البَاسِطُ الرَّازِقُ** وَإِنِّي لأَرْجُو أَنْ أَلْقَى رَبِّي وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْكُمْ يَطْلُبُنِي بِمَظْلِمَةٍ فِي دَمٍ وَلا مَالٍ). قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

قال الألباني: (صحيح) انظر حديث رقم: ١٨٤٦ في صحيح الجامع.

٧٠ . الحليم

روى البخاري (٥٨٦٩) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺيَدْعُو عِنْدَ الْكَرْبِ يَقُولُ: (لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ)

٧١ . الحكم

روى النسائي (٥٢٩٢) وأبوداود (٤٣٠٤) عَنْ شُرَيْحِ بْنِ هَانِئٍ عَنْ أَبِيهِ هَانِئٍ أَنَّهُ لَمَّا وَفَدَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺسَمِعَهُ وَهُمْ يَكْنُونَ هَانِئًا أَبَا الْحَكَمِ فَدَعَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺفَقَالَ لَهُ: **إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَكَمُ** وَإِلَيْهِ الْحُكْمُ فَلِمَ تُكَنَّى أَبَا الْحَكَمِ؟

فَقَالَ: إِنَّ قَوْمِي إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَتَوْنِي فَحَكَمْتُ بَيْنَهُمْ فَرَضِيَ كِلا الْفَرِيقَيْنِ.

قَالَ: مَا أَحْسَنَ مِنْ هَذَا فَمَا لَكَ مِنْ الْوُلْدِ ؟

قَالَ: لِي شُرَيْحٌ وَعَبْدُ اللَّهِ وَمُسْلِمٌ

قَالَ: فَمَنْ أَكْبَرُهُمْ ؟

قَالَ: شُرَيْحٌ

قَالَ: فَأَنْتَ أَبُو شُرَيْحٍ فَدَعَا لَهُ وَلِوَلَدِهِ)

قال الألباني: (صحيح) انظر حديث رقم: ١٨٤٥ في صحيح الجامع.

٧٢، ٧٣ . المقدم المؤخر

روى البخاري (٥٩١٩) عن ابْنِ أَبِي مُوسَى عَنْ أَبِيهِ عَنْ النَّبِيِّ ﷺأَنَّهُ كَانَ يَدْعُو بِهَذَا الدُّعَاءِ (رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي كُلِّهِ وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطَايَايَ وَعَمْدِي وَجَهْلِي وَهَزْلِي وَكُلُّ ذَلِكَ

عِنْدِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، **أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ** وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.)

٧٤ . الفرد

قال الحافظ الروياني في (مسنده ١/ ٧١):

٢٤. حدثنا العباس بن محمد حدثنا عثمان بن عمر حدثنا مالك بن مغول عن ابن بريدة عن بريدة قال: خرجت ليلة إلى المسجد فإذا النبي ﷺقائم عند باب المسجد وإذا رجل في المسجد يصلي قال: فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم: يا بريدة أتراه يرائي

قال: قلت: الله ورسوله أعلم

قال: بل مؤمن منيب

قال: فصلى، ثم قعد يدعو فقال: اللهم إني أسألك أني أشهد بأنك أنت الله لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك الأحد **الفرد** الصمد الذي لم تلد ولم تولد ولم يكن لك كفوا أحد

قال: فقال النبي صلى الله عليه وسلم: يا بريدة ! والله لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا سئل به أعطى وإذا دعي به أجاب.

وإذا الرجل أبو موسى الأشعري.أ . هـ

وإسناده صحيح

٧٥ . الإله

روى البخاري (٦٨٥٣):

عَنَّ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺعَشَرَةً مِنْهُمْ خُبَيْبٌ الأَنْصَارِيُّ فَأَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عِيَاضٍ أَنَّ ابْنَةَ الْحَارِثِ أَخْبَرَتْهُ أَنَّهُمْ حِينَ اجْتَمَعُوا اسْتَعَارَ مِنْهَا مُوسَى يَسْتَحِدُّ بِهَا فَلَمَّا خَرَجُوا مِنْ الْحَرَمِ لِيَقْتُلُوهُ قَالَ خُبَيْبٌ الأَنْصَارِيُّ:

وَلَسْتُ أُبَالِي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِمًا عَلَى أَيِّ شِقٍّ كَانَ لِلَّهِ مَصْرَعِي

وَذَلِكَ فِي ذَاتِ **الإِلَهِ** وَإِنْ يَشَأْ يُبَارِكْ عَلَى أَوْصَالِ شِلْوٍ **مُمَزَّعِ**

فَقَتَلَهُ ابْنُ الْحَارِثِ فَأَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺأَصْحَابَهُ خَبَرَهُمْ يَوْمَ أُصِيبُوا)

٧٦، ٧٧. المنان ، الحنان

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺسَمِعَ رَجُلا يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ وَحْدَكَ لا شَرِيكَ لَكَ **الْمَنَّانَ** بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ذَا الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ. فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَقَدْ سَأَلْتَ اللَّهَ بِاسْمِ اللَّهِ الأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى) [(١)]

عَنْ أَنَسٍ قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺفِي الْحَلْقَةِ وَرَجُلٌ قَائِمٌ يُصَلِّي فَلَمَّا رَكَعَ وَسَجَدَ جَلَسَ وَتَشَهَّدَ ثُمَّ دَعَا فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ

(١) أخرجه أحمد (١٢٢٢٦) والترمذي (٣٤٦١)، والنسائي (١٢٨١) ابن ماجة (٣٨٥٨) ، وهو صحيح

الْحَمْدَ لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ **الْحَنَّانُ بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ** ذَا الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ إِنِّي أَسْأَلُكَ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَتَدْرُونَ بِمَا دَعَا !

قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ:

قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ دَعَا اللَّهَ بِاسْمِهِ الْعَظِيمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى) [1]

وقال الحارث بن أبي أسامة: حدثنا سعيد بن عامر عن أبان بن أبي عياش عن أنس بن مالك أن أبا عياش الزرقي قال: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا اله إلا أنت **الحنان المنان** بديع السماوات والأرض ذو الجلال والإكرام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لقد سأل الله باسمه الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى)[2]

٧٨ . الطبيب

عَنْ أَبِي رِمْثَةَ قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَعَ أَبِي فَرَأَى الَّتِي بِظَهْرِهِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلا أُعَالِجُهَا لَكَ فَإِنِّي ؟

قَالَ: أَنْتَ رَفِيقٌ **وَاللَّهُ الطَّبِيبُ**

(١) أخرجه أحمد (١٢١٥٠)

(٢) أخرجه الحارث ابن أبي أسامة في مسنده (٩٦٠/٢) وقال الضياء المقدسي في (الأحاديث المختارة (١٨٨٤): إسناده حسن

قَالَ: مَنْ هَذَا مَعَكَ

قُلْتُ: ابْنِي

قَالَ: اشْهَدْ بِهِ قَالَ أَمَا إِنَّهُ لا تَجْنِي عَلَيْهِ وَلا يَجْنِي عَلَيْكَ اسْمُ أَبِي رِمْثَةَ رِفَاعَةُ بْنُ يَثْرِبِيٍّ)[1]

٧٩. المعطي

عَنْ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّهُ سَمِعَ مُعَاوِيَةَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَنْ يُرِدْ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي **الدِّينِ وَاللَّهُ الْمُعْطِي** وَأَنَا الْقَاسِمُ وَلا تَزَالُ هَذِهِ الأُمَّةُ ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ)[2]

هذا ما استطعت التوصل إليه من الأسماء المعرفة بالألف واللام من الكتاب والسنة.

٨٠ . الديان

روى أحمد (١٥٦١٢) والحارث بن أبي أسامة(٤٤) والروياني (١٤٩١) وابن أبي عاصم في السنة (٥١٤) من حديث الْقَاسِمِ بْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ الْمَكِّيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَقِيلٍ أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ: بَلَغَنِي حَدِيثٌ عَنْ رَجُلٍ سَمِعَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺفَاشْتَرَيْتُ بَعِيرًا، ثُمَّ شَدَدْتُ عَلَيْهِ رَحْلِي

(١) أخرجه البخاري: (٢٨٨٤)

فَسِرْتُ إِلَيْهِ شَهْرًا حَتَّى قَدِمْتُ عَلَيْهِ الشَّامَ، فَإِذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُنَيْسٍ فَقُلْتُ لِلْبَوَّابِ: قُلْ لَهُ جَابِرٌ عَلَى الْبَابِ

فَقَالَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ: قُلْتُ: نَعَمْ فَخَرَجَ يَطَأُ ثَوْبَهُ فَاعْتَنَقَنِي وَاعْتَنَقْتُهُ فَقُلْتُ: حَدِيثًا بَلَغَنِي عَنْكَ أَنَّكَ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺفِي الْقِصَاصِ فَخَشِيتُ أَنْ تَمُوتَ أَوْ أَمُوتَ قَبْلَ أَنْ أَسْمَعَهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺيَقُولُ: (يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ـ أَوْ قَالَ الْعِبَادُ عُرَاةً غُرْلا بُهْمًا ـ قَالَ: قُلْنَا:

وَمَا بُهْمًا ؟

قَالَ: لَيْسَ مَعَهُمْ شَيْءٌ ثُمَّ يُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مِنْ قُرْبٍ أَنَا الْمَلِكُ أَنَا الدَّيَّانُ وَلا يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ أَنْ يَدْخُلَ النَّارَ وَلَهُ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَقٌّ حَتَّى أَقُصَّهُ مِنْهُ وَلا يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ وَلأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ عِنْدَهُ حَقٌّ حَتَّى أَقُصَّهُ مِنْهُ حَتَّى اللَّطْمَةُ.

قَالَ: قُلْنَا: كَيْفَ وَإِنَّا إِنَّمَا نَأْتِي اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عُرَاةً غُرْلا بُهْمًا

قَالَ: بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ)[1]

(١) والقاسم بن عبد الواحد قال عنه الحافظ في التقريب: مقبول. أي عند المتابعة وإلا فهو لين الحديث، وعبدالله بن محمد بن عقيل فيه كلام؛ ولكن للحديث طرقًا أخرجه الطبراني في مسند الشاميين (١٥٦) وله شاهد عن ابن عمر أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٣٤٣٧) وقد حسنه الحافظ في الفتح والمنذري في الترغيب وصححه الألباني في تحقيق السنة لابن أي عاصم.

أما بقية الأسماء فهي على قسمين:

الأول: مشتقة من صفاته سبحانه

والثاني: مضافة

وهذان القسمان لهما ضوابط حتى يعتبر الاسم اسمًا:

الضابط الأول: أن يصح الدعاء به ونداء الله تعالى لقوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ﴾[الأعراف: ١٨٠]

الثاني: أن يتضمن صفة كمال لله تعالى، فلا يصح أن تقول: يا مخادع أو يا مستهزئ أو يا ماكر؛

الثالث: أن تكون وردت في الكتاب أو السنة

أولاً: الأسماء المشتقة من صفاته سبحانه

ما ورد في القرآن:

١،٢ . الحافظ والحفيظ

قال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾[هود: ٥٧]

وقال تعالى: ﴿ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظاً ﴾[يوسف: ٦٤]

٣ . الحسيب

قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيباً﴾[النساء: ٨٦]

٤،٥ . القريب المجيب:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾[هود: ٦١]

٦، ٧ . الشاكر والشكور:

قال تعالى: ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾[البقرة: ١٥٨]

وقال تعالى: ﴿ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِراً عَلِيماً﴾[النساء: ١٤٧]

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾[الشورى: ٢٣]

٨ . الشهيد:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[الحج: ١٧]

٩ . المقيت:

قال تعالى: ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتاً﴾[النساء: ٨٥]

١٠ . العفو:

قال تعالى: ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوّاً قَدِيراً﴾[النساء: ١٤٩]

١١ . المليك:

قال تعالى: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾[القمر:٥٥]

١٢ . الرؤوف:

قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾[النور: ٢٠]

١٣ . الواسع:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[البقرة: ١١٥]

١٤ . المحيط:

قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾[فصلت:٥٤]

١٥ . الهادي:

قال تعالى: ﴿ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِياً وَنَصِيراً﴾[الفرقان: ٣١]

١٦، ١٧ . الولي والواقي:

قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾[الجاثية: ١٩]

وقال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْماً عَرَبِيّاً وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا وَاقٍ﴾[الرعد:٣٧]

ما ورد في السنة:

١. الطيب:

روى مسلم (١٦٨٦) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ **اللَّهَ طَيِّبٌ** لا يَقْبَلُ إِلا طَيِّبًا ٠٠٠ الحديث

٢،٣ . الحييُ الستير

روى أبوداود (١٢٧٣) وابن ماجة (٣٨٥٥) عَنْ سَلْمَانَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺقَالَ: (إِنَّ رَبَّكُمْ **حَيِيٌّ** كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ أَنْ يَرْفَعَ إِلَيْهِ يَدَيْهِ فَيَرُدَّهُمَا صِفْرًا أَوْ قَالَ خَائِبَتَيْنِ) وصححه الألباني

وروى أبو داود (٣٤٩٧) عَنْ يَعْلَى قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ **حَيِيٌّ سِتِّيرٌ** يُحِبُّ الْحَيَاءَ وَالسَّتْرَ فَإِذَا اغْتَسَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَتِرْ) وصححه الألباني

٤ . الرفيق:

روى البخاري (٦٤١٥) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ اسْتَأْذَنَ رَهْطٌ مِنْ الْيَهُودِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺفَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكَ، فَقُلْتُ: بَلْ عَلَيْكُمْ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ، فَقَالَ: (يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللَّهَ **رَفِيقٌ** يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ قُلْتُ أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا قَالَ قُلْتُ وَعَلَيْكُمْ)

٥ . الجميل:

روى مسلم (١٣١) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ عَنْ النَّبِيِّ ﷺقَال: (لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ)

قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً

قَالَ: (إِنَّ **اللَّهَ جَمِيلٌ** يُحِبُّ الْجَمَالَ ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ)

٦ . الصانع:

روى مسلم (٤٨٣٩) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ، لِيَعْزِمْ فِي الدُّعَاءِ فَإِنَّ **اللَّهَ صَانِعٌ** مَا شَاءَ لا مُكْرِهَ لَهُ)

وبعد: فها ما تيسر جمعه من أسماء الله تعالى من الكتاب والسنة، وهناك أسماء أخرى إذا يسر الله أفردناها في كتاب خاص إن شاء الله

ثانيًا: أسماء مضافة:

وهي على سبيل الإجمال من غير ذكر الأدلة:

بديع السماوات والأرض . ذو الجلال والإكرام . ذو الطول . عالم الغيب والشهادة . أسرع الحاسبين . ذو العزة والجبروت والكبرياء والعظمة . خير الفاصلين . منزل الكتاب . علام الغيوب . محق الحق ومبطل الباطل . وغيرها من الأسماء.

المبحث الخامس

قواعد في فهم الأسماء والصفات [1]

القاعدة الأولى: الأصل في إثبات الأسماء والصفات هو الكتاب والسنة لا غير:

قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله:" نصف الله بما وصف به نفسه ولا نتعدى القرآن والحديث ".

القاعدة الثانية: قطع الطمع في إدراك الكيفية نجاة من وساوس التعطيل والتأويل

قال تعالى: " **ولا يحيطون به علما** " [طه:١١٠]

القاعدة الثالثة: الاتفاق في الأسماء لا يقتضي التساوي في المسميات:

بمعنى أن الله له سمع وبصر والمخلوق له سمع وبصر فلا يقتضي ذلك أن سمع الخالق كسمع المخلوق، والدليل على ذلك أن أسماع وأبصار المخلوقات تختلف، وصفاتهم تختلف من واحد إلى آخر فالفيل له قدم والنملة لها قدم،

(١) أنظر في ذلك (القواعد المثلى، وتقريب التدمرية، وشرح لمعة الاعتقاد، وشرح الواسطية) لابن عثيمين، (والصواعق المرسلة) لابن القيم ، (ومجموع فتاوى ابن تيمية ٣ /٤٣)، (العقيدة في الله) لعمر سليمان الأشقر، (العقيدة السلفية) لعلي الصلابي

وبالبديهي ليس قدم الفيل كقدم النملة، وكذلك أن الله أخبر أن في الجنة خمرًا وعسلا ولبنًا وماءً وفي الدنيا خمرًا وعسلا ولبنًا وماءً وليس هذا مثل ذلك. فنقول أن الله له سمع يليق بجلالته وعظمته وأن للمخلوق سمع مناسب لعجزه وفقره وفنائه، وهكذا بهذه القاعدة ترد على من عطل صفات الله بحجة أنها تشابه صفات المخلوقين.

القاعدة الرابعة: القول في الصفات كالقول في الذات:

وهذه ترد على من أنكر صفات الله عز وجل فنقول له، نفيت الصفات بحجة أنها تشابه صفات المخلوقين، فلما لم تنف صفة الذات وأنت تعلم أن للمخلوق ذاتًا ؟

فإذا قال: أن لله ذاتًا تليق بجلاله والمخلوق له ذات مناسبة لعجزه.

قلنا له: كذلك الله له صفات تليق بجلاله وعظمته والمخلوق له صفات مناسبة لعجزه وفقره وفنائه، ونقول كما قال الله:" ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الشورى: ١١] .

القاعدة الخامسة: القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر

وهذه القاعدة ترد على الأشاعرة الذين أثبتوا بعض الصفات ونفوا البعض، ونقول لهم: لما أثبتم صفة الإرادة ونفيتم صفة الغضب والمحبة ؟

فإن قالوا: الله له صفة إرادة تليق بجلاله وعظمته.

قلنا: وكذلك له صفة غضب تليق بجلاله وعظمته

فإن قالوا: أن الغضب هو اندفاع الدم من القلب بسرعة وقوة وهذه صفة مخلوق

قلنا: وكذلك الإرادة في ميل القلب إلى فعل شيء ما وهذه أيضًا صفة مخلوق، وهكذا باقي الصفات فلا يحيروا جوابًا.

القاعدة السادسة: أسماء الله تعالى كلها بالغة الحسن

قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ﴾[الأعراف: ١٨٠]

قال تعالى: ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيّاً مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾[الإسراء: ١١٠].

وقد تقد الكلام عنها

القاعدة السابعة: أسماء الله غير منحصرة في التسعة والتسعين

وروى البخاري ومسلم (٢٥٣١)عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلا وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ وهو وتر يحب الوتر).

وروى أحمد في مسنده (٣٥٢٨) بسند صحيح عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قال: (مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلا حَزَنٌ فَقَالَ اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ وَابْنُ أَمَتِكَ نَاصِيَتِي بِيَدِكَ مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا

مِنْ خَلْقِكَ أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي وَنُورَ صَدْرِي وَجِلاءَ حُزْنِي وَذَهَابَ هَمِّي إلا أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَجًا). فالذي استأثر الله عز وجل به عنده لا يعلمه إلا هو سبحانه.

المبحث السادس

الفرق التي انحرفت في الأسماء والصفات عن منهج السلف[1]

١ . أهل التعطيل

أ . الجهمية: اتباع جهم بن صفوان ومن نحا نحوهم، وقد عطلوا جميع الأسماء والصفات، ووصفوا الله بالعدم المحض فعبدوا بذلك عدما، وقالوا بخلق القرآن وتابعهم على ذلك المعتزلة، وقد شدد عليهم علماء السلف وأئمته.

قال وهب بن جرير: الجهمية الزنادقة إنما يريدون أنه ليس على العرش استوى.

وحلف يزيد بن هارون بالله الذي لا إله إلا هو من قال: أن القرآن مخلوق فهو زنديق ويستتاب فإن تاب وإلا قتل.

وقال ابن المبارك: .

فلا أقول بقول الجهم إن له قولاً يضارع قول الشرك أحيانًا

ولا أقول تخلى من بريته رب العباد وولي الأمر شيطانا

ما قال فرعون هذا في تجبره فرعون موسى ولا فرعون هامان

(١) أنظر في ذلك الكتب السابق ذكرها، مع كتب الفرق

وقال: إننا نحكي كلام اليهود والنصارى ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية.

وقال سعد بن عامر: الجهمية أشر قولاً من اليهود والنصارى.

وقال أبو عبد الله البخاري: نظرت في كلام اليهود والنصارى والمجوس فما رأيت أضل في كفرهم منهم، وإني لأستجهل من يكفرهم إلا من لا يعرف كفرهم.

ومن شبهاتهم في إنكار الأسماء والصفات أن إثباتها يستلزم التعدد والتشبيه.

والرد عليهم من وجهين: .

الأول: إثبات الأسماء والصفات يستلزم التعدد قول باطل ترفضه حتى العقول الخربة؛ وذلك أن الإنسان واحد ومع ذلك فهو موصوف بأنه سميع بصير عليم عاقل متكلم ذو إرادة وقدرة فلا يلزم من ذلك أنه متعدد.

الوجه الأول: أن إثباتها يقضي التشبيه فنقول أيضًا هذا قول باطل لأن الاتفاق في الأسماء لا يقضي التساوي في المسميات كما قدمنا.

فالجنة فيها خمر ولبن وعسل ورمان وعنب وزيتون، والدنيا كذلك، فهل هذه الأشياء كأشياء الدنيا ؟ هذا محال.

ثم نقول لهم: أثبتم صفة الوجود لله وهذه صفة تشترك مع المخلوق، فإن قالوا: لا نعلم كيفيتها

قلنا لهم: وكذلك باقي الصفات من السمع والبصر وغيرها لا نعلم كيفيتها وإن قالوا: له صفة وجود تليق بجلاله وعظمته

قلنا: كذلك باقي الصفات تليق بجلاله عظمته.

ب . المعتزلة: وهم أتباع واصل بن عطاء الغزَّال وعمرو بن عبيد البصري وسبب ذلك لاعتزالهم مجلس الحسن البصري بعد اختلافهما معه في حكم مرتكب الكبيرة.

وطريقتهم أنهم أثبتوا الأسماء لله ونفوا الصفات ووافقوا الجهمية فيها، وقد وصلوا ببدعتهم هذه إلي اعتناق بعض الخلفاء إياها، وحملوا الناس عليهما وقتلوا كثيرا من العلماء والأئمة، وعذبوا الكثير منهم إمام أهل السنة والجماعة أحمد بن حنبل . رحمه الله . وقد ذمهم السلف كما ذموا الجهمية بل إنهم المعنيون بالأكثر في أقوال الأئمة السابقة في الجهمية والمعتزلة وافقتهم على ذلك فسموا جهمية.

قال الشيخ بن عثيمين . رحمه الله . في (تقريب التدمرية ص٢٩):

وطريقتهم أنهم يثبتون لله تعالى الأسماء دون الصفات، ويجعلون الأسماء أعلاما محضة، ثم منهم من يقول أنها مترادفة، فالعليم والقدير والسميع والبصير شيء واحد، ومنهم من يقول أنها متباينة، فهو عليم بلا علم وهو قدير بلا قدرة سميع بلا سمع بصير بلا بصر ونحوا ذلك.

وشبهتهم: أنهم اعتقدوا أن إثبات الصفات يستلزم التشبيه لأنه لا يوجد شيء متصف بالصفات إلا جسم، والأجسام متماثلة فإثبات الصفات يستلزم التشبيه. ا هـ.

والرد عليهم من وجهين: .

الأول: كون أن إثبات الصفات يستلزم التشبيه تقدم الرد عليه، وكون أنه لا يوجد متصف بصفات إلا جسم باطل؛ وذلك أن هناك أشياء متصفة بصفات وليست أجساما، مثل ليل طويل مظلم، ونهار قصير صافي، وبرد شديد قارص، وحر شديد حارق، وغير ذلك فهل هذه أجسام ؟

ثم إن إضافة لفظ الجسم إلى الله عز وجل إثباتا أو نفيا من الألفاظ المحدثة التي لم ترد لا في كتاب ولا في سنة، ولا على لسان السلف

والوجه الثاني: كون الأجسام متماثلة قول باطل؛ وذلك أن الفيل له أرجل أربع والنملة لها أرجل أربع فهل يقتضي ذلك تماثلهما في الصفات وكذلك سائر المخلوقات فكيف بالخالق سبحانه وتعالى؟ !

جـ . الأشاعرة والماتريدية: .

وهؤلاء أثبتوا الأسماء لله تعالى، وأثبتوا بعض الصفات ونفوا الباقي، فأثبتوا سبع صفات: **السمع . البصر . القدرة . الإرادة . الحياة . الكلام . العلم.**

ونفوا باقي صفات الذات وصفات الفعل. فهم جهمية فيما أنكروا من الصفات.

والرد عليهم كما رد على من سبقهم الجهمية في ذلك، وبالقواعد المذكورة السابقة مثل قاعدة: **القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر**.

وهناك أمر آخر: وهو **أن كل معطل مشبه وليس كل مشبه معطل**؛ وذلك الذي عطل الصفات أو بعضها إنما جاء في مخيلته أنها تشبه صفات المخلوقين فعمد إلي إنكارها فهرب من التشبيه والتعطيل.

٢ . أهل التشبيه والتمثيل: .

وهم الذين أثبتوا لله الأسماء والصفات ولكن على طريقة أنها تشابه المخلوقين، فقالوا لله يد كأيدينا، وقدم قدمنا ووجه كوجهنا، وعين كأعيننا وأول من تكلم بذلك هو الحكم بن هشام الرافضي. وشبههم أن الله تعبد الخلق بما يفهمون ويعقلون من الصفات ولا تكون إلا من شابه به الخلق.

ومذهبهم باطل بالشرع والعقل والحسن:

أما بالشرع: فقد قال الله عز وجل: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الشورى: ١١]، فنفى المثيلة وأثبت صفة السمع والبصر.

وقال تعالى: ﴿ فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الأَمْثَالَ﴾[النحل: ٧٤] فنهى الله تعالى عن تمثيله بغيره من مخلوقاته

وأما العقل: فمن وجوه منها: .

الأول: التباين الواضح لكل ذي عقل بين الخالق والمخلوق من الذات والوجود، وهذا يستلزم التباين في الصفات.

الثاني: أن تشبيه الله بالمخلوق فيه تنقيص لله عز وجل؛ إذا أن صفات المخلوق ناقصة وقابلة للفناء، فيستلزم نقصان صفات الله، وهذا ضلال. فقد قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ ﴾[الفرقان: ٥٨]

وأما بالحس: فلأن المخلوقات على اختلافها لها صفات ولكن ليست متماثلة ولا متشابه فكيف بالخالق سبحانه وتعالى ؟!

٣ . أهل التفويض

وهم الذين فوضوا معنى الصفات وكيفيتها إلى الله فقالوا: لا نعلم لها معنى ولا كيفية. أما السلف فقد فوضوا الكيفية ولم يفيضوا المعني.

والمفوضة أخطر وأشد من الفرق الأخرى؛ لأنه يستلزم من قولهم أن الله تعبد العباد بكلام لا يفهمونه بل لا يفهمه النبي ﷺ وأصحابه فضلاً عن غيرهم.

٤ . الخوارج المتأخرين ومذهبهم في الصفات مذهب المعتزلة

٥ . الشيعة الروافض مذهبهم مذهب المعتزلة أيضًا

الفصل الخامس

توحيد الألوهية [1]

أولا: معنى الألوهية

الإله: الله عز وجل، وكل شئ اتخذ من دون الله معبود إله عند من أتخذه، والجمع آلهة،

والآلهة: الأصنام

فالآلهة: نسبة إلى إله بمعنى المعبود، يقال: أله يأله إلاهية ، وألوهة، وألوهية : بمعنى عبد من عباد.

وإله : اسم المعبود مطلق بحق أو بغير حق .

فيطلق على الله عز وجل كما يطلق على غيره من المعبودات الباطلة

قال تعالى: ﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾[الفرقان: ٤٣]

وقال فرعون لموسى محذرًا إياه : ﴿ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهاً غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾[الشعراء: ٢٩]

(١) أنظر في هذا المبحث شروحات كتاب التوحيد ومنها (فتح المجيد) لعبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، (وتيسير العزيز الحميد) لسليمان بن عبدالله آل الشيخ، (والقول المفيد) لابن عثيمين، وأنظر كذلك (مجموع فتاوى ابن تيمية ج ١،٢)،وكتاب (التوحيد) لمحمد خليل هراس ، وكتاب (الدرر السنية في الأجوبة النجدية ج٢،٣)، (ومعارج القبول لابن حكمي ج١) وغيرها من كتب التوحيد.

وقال تعالى: ﴿لا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُوماً مَخْذُولاً﴾[الإسراء:٢٢]
وأما الله فمختص بالمعبود الحق فلا يطلق على غيره.
قال تعالى: ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً﴾[طه:٩٨]
وقال تعالى : ﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ * أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ * أَمَّنْ جَعَلَ الأَرْضَ قَرَاراً وَجَعَلَ خِلالَهَا أَنْهَاراً وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزاً أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ * أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ * أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ * أَمَّنْ يَبْدأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[النمل:٥٩.٦٤]

ثانيًا: معنى توحيد الألوهية أو الإلهية

وهو توحيد العبادة: وهو إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة وإخلاص الدين له والتقرب إليه.

قال تعالى: ﴿ وَاعبدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً ﴾[النساء: ٣٦]

وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[هود:١٢٣]

وقال تعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾[الحجر:٩٩]

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾[النحل: ٣٦]

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾[الأنبياء:٢٥]

وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ﴾[الزمر:١١]

وقال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَهُ دِينِي﴾[الزمر:١٤]

ثالثًا: الله وحده هو المستحق بالعبادة

فقد قدمنا في توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات أن الله عز وجل هو الخالق للكون الرازق له المحيي المميت المدبر لأمور الخلق، بيده النفع والضر، متصف بصفات الكمال ونعوت الجلال، له الأسماء الحسنى والصفات العلى، لا يشاركه في هذا كله أحد، فمن السفه والجهل والعته وخراب العقول وضلال القلوب وغشاوة الأبصار أن يتجه الإنسان بالعبادة إلى مخلوق ضعيف وعبد ذليل خاضع لهذا الإله العظيم ، ولا يملك هذا المخلوق لنفسه حولاً ولا طولاً، إذ اخذ برغوث أو ذباب ذرة من دمه لا يستطيع أن يعيدها في مكانها

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾[الحج:٧٣]

قال إبراهيم لقومه : ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَلا يَضُرُّكُمْ * أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾[الأنبياء:٦٦:٦٧]

وقال أيضًا لقومه متهكماً عليهم مسفهاً لهم: ﴿ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[الصافات٩٥:٩٦]

وقال لهم أيضاً: ﴿ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَاناً وَتَخْلُقُونَ إِفْكاً إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[العنكبوت:١٧]

قال الشيخ سليمان بن عبدالله بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب . رحمهم الله جميعًا . في (شرح كتاب التوحيد ص٢٠):

توحيد الألوهية: المبني على إخلاص التأله لله تعالى من المحبة والخوف والرجاء والتوكل والرغبة والرهبة والدعاء لله وحده، وينبني على ذلك إخلاص العبادات كلها ظاهرها وباطنها لله وحده لا شريك له، لا يجعل فيها شيئا لغيره لا لملك مقرب ولا لنبي مرسل فضلا عن غيرهما.

وهذا التوحيد هو الذي تضمنه قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[الفاتحة:٥]

وقوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[هود:١٢٣]

وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾[التوبة:١٢٩]

وقوله تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً﴾[مريم:٦٥]

وقوله تعالى: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[هود: ٨٨]

وقوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيراً﴾[الفرقان:٥٨]

وقوله: ﴿وَاعْبُدْ رَبكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾[الحجر:٩٩]

وهذا التوحيد: هو أول الدين وآخره، وباطنه وظاهره، وهو أول دعوة الرسل وآخرها، وهو معنى قول لا إله إلا الله، فإن الإله هو: المألوه المعبود بالمحبة والخشية والإجلال والتعظيم، وجميع أنواع العبادة ، ولأجل هذا التوحيد خلقت الخليقة، وأرسلت الرسل، وأنزلت الكتب، وبه افترق الناس إلى مؤمنين وكفار وسعداء أهل الجنة وأشقياء أهل النار. أ . هـ

رابعًا: العبادة هي الغاية التي من أجلها خلق الله الخلق ومن أجلها بعث الرسل:

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالأِنْسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ﴾[الذريات:٥٦] أي يوحدوني

وآمرهم وأنهاهم، قال تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ ﴾[الإسراء: ٢٣]

وقال آمراً الناس مذكراً لهم بنعمته عليهم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[البقرة: ٢١: ٢٢]

وتوحيد الألوهية: هو المقصد الأعظم الذي من أجله سبحانه خلق السماوات والأرض وما بينهما وما فيهن، وخلق الجنة والنار، وبعث الأنبياء الرسل مبشرين ومنذرين، وأقام حجته بهم على الناس؛ لأن الناس إنما أكثر ما وقعوا فيه كان في شرك العبادة

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[النحل: ٣٦]

وقال سبحانه لنبيه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾[الأنبياء:٢٥]

وقال سبحانه: ﴿قَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾[الأعراف: ٥٩]

وقال سبحانه: ﴿ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ﴾[الأعراف:٦٥]

وقال سبحانه: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾[الأعراف: ٧٣]

وقال سبحانه: ﴿وَإِلى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾[الأعراف: ٨٥]

فالتوحيد هو أول الأمر وآخره وهو حق الله عز وجل على عباده كما روى البخاري(٥٥١٠) ومسلم (٤٣) في صحيحيهما عن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ عَنْ

مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ بَيْنَا أَنَا رَدِيفُ النَّبِيِّ ﷺلَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ إِلا آخِرَةُ الرَّحْلِ فَقَالَ : يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ !

قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ

ثُمَّ سَارَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ: يَا مُعَاذُ !

قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ

ثُمَّ سَارَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ: يَا مُعَاذُ !

قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ

قَالَ: هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ ؟

قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ

قَالَ: حَقُّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا

ثُمَّ سَارَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ: يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ

قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ

فَقَالَ: هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ إِذَا فَعَلُوهُ ؟

قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ

قَالَ: حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لا يُعَذِّبَهُمْ)

وروى البخاري (٦٨٣٤) عن ابْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قال: لَمَّا بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺمُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ إِلَى نَحْوِ أَهْلِ الْيَمَنِ قَالَ لَهُ: (إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى ... الحديث)

قال الشيخ سليمان بن عبدالله آل الشيخ في (شرح كتاب التوحيد ص٢٢،٢٣):

وهذا التوحيد: هو أول واجب على المكلف، لا النظر ولا القصد إلى النظر، ولا الشك في الله كما هي أقوال لمن لم يدر ما بعث الله به رسوله ﷺ من معاني الكتاب والحكمة، فهو أول واجب وآخر واجب، وأول ما يدخل به الإسلام وآخر ما يخرج به من الدنيا، كما قال صلى الله عليه وسلم: (مَنْ كَانَ آخِرُ كَلامِهِ لا إِلَهَ إلا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ) حديث صحيح[1]

و قَالَ: (أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ) متفق عليه.

وقد أفصح القرآن عن هذا النوع كل الإفصاح، وأبدأ فيه وأعاد، وضرب لذلك الأمثال بحيث أن كل سورة في القرآن فيها الدلالة على هذا التوحيد.

ويسمى هذا النوع:

توحيد الإلهية ؛ لأنه مبني على إخلاص التأله، وهو أشد المحبة لله وحده، وذلك يستلزم إخلاص العبادة، وتوحيد العبادة لذلك، **وتوحيد الإرادة** ؛ لأنه مبني على إرادة وجه الله بالأعمال

(١) أخرجه أحمد في (مسنده: ٢١٠٢٤)، أبوداود في (سننه: ٢٧٠٩) من حديث معاذ بن جبل وصححه الألباني كما في (صحيح الجامع:٩٤٧٩)

وتوحيد القصد ؛ لأنه مبني على إخلاص القصد المستلزم لإخلاص العبادة لله وحده

وتوحيد العمل ؛ لأنه مبني على إخلاص العمل لله وحده

قال شيخ الإسلام ابن تيمية . رحمه الله . في (درأ تعارض العقل والنقل) (١ | ٢٢٤):

والتوحيد الذي جاء به الرسل إنما تضمن إثبات الألوهية لله وحده بأن يشهد أن لا إله إلا الله وحده، ولا يعبد إياه، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يوالي إلا له، ولا يعادي إلا فيه، ولا يعمل إلا من أجله. اهـ

وقال الإمام ابن أبي العز الحنفي في (شرح العقيدة الطحاوية):

وتوحيد الألوهية يقال له: توحيد العبادة لأن المألوه معناه: المعبود. بل التوحيد الذي دعت إليه الرسل ونزلت به الكتب هو توحيد الألوهية المتضمن توحيد الربوبية، وهو عبادة الله وحده لا شرك له.

فحقيقة هذا التوحيد: أن يعبد الله وحده ولا يشرك بعبادته أحد من خلقه، سواء في الأفعال أو الأقوال. ا هـ

خامسًا: معنى العبادة وأقسامها

العبادة: في اللغة: هي التذليل والخضوع

وفي الشرع: هي عبادة الله بامتثال ما أمر به على ألسنة الرسل.

أو كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية . رحمه الله . في (الفتاوى ١٠/ ١٤٩،١٥٠):

العبادة: هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة.

فالصلاة والزكاة والصيام والحج وصدق الحديث وأداء الأمانة وبر الوالدين وصلة الأرحام والوفاء بالعهود والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والجهاد للكفار والمنافقين والإحسان إلى الجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الآدميين والبهائم والدعاء والذكر والقراءة وأمثال ذلك من العبادة ، وكذلك حب الله ورسوله وخشية الله والإنابة إليه وإخلاص والرجاء لرحمته والخوف لعذابه وأمثال ذلك هي من العبادة لله ، وذلك أن العبادة لله هي الغاية المحبوبة له والمرضية له التي خلق الخلق لها. ا هـ

وأقسام العبادة أربعة أقسام: .

القسم الأول: عبادات قلبية

وهي ما يقوم بها القلب، وهي أصل لأعمال الجوارح فلا يصح عمل ظاهر بدون العمل الباطن.

وهي أنواع

منها:

الخوف من الله سبحانه وتعالى ومن عذابه وعقابه:

قال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾[الرحمن:٤٦]

وقال تعالى: ﴿ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[آل عمران:١٧٥]

وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾[النازعات:٤٠]

وقال تعالى على لسان نبيه: ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[الأنعام:١٥]

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ﴾[هود:١٠٣]

وقال تعالى: ﴿ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾[قّ: ٤٥]

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾[الرعد:٢١]

والخوف ثلاثة أقسام: .

خوف هو طاعة: وهو ما ذكرناه، وأعلاه الخوف من الله، ثم الخوف من عذاب الله وسوء الخاتمة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: الخوف المحمود هو ما حجزك عن محارم الله

القسم الثاني: خوف وهو شرك وهو نوعان:

النوع الأول: إذا خاف الإنسان من مخلوق على أنه يملك النفع والضرر فهذا شرك أكبر.

قال تعالى ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَه فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[آل عمران:١٧٥]

وقال إبراهيم لقومه: ﴿ وَلا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئاً وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ﴾[الأنعام: ٨٠]

والنوع الثاني: الشرك أصغر

وهو أن يخاف الإنسان من غيره من البشر فيؤدي ذلك إلي ترك واجب أو فعل محرم من غير إكراه على ذلك.

القسم الثالث: خوف طبيعي

وهو خوف لا محمود ولا مذموم لذاته:

كأن يخاف الإنسان من عدو يتربص به، أو من حيوان مفترس، ونحو ذلك، وهذا الخوف لا يقدح في التوحيد؛ فقد خاف أهل التوحيد العظام وهم الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم.

قال تعالى عن موسى عندما قتل المصري وهرب منهم: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[القصص:٢١]

وقال: ﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾[الشعراء:١٤]

وقال تعالى عن نبيه داود لما دخل عليه الخصمان: ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾[صّ:٢٢]

وقال عن نبيه إبراهيم إمام التوحيد عندما دخل عليه الملائكة ولم يأكلوا من الطعام: ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلامٍ عَلِيمٍ﴾[الذريات:٢٨]

٢. ومنها: المحبة وهي حب الله ورسوله وعباده المؤمنين

قال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾[البقرة:١٦٥]

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّه﴾[آل عمران: ٣١]

وقال تعالى في حق الأنصار: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾[الحشر: ٩]

وروى البخاري (١٥) ومسلم (٦٠) في صحيحهما عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺقَالَ: (ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاوَةَ الإِيمَانِ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لا يُحِبُّهُ إِلا لِلَّهِ وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ)

وروى البخاري(١٤) ومسلم (١٤٤) أيضا عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ)

وروى مسلم (١١٠) عَنْ عَدِيِّ بْنِ ثَابِتٍ قَالَ سَمِعْتُ الْبَرَاءَ يُحَدِّثُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺأَنَّهُ قَالَ فِي الأَنْصَارِ: (لا يُحِبُّهُمْ إِلا مُؤْمِنٌ وَلا يُبْغِضُهُمْ إِلا مُنَافِقٌ مَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ اللَّهُ وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللَّهُ)

والمحبة أيضا ثلاثة أقسام:

محبة هي طاعة: وهي ما ذكرناه، وأعلاها حب الله عز وجل ثم حب رسوله ﷺ ثم حب عباده المؤمنين

والقسم الثاني: المحبة المذمومة، وهي أنواع: .

النوع الأول: محبة شركية: وهي محبة غير الله كمحبة الله قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّه﴾[البقرة: ١٦٥]

النوع الثاني: محبة النفاق: .

كان يحب إشاعة الفاحشة في المؤمنين أو يحب أن يحمد بما لم يفعل قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾[النور:١٩]

النوع الثالث: محبة تؤدي إلى الكفر: وهي حب الكافر ومناصراته

قال تعالى: ﴿لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهمْ أَوْ أَبْنَاءَهمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾[المجادلة: ٢٢]

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيراً مِنَ الأَحبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ﴾[التوبة: ٣٤]

وأيضا: من المحبة المذمومة: حب الآباء والأبناء والأهل والعشيرة الكفار والمال والتجارة أكثر من حب الله ورسوله وطاعة الله ورسوله:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[التوبة:٢٤،٢٣]

النوع الرابع: محبة هي معصية: وهي حب المال والأهل والأود وشغفه بذلك مما يؤدي بها إلى البعد عن الطاعة والتشاغل عنها أو المحبة المحرمة من المرأة للرجل الأجنبي أو من الرجل للمرأة الأجنبية.

قال تعالى في معرض الذم: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبّاً جَمّاً﴾[الفجر:٢٠]

وقال تعالى: ﴿كَلا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾[القيامة:٢٠]

والعاجلة هي الدنيا وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[المنافقون:٩]

وقال سبحانه عن امرأة العزيز: ﴿ قَدْ شَغَفَهَا حُبّاً﴾[يوسف: ٣٠]

القسم الثالث محبة طبيعية: وهي لا محمودا ولا مذمومة لذاتها وهي محبة الأولاد ولأهل والأقارب والمال والخير من غير أن تلهي عن الطاعة أو تجر إلي معصية

قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾[آل عمران:١٤]

وقال تعالى: ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾[آل عمران:٩٢]

وقال تعالى: ﴿وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[الصف:١٣]

٣. ومن الأعمال القلبية

التوكل على الله تعالى:

وحقيقة التوكل: هو أن يعتمد العبد على الله واثقًا بحسن تدبيره سبحانه مع تفويض أمره بالكلية، والأخذ بالأسباب الظاهرة التي جعلها الله مواصلة بحكمته إلي مسبباتها، والسعي فيما لابد منه مما يدخل تحت مقدور العبد وتوقي أسباب الهلكة وأخذ الحذر مما قد يصيب الإنسان بسبب غروره وتهاونه.

والتوكل قسمان:

الأول: توكل طاعة، وهو ما ذكرناه:

قال تعالى: ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾[المائدة: ٢٣]

وقال تعالى: ﴿ وعلى الله فيتوكل المتوكلون ﴾[يوسف:٦٧]

وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[آل عمران: ١٥٩]

وقال سبحانه: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾[الشعراء:٢١٧]

القسم الثاني:

توكل شركي وهو نوعان:

النوع الأول:

توكل يؤدي إلى الشرك الأكبر وبذلك أن يعتمد العبد على غير الله بقلبه ويثق فيه في الأمور التي لا يملكها إلا الله سبحانه وتعالى مع تفويض الأمور إليه قال تعالى: ﴿ أَلا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلاً﴾[الإسراء: ٢]

قال ابن كثير رحمه الله: أي وكيلاً ولا نصيراً ولا معبوداً من دوني لأن الله تعالى أنزل على كل نبي أرسله أن يعبده وحده لا شريك له. أ.هـ

النوع الثاني:

توكل يؤدي إلى الشرك الأصغر:

وذلك كأن يقول الإنسان للآخر توكلت على الله وعليك: فيأتي بواو العطف ليشرك الإنسان مع الله عز وجل في هذه العبادة.

أما إذا قال: توكلت على الله ثم عليك فهذا صحيح؛ لأن ثم تفيد العطف والترتيب ولا تفيد اشتراك المتعاطفين في الحكم.

٤ . ومنها الخشية

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[فاطر: ٢٨]

وقال تعالى في صفات أهل التقوى: ﴿ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾[ق:٣٣]

وقال تعالى: ﴿فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ ﴾[المائدة: ٤٤].

٥ . ومنها الصبر

قال الدكتور محمد خليل هراس في كتاب " التوحيد ":

وحقيقته حبس النفس على ما تكره مما فيه مشقة أو ألم انتظار لموعود الله عز وجل

وهو إما صبر على طاعة الله والقيام بأوامره وهو على أنواع.

وإما صبر على محارم الله عز وجل، وكف النفس عنها وإما صبر على المصيبة والتسليم فيها لقضاء الله وقدره. إ. هـ

قال تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ﴾[البقرة: ٤٥]

وقال سبحانه لنبيه: ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَه﴾[الكهف: ٢٨]

وقال تعالى: ﴿ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُور﴾[لقمان: ١٧]

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[آل عمران:٢٠٠].

٦. ومنها الرغبة والرهبة والخشوع

قال تعالى: ﴿ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾[البقرة: ٤٠]

وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾[الأنبياء: ٩٠]

وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِ﴾[الحديد: الآية١٦].

٧ . ومنها الإنابة: قال تعالى: ﴿ وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ ﴾[الزمر: ٥٤].

٨ . ومنها الاستعانة: قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[الفاتحة:٥]

٩ . ومنها الرجاء: قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾[الأحزاب:٢١].

١٠ . ومنها الإخلاص

وهو أن يقصد الإنسان بعبادته وطاعته وجه الله عز وجل وابتغاء مرضاته لا يقصد جاهاً أو سلطاناً أو سمعة أو شهرة بين الناس، قال تعالى: ﴿ فاعبد الله مخلصاً له الدين ﴾[البينة:٥].

القسم الثاني: عبادات قولية: .

وهي مرجعها اللسان مثل الدعاء والذكر والحلف والاستعانة والاستعاذة والتسمية وقرأت القرآن والدعوة إلي الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك من العبادات القولية.

١. الدعاء: وهو اللجوء إلى الله سبحانه وتعالى بالثناء والحمد والتضرع والذل والخضوع والسكون ولا شك أنه من أفضل القرب إلى الله سبحانه وتعالى لأنه هو المقصد من العبادة لما رواه أحمد (١٧٦٣٩) وأصحاب السن الأربعة وصححه الألباني وغيره عَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ عَنْ النَّبِيِّ ﷺقَالَ: (الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ) ﴿قَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[غافر:٦٠]

وقال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[الأعراف:١٨٠]

وقال سبحانه: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[غافر:١٤]

والدعاء قسمان: .

دعاء محمود

ودعاء مذموم

أما الدعاء المحمود فهو نوعان:

الأول: الثناء على الله عز وجل والحمد له بالتقصير مع عدم إقران ذلك بطلب.

الثاني: أن يذكر الله عز وجل ويسبحه ويثنى عليه بما هو أهله ثم يقرن مطلبه في النهاية

كما كان النبي ﷺيدعوا بهذا الدعاء إِذَا قَامَ مِنْ اللَّيْلِ افْتَتَحَ صَلاتَهُ: (اللَّهُمَّ رَبَّ جَبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنْ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) رواه مسلم (١٢٨٩) عن عائشة رضي الله عنها وأشباه هذا الدعاء،

وقد كانت أكثر أدعية النبي ﷺتبدأ بالثناء على الله والحمد له والاعتراف بالذنب والإيمان به سبحانه وبعد ذلك يطلب منه ما يريد.

وأما الدعاء المذموم فهو نوعان:

الأول: دعاء شركي: وهو أن يتجه إلى غي الله بجلب نفع أو دفع ضرر وسيأتي تفصيل ذلك قريباً.

الثاني: دعاء بدعي وهو أن يتجه العبد إلى الله بأحد من خلقه (بحق أو بجاه) وسيأتي في التوسل.

٢ . الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

قال تعالى: ﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[آل عمران:١٠٤]

وقال سبحانه: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾[النحل: ١٢٥]

قال تعالى ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[يوسف:١٠٨].

٣ . الذكر

وهو مثل الدعاء في الفضل، إذ هو سلاح المؤمن من الشيطان، ومن أعدائه جميعاً وسلاحه من الغفلة ومن أعظم التجارات الرابحة مع الله سبحانه وتعالى فهو عمل جهده قليل وربحه كثير وجزاؤه عظيم لم يطلب الله سبحانه وتعالى الزيادة في ﷺ مثلما طلب في الذكر.

قال تعالى: ﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[الجمعة: ١٠]

وقال تعالى: ﴿واذكروا الله ذكراً كثيراً ﴾[الأحزاب:٤١]

وقال تعالى لنبيه زكريا عليه السلام: ﴿ واذكر ربك كثيراً ﴾[آل عمران:٤١]

وهو خير الأعمال وأزكاها عند الله عز وجل وأرفعها في الدرجات.

كما روى أحمد (٢٠٧١٣)الترمذي (٣٢٩٩) والحاكم وصححه عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَلا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ

أَعْمَالِكُمْ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ

قَالُوا: بَلَى

قَالَ: ذِكْرُ اللَّهِ)

وروى البخاري (٥٩٢٥) عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لا يَذْكُرُ رَبَّهُ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ)

٤ . الاستعاذة

وهي طلب العوذ، يقال: عاذ به يعوذ به عوذاً يعني: التجأ إليه وتحصن به ويقال استعاذ به كذلك: يعني طلب حمايته.

قال تعالى:﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾[النحل:٩٨]

وقال تعالى: ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ * وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾[المؤمنون: ٩٧:٩٨]

فالإنسان يستعيذ بالله عز وجل كما كان يستعيذ النبي د من عذاب القبر ومن عذاب النار، ومن فتن الدنيا ومن فتنة المسيح الدجال ومن شرور النفس، ومن سيئات الأعمال، ومن الهم والحزن والبخل والجبن والعجز والكسل وغلبة الدين وقهر الرجال، ومن المأثم والمغرم، وكان يستعيذ بكلمات

الله التامات من غضب الله وشر عباده ومن شر ما خلق ومن شر الحلم الذي فيه ما يكره، وغيرها من الاستعاذات التي فاضت بها كتب السنة الصحيحة.

القسم الثالث: عبادات بدنية

وهي أعمال الجوارح، وهي كثيرة ومن أعظمها الأركان الثلاث الصلاة والصيام والحج، قال تعالى: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾[هود:١١٤]

وقال سبحانه: ﴿ أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ ﴾[الإسراء: ٧٨]

وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ الصَّلاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾[النساء: ١٠٣]

وقال سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[البقرة:١٨٣]

وقال سبحانه: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾[آل عمران: ٩٧]

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[الصف: ١٠،١١]

ومن العبادات البدنية: الرحلة في طلب العلم، والتفريج عن المؤمن كربه، ومدارسة كتاب الله .

روى مسلم (٤٨٦٧) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ،

وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلا نَزَلَتْ عَلَيْهِمْ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمْ الْمَلائِكَةُ وَذَكَرَهُمْ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ)

القسم الرابع: العبادات المالية:

وهي التي تكون من الأموال: كالزكاة المفروضة والصدقات التطوعية والنفقات والنذر والذبح وغيرها من العبادات التي تكون بالمال.

قال تعالى: ﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ﴾[البقرة:٤٣]

وقال سبحانه عن عباده المؤمنين: ﴿ والذين هم للزكاة فاعلون﴾[المؤمنون:٤]

وقال سبحانه: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾[آل عمران: ١٣٣،١٣٤]

وقال سبحانه: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[البقرة:٢٦١]

وقال سبحانه: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الأنعام:١٦٢]

وقال سبحانه: ﴿لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾[الأنعام:١٦٣]

وقال سبحانه: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُه﴾[البقرة: ٢٧٠]

وقال سبحانه: ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً﴾[البقرة: ٢٤٥].

سادساً: شروط صحة العبادات وقبولها

لأجل أن تصح عبادة المسلم ويقبلها الله عز جل لا بد من وجود هذه الشروط الثلاثة وهي: .

١. الإيمان

٢. المتابعة

٣. الإخلاص

الشرط الأول: الإيمان

وهو ما تقدم ذكره في درجات الإيمان، ويقصد به الإيمان الركن لا الإيمان الواجب، فلابد من اعتقاد القلب وقول اللسان ، ويتضمن ذلك الإيمان بما جاء به الرسول ﷺ من عند ربه جملة وعلى الغيب والالتزام به جملة وعلى الغيب؛ لأن أي خلل في هذا الأصل يؤدي إلى إحباط جميع الأعمال فالكفر والشرك محبطان للعمل.

فمثلاً الصلاة: لابد أولاً من التصديق الجازم بأن الخمس صلوات . الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح . فرض عين على كل مسلم مكلف. فإن اعتقد غير ذلك فهو الكافر ولو صلاها إلا إن كان جاهلاً.

الشرط الثاني: المتابعة

ويقصد بها متابعة النبي ﷺ فيما جاء به من عند ربه من غير زيادة ولا نقصان.

فالزيادة: من البدع

فالبدعة هي لغة: إحداث شيء لم يكن من قبل

واصطلاحًا: على أقوال من أهل العلم متقاربة المعنى منها ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في الفتاوى (١٨/٣٤٦):

والبدعة: ما خالفت الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة من الاعتقادات والعبادات كأقوال الخوارج والروافض والقدرية والجهمية، وكالذين يتعبدون بالرقص والغناء في المساجد، والذين يتعبدون بحلق اللحى وأكل الحشيشة، وأنواع ذلك من البدع التي يتعبد بها طوائف من المخالفين للكتاب والسنة والله أعلم. ا هـ

والبدع أشر من المعاصي؛ ولذلك حذرنا منها النبي ﷺ في اكثر من حديث منها ما رواه أحمد (١٦٥٢١) وأبوا داود(٢٩٩١) والترمذي (٢٦٠٠) وابن ماجة (٤٢) عن الْعِرْبَاضَ بْنَ سَارِيَةَ قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺذَاتَ يَوْمٍ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ! كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا ؟

فَقَالَ: (أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا؛ فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلافًا كَثِيرًا فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ

الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ) لفظ أبي داود وقال الترمذي: هذا حديث صحيح حسن. وصححه الألباني

وروى ومسلم (٣٢٤٣) عن عَائِشَةُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺقَالَ: (مَنْ عَمِلَ عَمَلا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ)

وفي رواية (مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ)

والبدعة هي طريقة غير شرعية مخترعة في الدين يقصد بها ما يقصد بالطريقة الشرعية.

والبدع منها ما يكفر بفعله، ومنها ما يفسق، وكل بدعة في الدين فهي ضلالة.

والنقصان: إما استحسان فيكون بدعة

وإما تهاون فيكون إما معصية أو منقصة للأجر

أوصاف المتابعة:

قال: الشيخ بن عثيمين ـ رحمه الله ـ في (رسالة التوحيد ص٢٩) ما مختصره:

والمتابعة لا تتحقق إلا بستة أوصاف

أن تكون العبادة موافقة للشريعة في سببها وجنسها وقدرها وكيفيتها وزمانها ومكانها.

أولاً: أن تكون العبادة موافقة للشريعة في سببها

فأي إنسان يعبد الله بعبادة مبنية على سبب لم يثبت بالشرع فهي مردودة ليس عليها أمر الله ورسوله.

ومثال ذلك: الاحتفال بمولد النبي ﷺ وكذلك الذين يحتفلون بليلة السابع والعشرين من رجب بدعوى أن النبي ﷺ عرج به في تلك الليلة، فهو غير موافق للشرع ومردود.

ثانيًا: . أن تكون العبادة موافقة للشريعة في جنسها

مثل أن يضحي الإنسان بفرس، فلو ضحى الإنسان بفرس كان بذلك مخالفاً للشريعة في جنسها؛ لأنه لم يثبت ذلك في الشرع

ثالثاً: . أن تكون العبادة موافقة للشريعة في قدرها

لو أن أحداً من الناس قال: أنه يصلي الظهر ستاً فهل هذه العبادة تكون موافقة للشريعة ! كلا لأنها غير موافقة لها في القدر.

رابعاً:. أن تكون العبادة موافقة للشريعة في كيفيتها

لو أن الإنسان فعل العبادة بجنسها وقدرها وسببها لكن خالف الشرع في كيفيتها فلا يصح ذلك

مثال ذلك: رجل أحدث حدثاً أصغر وتوضأ لكنه غسل رجليه ثم مسح رأسه ثم غسل يديه ثم غسل وجهه فهل يصح وضوءه ! كلا لأنه خالف

الشرع في الكيفية. وكذلك من صلى فقدم السجود قبل الركوع لا تصح صلاته.

خامساً: . أن تكون العبادة موافقة للشريعة في الزمان

مثل أن يصوم الإنسان رمضان في شعبان أو في شوال، أو يصلي صلاة الظهر قبل الزوال أو بعد أن يصير كل شيء مثليه؛ لأنه إن صلاها قبل الزوال صلاها قبل الوقت وإن صلاها بعد أن يصير ظل كل شيء مثله صلاها بعد الوقت فلا تصح صلاته قبل الوقت ولا تصح بعد الوقت إلا من عذر.

سادساً: . أن تكون العبادة موافقة للشريعة في مكانها

فلو أن إنساناً وقف يوم عرفة بمزدلفة لم يصح وقوفه؛ لعدم موافقة العبادة الشرع في مكانها. إ. هـ باختصار.

الشرط الثالث: الإخلاص

هو أن يقصد الإنسان بعمله وجه الله عز وجل وابتغاء مرضاته لا وجه الناس أو مرضاتهم أو شهرة بينهم أو حب مدح وثناء.

وبمعنى آخر: هو تصفية العمل بصالح النية من شوائب الشرك . وهو الرياء .

قال تعالى: ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾[الكهف: ١١٠]

وقال سبحانه: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾[البينة:٥]

قال شيخ الإسلام بن تيميه رحمه الله في رسالة " العبودية "

والعبادة لها أصلان:

أحدهما: أن لا يعبد إلا الله

الثاني: أن لا يعبد إلا بما أمر وشرع ولا يعبد بغير ذلك من الأهواء والظنون والبدع

قال تعالى: ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾[الكهف: ١١٠]

فالعمل الصالح هو: ما أمر به أمر إيجاب أو استحباب فما كان من البدع في الدين ليست في الكتاب ولا في السنة الصحيحة؛ فإنها وإن قالها من قالها وعمل بها من عمل ليست من العمل الصالح

وأما قوله تعالى: ﴿ولا يشرك بعبادة ربه أحداً ﴾

فهو إخلاص الدين لله وحده سبحانه، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: " اللهم اجعل عملي كله صالحا، واجعله لوجهك خالصا، ولا تجعل لأحد فيه شيئاً "

وقال الفضيل بن عياض ـ رحمه الله ـ في قوله: ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾[الملك: ٢]: أخلصه وأصوبه

قالوا: يا أبا علي ! ما أخلصه وما أصوبه ؟

قال: إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل، وإن كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل، حتى يكون خالصاً صوابا، والخالص ما كان لله تعالى والصواب أن يكون على السنة. إ. هـ

والرياء محبط للعمل وزيل للإخلاص من القلب بحسبه

روى أحمد في مسنده (٧٦٥٨) وابن ماجة (٤١٩٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ قَالَ: (أَنَا خَيْرُ الشُّرَكَاءِ فَمَنْ عَمِلَ عَمَلا فَأَشْرَكَ فِيهِ غَيْرِي فَأَنَا بَرِيءٌ مِنْهُ وَهُوَ لِلَّذِي أَشْرَكَ) وصححه الألباني.

وروى مسلم في صحيحه (٣٥٢٧) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا

قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟

قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ

قَالَ: كَذَبْتَ؛ وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لأَنْ يُقَالَ جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ. ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ

وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا

قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟

قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ، وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ

قَالَ: كَذَبْتَ؛ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ فَقَدْ قِيلَ. ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ

وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا

قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟

قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إلا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ

قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ فَقَدْ قِيلَ. ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ)

فهذه أعمال عظيمة قام بها أصاحبها؛ ولكنها فقدت شرط الإخلاص فبدلاً من أن تكون لهم جُنَّة من النار كانت سبباً لدخولهم فيها، ألا فليحذر الذي يريد الآخرة ونعيمها أن يفقد هذا الشرط العظيم.

سابعًا: معنى لا إله إلا الله محمد رسول الله [1]

أ. معنى لا إله إلا الله

هي أنه لا معبود بحق إلا الله سبحانه وتعالى، فهي تتضمن **نفيٌ وإثباتٌ**

(١) راجع في هذا المبحث (معنى لا إله إلا الله) للزركشي، و(تحقيق كلمة الإخلاص) لابن رجب الحنبلي،، مع كتب التوحيد المشار إليها سابقًا

والمقصود بالنفي : هو نفي كل المعبودات الباطلة من إنسان أو حيوان أو جماد، مما يعبدها الناس أو يتقربوا بها إلى الله عز وجل، والكفر بهذه المعبودات الباطلة.

قال تعالى: ﴿وَلا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُوماً مَدْحُوراً﴾[الإسراء: ٣٩]

وقال تعالى: ﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[البقرة: ٢٥٦]

والإثبات: هو الاعتراف مع اليقين أن الذي يستحق العبادة هو الله وحده لا شريك له.

لا إله: نفي للمعبودات الباطلة.

إلا الله: إثبات العبادة لله وحده.

فمن صرف شيئاً من العبادات الظاهرة أو الباطنة لغير الله سبحانه وتعالى فلم يحقق النفي المطلوب في الكلمة، ومن رأى أن الله لا يستحق العبادة أو شيئاً منها فلم يحقق الإثبات المطلوب.

ب . فضل هذه الكلمة

فهي الكلمة التي من أجلها خلقت الخليقة وأرسلت الرسل وأنزلت الكتب ووضع الميزان والكتاب وخلقت الجنة والنار والعذاب والنعيم، وهي عصمة

للإنسان في الدنيا من القتل وأخذ الأموال والنساء، ونجاة يوم القيامة من النار أو من الخلود في النار.

روى البخاري (٣٧٢٧) ومسلم (٣٢) عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ فَمَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي نَفْسَهُ وَمَالَهُ إِلا بِحَقِّهِ وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ)

وروى البخاري (٣١٨٠) عَنْ عُبَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺقَالَ مَنْ شَهِدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ وَالْجَنَّةُ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ الْعَمَلِ) قَالَ الْوَلِيدُ حَدَّثَنِي ابْنُ جَابِرٍ عَنْ عُمَيْرٍ عَنْ جُنَادَةَ وَزَادَ (مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ أَيَّهَا شَاءَ.)

وروى مسلم في صحيحه (٣٨) عَنْ عُثْمَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ)

قال بن رجب الحنبلي ـ رحمه الله ـ في كتابة (كلمة الإخلاص ص٥٢ ـ ٧١) ما مختصرة:

وكلمة التوحيد لها فضائل عظيمة لا يمكن ها هنا استقصاؤها فلنذكر بعض ما ورد فيها :

فهي كلمة التقوى : كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه من الصحابة **وهي كلمة الإخلاص، وشهادة الحق أو دعوة الحق، وبراءة من الشرك ونجاة هذا الأمر ولأجلها خلق الله الخلق**

كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ﴾[الذريات:٥٦]

ولأجلها أرسل الرسل وأنزلت الكتب كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾[الأنبياء:٢٥]

وقال تعالى : ﴿يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾[النحل:٢]

ولهذا قال بن عيينة: من أنعم الله على عبد من العباد نعمة أعظم من عرفها لا إله إلا الله. وأن لا إله إلا الله لأهل الجنة كالماء البارد لأهل الدنيا، ولأجلها أعدت دار الثواب ودار العقاب، ولأجلها أمرت الرسل بالجهاد، فمن قالها عصم ماله ودمه، ومن آباها فماله ودمه هدر.

وهي مفتاح الجنة ومفتاح دار الرسل وبها كلم الله موسى كفاحا . اهـ

وهي: ثمن الجنة [1]: قاله الحسن البصري وغيره

(١) اعترض البعض . ممن لا يفرقون بين عقيدة السلف وعقيدة أهل البدع . على هذه الكلمة وقالوا باللفظ الصريح: (أن الجنة لا ثمن لها)، وضربوا بنصوص الكتاب والسنة بعضها ببعض، وحذوا حذو الجبرية، وهذا مما ألقى الشيطان شبهاته على قلوب هؤلاء، فرفضوا صريح كلام الله ورسوله وكلام السلف والعلماء في هذا الشأن وسلكوا مسلك أهل البدع في التأويل، وقد جمعنا أدلة ذلك في رسالتنا (ثمن الجنة) فالتراجع

روى أبو داود (٢٧٠٩) والحاكم (٥٠٣/١) وصححه ووافقه الذهبي والألباني

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ كَانَ آخِرُ كَلامِهِ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ)

وهي نجاة من النار: .

روى مسلم في صحيحه (٥٧٥) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ:

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺيُغِيرُ إِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ وَكَانَ يَسْتَمِعُ الأَذَانَ فَإِنْ سَمِعَ أَذَانًا أَمْسَكَ وَإِلا أَغَارَ فَسَمِعَ رَجُلا يَقُولُ: اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عَلَى الْفِطْرَةِ ثُمَّ

قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: خَرَجْتَ مِنْ النَّارِ.

فَنَظَرُوا فَإِذَا هُوَ رَاعِي مِعْزًى.

وهي توجب المغفرة، وهي أحسن الحسنات:

روى أحمد في مسنده (٢٠٥١٢) والبيهقي في (الأسماء والصفات) عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ! أَوْصِنِي

قَالَ: إِذَا عَمِلْتَ سَيِّئَةً فَأَتْبِعْهَا حَسَنَةً تَمْحُهَا

قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمِنْ الْحَسَنَاتِ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ ؟

قَالَ: هِيَ أَفْضَلُ الْحَسَنَاتِ.)(وحسنه الألباني)

وهي تمحو الذنوب والخطايا وترجح بهم يوم القيامة:

روى أحمد (٦٦٩٩) والترمذي(٢٥٦٣) وابن ماجة(٤٢٩٠) والحاكم وصححه ووافقه الذهبي وصححه الألباني عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلا كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا ؟

(فيقول: لا يارب) [1]

(فيقول): أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ

فَيَقُولُ: لا يَا رَبِّ

فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟

فَيَقُولُ: لا يَا رَبِّ

(ثم يقول: ألك عن ذلك حسنة ؟)

(فيهاب الرجل فيقول: لا)

فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً فَإِنَّهُ لا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ

(١) ما بين القوسين زيادة الروايات الأخرى

فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ

فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلاتِ ؟!!

فَقَالَ: إِنَّكَ لا تُظْلَمُ

قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجِلاتُ فِي كَفَّةٍ وَالْبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ فَطَاشَتْ السِّجِلاتُ وَثَقُلَتْ الْبِطَاقَةُ فَلا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ)

وهي أكبر من السماوات والأراضين

روى أحمد في مسنده(٦٢٥٩) بسند صحيح عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: (إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ نُوحًا ﷺلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ لابْنِهِ إِنِّي قَاصٌّ عَلَيْكَ الْوَصِيَّةَ، آمُرُكَ بِاثْنَتَيْنِ وَأَنْهَاكَ عَنْ اثْنَتَيْنِ آمُرُكَ بِلا إِلَهَ إِلا اللَّهُ؛ فَإِنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَالأَرْضِينَ السَّبْعَ لَوْ وُضِعَتْ فِي كِفَّةٍ وَوُضِعَتْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ فِي كِفَّةٍ رَجَحَتْ بِهِنَّ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَلَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَالأَرْضِينَ السَّبْعَ كُنَّ حَلْقَةً مُبْهَمَةً قَصَمَتْهُنَّ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ ... الحديث)

وهي التي تخرق الحجب حتى تصل إلى الله عز وجل:

روى الترمذي في سننه ووافقه الألباني عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَا قَالَ عَبْدٌ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ قَطُّ مُخْلِصًا إِلا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ حَتَّى تُفْضِيَ إِلَى الْعَرْشِ مَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ)

وهي الكلمة التي يصدق قائلها

روى الترمذي(٣٣٥٢) وابن ماجة (٣٧٨٤) وابن حبان (٨٥١) وأبو يعلى في مسنده(١٢٥٨) وغيرهم عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنْ الأَغَرِّ أَبِي مُسْلِمٍ أَنَّهُ شَهِدَ عَلَى أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ أَنَّهُمَا شَهِدَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺقَالَ: (إِذَا قَالَ الْعَبْدُ: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ

قَالَ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: صَدَقَ عَبْدِي؛ لا إِلَهَ إِلا أَنَا وَأَنَا أَكْبَرُ

وَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَحْدَهُ

قَالَ: صَدَقَ عَبْدِي؛ لا إِلَهَ إِلا أَنَا وَحْدِي

وَإِذَا قَالَ: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ لا شَرِيكَ لَهُ

قَالَ: صَدَقَ عَبْدِي؛ لا إِلَهَ إِلا أَنَا وَلا شَرِيكَ لِي

وَإِذَا قَالَ: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ

قَالَ: صَدَقَ عَبْدِي؛ لا إِلَهَ إِلا أَنَا لِي الْمُلْكُ وَلِيَ الْحَمْدُ

وَإِذَا قَالَ: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِاللَّهِ

قَالَ: صَدَقَ عَبْدِي؛ لا إِلَهَ إِلا أَنَا وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِي

قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: ثُمَّ قَالَ الأَغَرُّ شَيْئًا لَمْ أَفْهَمْهُ، قَالَ: فَقُلْتُ لأَبِي جَعْفَرٍ: مَا قَالَ ؟

فَقَالَ: مَنْ رُزِقَهُنَّ عِنْدَ مَوْتِهِ لَمْ تَمَسَّهُ النَّارُ) وصححه الألباني.

وهي أفضل الذكر:

روى الترمذي(٣٣٠٥) وبن ماجة(٣٧٩١) وابن حبان (٨٤٦) والحاكم (١٨٣٤) عن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قُالُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺيَقُولُ: (أَفْضَلُ الذِّكْرِ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ الْحَمْدُ لِلَّهِ) وحسنه الترمذي ووافقه الألباني.

ومن فضائلها:

أن أهلها وإن دخلوا النار بتقصيرهم في حقوقها فإنهم خارجون منها: كما جاء في حديث الشفاعة الطويل في الصحيحين وغيرهما عن أنس وأبي سعيد الخدري (... يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ وَسَلْ تُعْطَهْ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأَقُولُ يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي

فَيُقَالُ لِي: انْطَلِقْ فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى أَدْنَى أَدْنَى مِنْ مِثْقَالِ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ مِنْ النَّارِ، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ ... ثُمَّ أَرْجِعُ إِلَى رَبِّي فِي الرَّابِعَةِ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا

فَيُقَالُ لِي: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ وَسَلْ تُعْطَ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأَقُولُ: يَا رَبِّ ائْذَنْ لِي فِيمَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ

قَالَ: لَيْسَ ذَاكَ لَكَ، أَوْ قَالَ: لَيْسَ ذَاكَ إِلَيْكَ وَلَكِنْ وَعِزَّتِي وَكِبْرِيَائِي وَعَظَمَتِي وَجِبْرِيَائِي لأُخْرِجَنَّ مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ.)

فهذه بعض فضائل هذه الكلمة الطيبة العظيمة، فهنيئًا لمن تمسك بها وعمل بمقتضاها وسار على نهجها.

(تنبيه)

شروط لا إله إلا الله

قد ذكر بعض أهل العلم شروطًا لهذه الكلمة العظيمة كنا قد أوردناها في الطبعة السابقة من الكتاب، ولكن حدث خلط في فهم الكثير بين أنها شروط لصحة الإيمان، وبين أنها شروط للانتفاع بها يوم القيامة، فهي تنقسم إلى شروط لكمال إيمان قائلها، وشروط لصحة إيمان قائلها، وسوف نفرد لها مؤلفًا خاصًا بإذن الله نوضح ما استغلق على الأفهام، ونعتقد أن ما درج عليه بعض أهل العلم من المعاصرين بوضع شروطًا سبعًا لهذه الكلمة فهو لا دليل عليه، ولم يثبت عن أحد من السلف ذلك. وأيضًا تقييدًا لا دليل عليه.

(ج) معنى محمد رسول الله

ومعناها: هو الإقرار باللسان والتصديق بالقلب بأن محمد بن عبد الله ابن المطلب الهامشي القرشي رسول الله عز وجل إلى جميع الأمم من الثقلين الجن والإنس، بشيرًا ونذيرًا، مبلغًا رسالة ربه التي أوحاها إليه.

قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[الأعراف:١٥٨]

وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً﴾[الفرقان: ١]

والإيمان به لا يؤدي إلى الغلو فيه، ورفعه فوق المنزلة التي أنزله الله إياها، فهو سيد الأولين والآخرين، وخاتم الأنبياء والمرسلين، وخليل الله، ولكنه لا يكون إلا عبدًا لله سبحانه وتعالى.

وشرط هذه الكلمة:

هي الإيمان بما جاء به من عند ربه جملة وعلى الغيب والالتزام به جملة وعلى الغيب.

والتصديق الجازم بأن طاعته من طاعة الله، ومعصيته من معصية الله

قال تعالى: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً﴾[النساء: ٨٠]

وأنه يجب الأخذ بما جاءنا به وترك ما نهانا عنه، وعدم مخالفة أمره

قال تعالى: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[الحشر: ٧]

وقال تعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[النور: ٦٣]

الفصل السادس

قضايا مهمة في التوحيد

المبحث الأول

الشرك[1]

أولاً: تعريفة

١ – لغة: بمعنى المخالطة والمشاركة

٢– شرعًا: هو جعل شريك مع الله في ألوهيته أو ربوبيته أو أسمائه وصفاته

ثانيًا: الميثاق الذي أخذه الله على بني آدم وهم في ظهر أبيهم

وهو: الميثاق والعهد الذي أخذه الله على بني آدم في ظهره عندما نثرهم كالذر وأشهدهم على ذلك أنه هو الله عز وجل الخالق الرازق المحيي المميت، وعلى أن لا يشركوا بالله شيئًا

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ

(١) راجع في هذا المبحث (كتاب التوحيد) للشيخ محمد بن عبد الوهاب وشروحاته، وكتاب (شرح نواقض الإيمان) لسليمان بن ناصر العلوان، وكتاب (التوحيد) لصالح الفوزان، وكتاب (معارج القبول)لابن حكمي ج١ وغيرها من المراجع في هذا الشأن.

إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ * وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآياتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[الأعراف: ١٧٢-١٧٤].

قال ابن جرير في تفسيره (٩/١١٠):

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد: واذكر يا محمد ربك إذ استخرج ولد آدم من أصلاب آبائهم فقررهم بتوحيده وأشهد بعضهم على بعض شهادتهم بذلك وإقرارهم به. أ. هـ

روى البخاري (٣٠٦٧) عَنْ أَنَسٍ يَرْفَعُهُ: (إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا: لَوْ أَنَّ لَكَ مَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ كُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ ؟

قَالَ: نَعَمْ

قَالَ: فَقَدْ سَأَلْتُكَ مَا هُوَ أَهْوَنُ مِنْ هَذَا وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ أَنْ لا تُشْرِكَ بِي فَأَبَيْتَ إِلا الشِّرْكَ)

ثالثاً: أول حدوث الشرك

كان بين آدم ونوح عليهما السلام ألف عام، وكان الناس فيها على التوحيد الخالص، وكان هناك خمسة من الصالحين أحبهم الناس، والتفوا حولهم، فلما هلكوا حزنوا عليهم، فآتي إليهم الشيطان وأوحي إليهم أن يصنع لهم تماثيل وصور لهؤلاء القوم يذكرونهم بها، ثم توالت الأجيال جيل بعد جيل، وكلما هلك جيل اشتد تقديس هؤلاء الصالحين من الجيل الآخر، إلى أن أوحى

إليهم الشيطان أن أجدادهم وآباءهم كانوا يعبدون تلك الأصنام، فبنوا لها المعابد وعكفوا على عبادتها، فأرسل الله إليهم نوحًا عليه السلام يدعوهم إلي التوحيد ونبذ هذا الشرك، فأبو وأصروا على ما هم عليه، لذا قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدّاً وَلا سُوَاعاً وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً﴾[نوح:٢٣]

ذكر ابن كثير في تفسيره عن محمد قيس أنه قال:

كانوا قوما صالحين بين آدم ونوح، وأن لهم إتباع يقتدون بهم، فلم ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم: لو صورناهم لكان أشوق لنا إلي العبادة إذا ذكرناهم، فصورهم، فلما ماتوا جاء آخرون دب إليه إبليس فقال: إنما كانوا يعبدونهم وبهم يسقون المطر فعبدوهم. أ . هـ.

وروى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد:

أما وُد فكانت لكلب بدومة الجندل، وأما سواع فكانت لهذيل، وأما يغوث فكانت لمراد ثم لبني غطيف بالجرف عند سبأ، وأما يعوق فكانت لهمدان، وأما نسرا فكانت لحمير لآل كلاع.

وهي أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا في مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابا، فسموها بأسمائهم فلما تعبد حتى إذا هلك أولئك وقل العلم عبدت.

ويستفاد من ذلك ما يلي: .

١. إن من أسباب الشرك هو الغلو في الصالحين

٢. إن استحسان الشيء لابد وأن يكون موافقا لشرع الله وإلا أعتبر ذلك أول خطى الشيطان

٣. تحريم الصور والتماثيل لأنها ذريعة إلي الغلو

ولذلك حرمها النبي ﷺ في أكثر من حديث روى البخاري(٥٤٩٨) ومسلم (٣٩٣٧) عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: (قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺمِنْ سَفَرٍ وَقَدْ سَتَرْتُ بِقِرَامٍ لِي عَلَى سَهْوَةٍ لِي فِيهَا تَمَاثِيلُ، فَلَمَّا رَآهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺهَتَكَهُ وَقَالَ: أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهُونَ بِخَلْقِ اللَّهِ.

قَالَتْ: فَجَعَلْنَاهُ وِسَادَةً أَوْ وِسَادَتَيْنِ)

وروى البخاري (٥٤٩٤) عَنْ مُسْلِمٍ قَالَ: كُنَّا مَعَ مَسْرُوقٍ فِي دَارِ يَسَارِ بْنِ نُمَيْرٍ فَرَأَى فِي صُفَّتِهِ تَمَاثِيلَ فَقَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺيَقُولُ: (إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُصَوِّرُونَ)

وروي مسلم (٣٩٤٥) عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي الْحَسَنِ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ فَقَالَ: إِنِّي رَجُلٌ أُصَوِّرُ هَذِهِ الصُّوَرَ فَأَفْتِنِي فِيهَا

فَقَالَ لَهُ: ادْنُ مِنِّي. فَدَنَا مِنْهُ، ثُمَّ قَالَ: ادْنُ مِنِّي. فَدَنَا حَتَّى وَضَعَ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ قَالَ: أُنَبِّئُكَ بِمَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺيَقُولُ: (كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ يَجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفْسًا فَتُعَذِّبُهُ فِي جَهَنَّمَ)

و قَالَ: إِنْ كُنْتَ لا بُدَّ فَاعِلا فَاصْنَعْ الشَّجَرَ وَمَا لا نَفْسَ لَهُ.

وروى البخاري (٥٥٠٤) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺأَنَّهَا اشْتَرَتْ نُمْرُقَةً فِيهَا تَصَاوِيرُ، فَلَمَّا رَآهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺقَامَ عَلَى الْبَابِ فَلَمْ يَدْخُلْ فَعَرَفَتْ فِي وَجْهِهِ الْكَرَاهِيَةَ

قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ مَاذَا أَذْنَبْتُ ؟

قَالَ: مَا بَالُ هَذِهِ النُّمْرُقَةِ ؟

فَقَالَتْ: اشْتَرَيْتُهَا لِتَقْعُدَ عَلَيْهَا وَتَوَسَّدَهَا

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الصُّوَرِ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيُقَالُ لَهُمْ أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ، وَقَالَ: إِنَّ الْبَيْتَ الَّذِي فِيهِ الصُّوَرُ لا تَدْخُلُهُ الْمَلائِكَةُ.)

فالتصوير حرام إلا لضرورة مثل الهويات (البطاقات)، وجواز السفر، وما لابد منه، ولا يجوز اقتناء الصور وتعليقها سدًا لذريعة الشرك.

٤ . أن الأصنام التي عُبدت بأرض العرب كانت هذه الأصنام وغيرها.

٥. إن أصحاب القبور والأضرحة ممن يتخذوها قربة لله؛ هم واقعون في نفس الشرك التي وقع فيه قوم نوح.

٦ . أن الجهل سبب لكل بلية وشرك، والعلم نجاة من ظلمة الضلال إلى نور الهداية.

رابعاً: أنواع الشرك

وينقسم الشرك بحسب الاعتقاد والعمل إلى نوعين: شرك أكبر، وشرك أصغر.

القسم الأول: الشرك الأكبر:

وهو مخرج من الملة، وأن الله لا يغفره لصاحبه إلا إذا تاب،

قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً﴾[النساء:١١٦]

وهو أنواع كثيرة على رأسها ثلاثة أنواع: .

النوع الأول: شرك الدعاء

وصورته أن يدعوا الإنسان غير الله لجلب نفع أو رفع ضر بالغيب، وهذا الشرك يجتمع فيه شرك الاعتقاد وشرك العمل؛ وذلك أنه لا يدعوا الإنسان غير الله إلا إذا اعتقد أنه يملك النفع والضر.

وكان المشركون . ولا يزالون . يفعلون ذلك لأصنامهم ومعبوداتهم في حالة الرخاء، أما في حالة الشدة فكانوا يتجهون إلى الله بالدعاء

قال تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾[العنكبوت:٦٥]

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾[الروم:٣٣]

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآياتِنَا إِلا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾[لقمان:٣٢]

أما حالة المشركين **في** هذا الزمان من عباد القبور والأحجار والآبار والآثار والأشجار فهم أشد شركاً من الأوائل؛ وذلك أنهم يتجهون إلى معبوداتهم في حالة الشدة أكثر ما يدعونهم في حالة الرخاء، ولذلك رد الله عز وجل عليهم باطلهم، وحذرهم في أكثر من آية وبين لهم أنه سبحانه النافع والضار، وأن هذه المعبودات لا تملك من دون الله شيئاً وليس لها حكم في شيء،

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ * أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾[النحل:٢٠.٢١]

وقال تعالى: ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلا تَحْوِيلاً﴾[الإسراء:٥٦]

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾[الحج:٧٣]

وقال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ ﴾[سبأ: ٢٢]

وقال تعالى: ﴿ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ * إِنْ تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾[فاطر١٣،١٤]

النوع الثاني: شرك المحبة

قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾[البقرة:١٦٥]

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ في (مدارج السالكين ١/ ١٦٨): .

وهو أن يتخذ من دون الله نداً يحبه كما يحب الله وهو الشرك الذي تضمن تسوية الرسل برب العالمين ولهذا قال لآلهتهم في النار: ﴿ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ * إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الشعراء:٩٧:٩٨] مع إقرارهم بأن الله وحده خالق كل شيء وربه ومليكه، وأن آلهتهم لا تخلق ولا ترزق ولا تحيي ولا تميت؛ وإنما كانت هذه المحبة في التسوية والتعظيم والعبادة كما هو حال أكثر مشركي العالم، بل كلهم يحبون معبوداتهم ويعظموها ويوالونها من دون الله، وكثير منهم بل أكثرهم يحبون آلهتهم أكثر من محبة الله، ويستبشرون بذكرهم أعظم من استبشارهم إذا ذكر الله وحده، ويغضبون لمنتقصي

معبوديهم وآلهتهم من . المشايخ . أعظم مما يغضبون إذا انتقص أحد رب العالمين [1]، وإذا انتهكت حرمة من حرمات آلهتهم ومعبوداتهم غضبوا غضب الليث إذا مرد وإذا انتهكت حرمة من حرمات الله لم يغضبوا لها؛ بل إذا قام المنتهك لها بإطعامهم شيئاً رضوا عنه، ولم تنكر له قلوبهم، وقد شاهدنا نحن وغيرنا منهم جهرة، وترى أحدهم قد اتخذ ذكر إلهه ومعبوده من دون الله على لسانه ديناً له، إن قام وإن قعد [2] وإن عثر وإن رضي وإن استوحش، فذكر إلهه ومعبوده من دون الله هو الغالب على قلبه ولسانه، وهو لا ينكر ذلك، وهو يزعم أنه يُلَبَّ حاجته إلى الله وشفيعه عنده ووسيلته إليه. اهـ

النوع الثالث: شرك الطاعة

هو طاعة الشيخ أو المطاع أو المتبوع في تحليل ما حرم الله وتحريم ما حل الله مع اعتقاد أن هذا شرع الله أو مثله أو أفضل منه.

قال تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[التوبة:٣١]

(١) بل إن كثيرًا من هؤلاء من يستهزئ بالله ورسله وآياته، بل ويسبون الله عزوجل عيانًا، ولا نكير من أحد ممن يجالسهم.

(٢) قلت: مثلاً يقول: يا سيدة ، يا أم هاشم ، يا أم المخلص، يا أبا العباس وغير ذلك إذا قام وإذا قعد، وكل ذلك شرك بالله

وروى الترمذي (٣٠٢٠) قال: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ يَزِيدَ الْكُوفِيُّ حَدَّثَنَا عَبْدُ السَّلامِ بْنُ حَرْبٍ عَنْ غُطَيْفِ بْنِ أَعْيَنَ عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺوَفِي عُنُقِي صَلِيبٌ مِنْ ذَهَبٍ

فَقَالَ: يَا عَدِيُّ اطْرَحْ عَنْكَ هَذَا الْوَثَنَ. وَسَمِعْتُهُ يَقْرَأُ فِي سُورَةِ بَرَاءَةٌ ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾

قَالَ: أَمَا إِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْبُدُونَهُمْ؛ وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا أَحَلُّوا لَهُمْ شَيْئًا اسْتَحَلُّوهُ وَإِذَا حَرَّمُوا عَلَيْهِمْ شَيْئًا حَرَّمُوهُ)

قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لا نَعْرِفُهُ إِلا مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ السَّلامِ بْنِ حَرْبٍ وَغُطَيْفُ بْنُ أَعْيَنَ لَيْسَ بِمَعْرُوفٍ فِي الْحَدِيثِ.

وقد حسنه ابن تيمية والألباني

عن أبي البختري قال: سأل رجل حذيفة فقال: يا أبا عبد الله !

أرأيت قوله ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أكانوا يعبدونهم؟

قال: لا كانوا إذا أحلوا لهم شيئا استحلوه، وإذا حرموا عليهم شيئا حرموه.

عن الربيع بن أنس عن أبي العالية ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً ﴾

قال: قلت لأبي العالية: كيف كانت الربوبية التي كانت في بني إسرائيل ؟

قال: قالوا: ما أمرونا به ائتمرنا وما نهونا عنا انتهينا لقولهم، وهم يجدون في

كتاب الله ما أمروا به وما نهوا عنه، فاستنصحوا الرجال ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم.

قال شيخ الإسلام في (الفتاوى ١/٩٨،٩٧):

فإن الإشراك في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل، دع جليله وهو شرك في العبادة والتأله، وشرك في الطاعة والانقياد، وشرك في الإيمان والقبول .

فالغالية من النصارى والرافضة وضلال الصوفية والفقراء والعامة يشركون بدعاء غير الله تارة، وبنوع من عبادته أخرى، وبهما جميعا تارة، ومن أشرك هذا الشرك أشرك في الطاعة

وكثير من المتفقهة وأجناد الملوك وأتباع القضاة والعامة المتبعة لهؤلاء؛ يشركون شرك الطاعة وقد قال النبي ﷺ لعدى بن حاتم لما قرأ: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ ﴾ فقال يا رسول الله ! ما عبدوهم

فقال: ما عبدوهم؛ ولكن أحلوا لهم الحرام فأطاعوهم، وحرموا عليهم الحلال فأطاعوهم .

فتجد أحد المنحرفين يجعل الواجب ما أوجبه متبوعه، والحرام ما حرمه، والحلال ما حلله، والدين ما شرعه ، إما دينا وإما دنيا، وإما دنيا ودينا، ثم يخوف من امتنع من هذا الشرك، وهو لا يخاف أنه أشرك به شيئا في طاعته

بغير سلطان من الله ، وبهذا يخرج من أوجب الله طاعته من رسول وأمير وعالم ووالد وشيخ وغير ذلك. أ. هـ

وقال أيضًا (١٩٥/٤):

فمن ندب إلى شيء يتقرب به إلى الله ، أو أوجبه بقوله أو فعله من غير أن يشرعه الله فقد شرع من الدين ما لم يأذن به الله، ومن اتبعه في ذلك فقد اتخذ شريكا لله شرعا في الدين ما لم يأذن به الله ، وقد يغفر له لأجل تأويل إذا كان مجتهدا الاجتهاد الذي يعفى معه عن المخطئ، لكن لا يجوز اتباعه في ذلك كما قال تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ فمن أطاع أحدا في دين لم يأذن الله به من تحليل أو تحريم أو استحباب أو إيجاب فقد لحقه من هذا الذم نصيب، كما يلحق الآمر الناهي، ثم قد يكون كل منهما معفو عنه، فيتخلف الذم لفوات شرطه أو وجود مانعه وإن كان المقتضى له قائما، ويلحق الذم من تبين له الحق فتركه أو قصر في طلبه فلم يتبين له أو أعرض عن طلبه لهوى أو كسل ونحو ذلك. ا هـ

وقال أيضًا (٧ / ٧٠):

وهؤلاء الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا حيث أطاعوهم في تحليل ما حرم الله، وتحريم ما أحل الله يكونون على وجهين: .

أحدهما : أن يعلموا أنهم بدلوا دين الله فيتبعونهم على التبديل، فيعتقدون تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله اتباعا لرؤسائهم مع علمهم أنهم خالفوا

دين الرسل، فهذا كفر، وقد جعله الله ورسوله شركا، وان لم يكونوا يصلون لهم ويسجدون لهم، فكان من اتبع غيره في خلاف الدين مع علمه أنه خلاف الدين واعتقد ما قاله ذلك دون ما قاله الله ورسوله مشركا مثل هؤلاء

والثاني: أن يكون اعتقادهم وإيمانهم بتحريم الحلال وتحليل الحرام ثابتا؛ لكنهم أطاعوهم في معصية الله، كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصي التي يعتقد أنها معاص فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب. ا هـ

ومن الشرك الأكبر: اعتقاد أن لله ولد أو صاحبة، واعتقاد أن غير الله يملك نفعًا وضرًا من دون الله، ومن الشرك الأكبر السجود لغير الله من قبر أو ضريح أو ولي، وكذلك صرف عبادة لله لغير الله: كالنذر والذبح وغيرها مما تقدم ذكره.

النوع الثاني من الشرك: الشرك الأصغر

وصاحبه لا يخرج من الملة فهو مشيئة الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه ثم يخرجه إلى الجنة بعد ذلك .

وأنواعه كثيرة : منها

١. الرياء في العمل:

وهو أن يقصد الإنسان بعمله الصحيح عرض من الدنيا

روى أحمد في مسنده (٢٢٥٢٨) عَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ ! وَمَا الشِّرْكُ الأَصْغَرُ ؟

قَالَ: الرِّيَاءُ؛ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ يَوْمَ تُجَازَى الْعِبَادُ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ بِأَعْمَالِكُمْ فِي الدُّنْيَا فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً"

؟!) وصححه المنذري والألباني.

٢. الحلف بغير الله

إذا لم يقصد تعظيم المحلوف به تعظيمه لله وإلا صار شركا أكبر.

روى أحمد (٥٧٩٩) وأبو داود(٢٨٢٩) والترمذي (١٤٥٥) عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ سَمِعَ ابْنُ عُمَرَ رَجُلا يَقُولُ وَالْكَعْبَةِ فَقَالَ: لا تَحْلِفْ بِغَيْرِ اللَّهِ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺيَقُولُ: (مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ وَأَشْرَكَ) وصححه الألباني.

٣. لبس الحلقة والخيط لرفع البلاء وتعليقه التمائم خوف من العين

فإذا اعتقد أن هذه الأشياء تنفع بذاتها فهذا شرك أكبر.

٤. ومثل قول الرجل لآخر: ما شاء الله وشئت، أو لولا الله وأنت، أو توكل على الله وعليك، وغير ذلك من الأفعال والألفاظ الشركية

خامسًا: الفرق بين الشرك الأكبر والشرك الأصغر

١. الشرك الأكبر يخرج صاحبه من الملة والأصغر لا يخرجه.

٢. الشرك الأكبر يخلد صاحبه في النار والأصغر لا يخلده فيها إن دخلها.

٣. الشرك الأكبر يحبط جميع الأعمال والأصغر كالرياء لا يحبط إلا ما حدث فيه الشرك.

٤. الشرك الأكبر يبيح دم صاحبه وماله والأصغر لا يبيحهما.

سادسًا: صور أخرى للشرك

١. السجود لغير الله من المشايخ والأصنام

٢. الانحناء لغير الله تعظيمًا

٣. حلق الرأس للشيخ فإنه تعبد.

٤. التوبة للشيخ لأنها لا تكون إلا الله

٥. النذر لغير الله والذبح لغير الله

٦. الخوف من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله

٧. التوكل على غير الله

٨. طلب الحوائج من المخلوق والاستغاثة بهم والتوجه إليهم

٩. السحر والكهانة والعرافة والتوجه إليهم

١٠. طلب الشفاعة من غير الله.

١١. الإنابة والخضوع والذل لغير الله

١٢. الطواف بغير الكعبة من القبور والأضرحة.

١٣. شد الرحال إلي قبور الصالحين والمشايخ وغيرها بقصد التبرك وطلب الحوائج.

١٤ . الاستسقاء بالأنواء

١٥ . التطير، واعتقاد العدوى بذاتها

المبحث الثاني

التوسل [1]

أولاً: معناه

(أ) لغةً: التقريب

الواسل: الراغب، والوسيلة: القربة والواسطة، وما يتوصل إلي الشيء ويتقرب به، وجمعها وسائل.

(ب) شرعاً:

هي اتخاذ عمل من الأعمال قربة إلى الله عز وجل.

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[المائدة:٣٥]

قال شيخ المفسرين ابن جرير في تفسيره (٦/٢٢٦):

يا أيها الذين آمنوا صدقوا الله ورسوله فيما أخبرهم ووعد من الثواب وأوعد من العقاب " اتقوا الله " أجيبوا الله فيما أمركم ونهاكم بالطاعة له في ذلك وحققوا إيمانكم وتصديقكم ربكم ونبيكم بالصالح من أعمالكم

(وابتغوا إليه الوسيلة): ويقول واطلبوا القربة له بالعمل بما يرضيه. إ. هـ

(١) أنظر في هذا المبحث (مجموع فتاوى ابن تيمية ج١)، وكتاب (التوسل أنواعه وأحكامه) للألباني، وكتاب (التوحيد) لابن فوزان.

ثانياً: أقسام التوسل

ينقسم التوسل إلى قسمين:

توسل مشروع، وتوسل ممنوع

القسم الأول: التوسل المشروع: .

وهو أن يتقرب الإنسان إلى ربه ويدعوه بإحدى الوسائل التي شرعها سبحانه

ويجمعها ستة أنواع:

النوع الأول: التوسل إلى الله سبحانه وتعالى باسم من أسمائه الحسنى أو صفة من صفاته العليا، كأن يقول المسلم في دعائه اللهم إني أسألك أنك أنت الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم العلي الحكيم ... الخ.. أن تعافني وتشفي مريضي أو ترزقني أو توفقني، ونحو ذلك، ومثل أن يقول اللهم بحبك لنبيك محمد ﷺوحبك لعبادك الصالحين وبرحمتك بهم وبقوتك وبعظمتك ... الخ أن تغفر لي وترحمني ونحو ذلك من الأدعية ودليله قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ﴾[الأعراف: ١٨٠]

وكان النبي ﷺيدعوا ويقول في دعائه (اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الْغَيْبَ وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ أَحْيِنِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا عَلِمْتَ الْوَفَاةَ خَيْرًا لِي، اللَّهُمَّ وَأَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَأَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الْحَقِّ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ، وَأَسْأَلُكَ الْقَصْدَ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى، وَأَسْأَلُكَ نَعِيمًا لا يَنْفَدُ، وَأَسْأَلُكَ قُرَّةَ عَيْنٍ لا تَنْقَطِعُ وَأَسْأَلُكَ الرِّضَاءَ بَعْدَ الْقَضَاءِ، وَأَسْأَلُكَ بَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ

الْمَوْتِ، وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ فِي غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ وَلا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ، اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بِزِينَةِ الإِيمَانِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ)[1]

وروى النسائي (١٢٨٤) وأحمد (١٨٢٠٦) وأبو داود (٨٣٥) عن مِحْجَنَ بْنَ الأَدْرَعِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺدَخَلَ الْمَسْجِدَ إِذَا رَجُلٌ قَدْ قَضَى صَلاتَهُ وَهُوَ يَتَشَهَّدُ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ يَا أَللَّهُ بِأَنَّكَ الْوَاحِدُ الأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ أَنْ تَغْفِرَ لِي ذُنُوبِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَدْ غُفِرَ لَهُ ثَلاثًا). وصححه الألباني.

النوع الثاني: التوسل إلى الله عز وجل بعمل صالح قام به الداعي

كأن يقول الداعي: اللهم إيمانًا بك وتصديقًا برسولك، وحبًا لك ولرسولك ونحو ذلك ... اغفر لي وارحمني ونحوه من الدعاء

ودليل ذلك حديث الثلاثة الذين أطبق عليهم الغار كما في البخاري (٢١١١) ومسلم (٤٩٥٦) عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺيَقُولُ: (انْطَلَقَ ثَلاثَةُ رَهْطٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَتَّى أَوَوْا الْمَبِيتَ إِلَى غَارٍ فَدَخَلُوهُ، فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنْ الْجَبَلِ فَسَدَّتْ عَلَيْهِمْ الْغَارَ

(١) [رواه أحمد (١٧٦٠٥) والنسائي (١٢٨٨) والحاكم (١٩٧١) وصححه ووافقه الذهبي والألباني.]

فَقَالُوا: إِنَّهُ لا يُنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلا أَنْ تَدْعُوا اللَّهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: اللَّهُمَّ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، وَكُنْتُ لا أَغْبِقُ قَبْلَهُمَا أَهْلا وَلا مَالا، فَنَأَى بِي فِي طَلَبِ شَيْءٍ يَوْمًا فَلَمْ أُرِحْ عَلَيْهِمَا حَتَّى نَامَا، فَحَلَبْتُ لَهُمَا غَبُوقَهُمَا، فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمَيْنِ وَكَرِهْتُ أَنْ أَغْبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلا أَوْ مَالا، فَلَبِثْتُ وَالْقَدَحُ عَلَى يَدَيَّ أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاظَهُمَا حَتَّى بَرَقَ الْفَجْرُ، فَاسْتَيْقَظَا فَشَرِبَا غَبُوقَهُمَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ، فَانْفَرَجَتْ شَيْئًا لا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَقَالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ كَانَتْ لِي بِنْتُ عَمٍّ كَانَتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ، فَأَرَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا فَامْتَنَعَتْ مِنِّي، حَتَّى أَلَمَّتْ بِهَا سَنَةٌ مِنْ السِّنِينَ فَجَاءَتْنِي فَأَعْطَيْتُهَا عِشْرِينَ وَمِائَةَ دِينَارٍ عَلَى أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِهَا، فَفَعَلَتْ حَتَّى إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا قَالَتْ: لا أُحِلُّ لَكَ أَنْ تَفُضَّ الْخَاتَمَ إِلا بِحَقِّهِ، فَتَحَرَّجْتُ مِنْ الْوُقُوعِ عَلَيْهَا فَانْصَرَفْتُ عَنْهَا وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذِي أَعْطَيْتُهَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَانْفَرَجَتْ الصَّخْرَةُ غَيْرَ أَنَّهُمْ لا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ مِنْهَا

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَقَالَ الثَّالِثُ: اللَّهُمَّ إِنِّي اسْتَأْجَرْتُ أُجَرَاءَ فَأَعْطَيْتُهُمْ أَجْرَهُمْ غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ تَرَكَ الَّذِي لَهُ وَذَهَبَ، فَثَمَّرْتُ أَجْرَهُ حَتَّى كَثُرَتْ مِنْهُ الأَمْوَالُ، فَجَاءَنِي بَعْدَ حِينٍ فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ أَدِّ إِلَيَّ أَجْرِي

فَقُلْتُ لَهُ: كُلُّ مَا تَرَى مِنْ أَجْرِكَ مِنْ الإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ وَالرَّقِيقِ

فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ لا تَسْتَهْزِئُ بِي

فَقُلْتُ: إِنِّي لا أَسْتَهْزِئُ بِكَ فَأَخَذَهُ كُلَّهُ فَاسْتَاقَهُ فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهُ شَيْئًا، اللَّهُمَّ فَإِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَانْفَرَجَتْ الصَّخْرَةُ فَخَرَجُوا يَمْشُونَ)

النوع الثالث: التوسل إلى الله بدعاء الرجل الصالح الحي

وهو أن يطلب الدعاء من الرجل يتوسم فيه الصلاح والتقى فيقول له أدعو الله لي

ودليله ما روى البخاري (٨٨١) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ أَصَابَتْ النَّاسَ سَنَةٌ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺفَبَيْنَا النَّبِيُّ ﷺيَخْطُبُ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ قَامَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلَكَ الْمَالُ وَجَاعَ الْعِيَالُ فَادْعُ اللَّهَ لَنَا

فَرَفَعَ يَدَيْهِ، وَمَا نَرَى فِي السَّمَاءِ قَزَعَةً، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا وَضَعَهَا حَتَّى ثَارَ السَّحَابُ أَمْثَالَ الْجِبَالِ، ثُمَّ لَمْ يَنْزِلْ عَنْ مِنْبَرِهِ حَتَّى رَأَيْتُ الْمَطَرَ يَتَحَادَرُ عَلَى لِحْيَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمُطِرْنَا يَوْمَنَا ذَلِكَ، وَمِنْ الْغَدِ وَبَعْدَ الْغَدِ وَالَّذِي يَلِيهِ حَتَّى الْجُمُعَةِ الْأُخْرَى، وَقَامَ ذَلِكَ الأَعْرَابِيُّ، أَوْ قَالَ: غَيْرُهُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ تَهَدَّمَ الْبِنَاءُ وَغَرِقَ الْمَالُ فَادْعُ اللَّهَ لَنَا

فَرَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلا عَلَيْنَا، فَمَا يُشِيرُ بِيَدِهِ إِلَى نَاحِيَةٍ مِنْ السَّحَابِ إِلا انْفَرَجَتْ، وَصَارَتْ الْمَدِينَةُ مِثْلَ الْجَوْبَةِ، وَسَالَ الْوَادِي قَنَاةُ شَهْرًا، وَلَمْ يَجِئْ أَحَدٌ مِنْ نَاحِيَةٍ إِلا حَدَّثَ بِالْجَوْدِ)

روى البخاري(٩٥٤) أيضاً عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ إِذَا قَحَطُوا اسْتَسْقَى بِالْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَقَالَ اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا قَالَ فَيُسْقَوْنَ)

أي إننا كنا نتوسل إليك بدعاء نبينا وقد مات نبينا وإنا نتوسل إليك بدعاء عم نبينا.

النوع الرابع: التوسل إلى الله بالتوحيد:

قال تعالى عن يونس عليه وعلى نبينا السلام: ﴿ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[الأنبياء: ٨٧] .

النوع الخامس: التوسل إلى الله بإظهار الضعف والحاجة والافتقار إليه:

كما فعل أيوب عليه السلام قال الله تعالى على لسانه: ﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[الأنبياء: ٨٣].

النوع السادس: التوسل إلى الله بالاعتراف بالذنب:

كما قال موسى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي ﴾[القصص: ١٦]

وكما قال آدم عليه السلام ﴿قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[الأعراف:٢٣]

وروى البخاري (٧٩٠) عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عَلِّمْنِي دُعَاءً أَدْعُو بِهِ فِي صَلاتِي

قَالَ: قُلْ اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا وَلا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلا أَنْتَ فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ وَارْحَمْنِي إِنَّك أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ)

القسم الثاني: التوسل الممنوع

وهو ما عدا التوسلات السابقة وهو أنواع:

النوع الأول: . السؤال بجاه **النبي** ﷺ أو غيره من الناس.

قال الألباني في كتاب (التوسل ٤٦ . ٤٧):

وأما ما عدا هذه الأنواع من التوسلات ففيه خلاف، والذي نعتقده وندين لله تعالى به أنه غير جائز، ولا مشروع؛ لأنه لم يرد فيه دليل تقوم عليه الحجة، وقد أنكره العلماء المحققون في العصور الإسلامية المتعاقبة مع أنه قد قال ببعضه بعض الأئمة، فأجاز الإمام أحمد التوسل بالرسول ﷺ وحده فقط، وأجاز غيره كالإمام الشوكاني التوسل به وبغيره من الأنبياء والصالحين، ولكننا كشأننا في جميع الأمور الخلافية ندور مع الدليل حيث دار ولا نتعصب للرجال، ولا ننحاز لأحد إلا الحق كما نراه ونعتقده، وقد رأينا في قضية التوسل التي نحن بصددها مع الذين حظروا التوسل بالمخلوق، ولم نر لجيزه دليلاً صحيحاً يعتمد به، ونحن نطالبهم بأن يأتونا بنص صحيح صريح من الكتاب أو السنة فيه التوسل بمخلوق، وهيهات أن يجدوا شيئاً يؤيد ما يذهبون إليه، أو يشبه ما يدعونه، اللهم إلا شبهاً واحتمالات سنتعرض لها بالرد بعد قليل. إ . هـ

النوع الثاني: طلب الدعاء من الأموات

وهذا لا يجوز لأن الميت لا يقدر على الدعاء كما كان يقدر عليه في الحياة، وطلب الشفاعة من الأموات لا يجوز ولم يفعله الصحابة ولا التابعون.

النوع الثالث: التوسل بذات المخلوق

كأن يقول القائل: اللهم إني أتوسل إليك بفلان (يقصد به ذاته)

وهذا لا يجوز لأنه إن كانت الباء للقسم فهو أقسام على الله تعالى، وإذا كان الأقسام بالمخلوق على المخلوق لا يجوز وهو شرك ! فكيف بالاقتسام بالمخلوق على الخالق جل وعلا، وإن كانت الباء للسببية، فالله سبحانه وتعالى لم يجعل السؤال بالمخلوق سبباً للإجابة ولم يشرعه لعباده.

النوع الرابع: التوسل بحق فلان من المخلوقين

وهذا لا يجوز من وجهين:.

الوجه الأول: أن الله سبحانه وتعالى لا يجب عليه حق لأحد وإنما هو الذي يتفضل به علي المخلوق كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلاً إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[الروم:٤٧]، وكون المطيع مستحق للجزاء إنما هو استحقاق فضل وإنعام، لا استحقاق مقابلة.

الوجه الثاني: إن هذا الحق الذي تفضل الله به هو على عبده هو حق خاص به لا علاقة لغيره به، فأن توسل به غير مستحق لهذا التفضل كان متوسلا بأمر لا علاقة له به، وهذا لا يجديه شيئا.

النوع الخامس: الطواف حول قبور الأنبياء والصالحين:

فهذا الفعل ليس توسلا بهم إنما هو عبادة لهم والطواف وإنما شرعه الله بالبيت العتيق عبادة له سبحانه كما قال: ﴿ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾[الحج: ٢٩] وفعل هؤلاء الذين يلجأون إلى القبور والأضرحة من البدع الشركية.

النوع السادس: شد الرحال إلى قبور الأنبياء والصالحين أو الصلاة عندها أو العكوف حولها وإقامة الحفلات والحضرات:

فهذا عمل ليس قربة لله، ولا عملاً صالحاً يتوسل به الإنسان؛ بل مخالفة شرعية، وبدعة ضلالة لا يفعلها إلا من سفه نفسه وحاد عن الحق المبين فقد روى البخاري(١١١٥) ومسلم (٢٣٨٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺقَالَ: (لا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلا إِلَى ثَلاثَةِ مَسَاجِدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَسْجِدِي الرَّسُولِ ﷺوالَمَسْجِدِ الأَقْصَى)

والصلاة إلى القبور تحرم لما رواه مسلم (١٦١٣) عَنْ أَبِي مَرْثَدٍ الْغَنَوِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لا تَجْلِسُوا عَلَى الْقُبُورِ وَلا تُصَلُّوا إِلَيْهَا).

المبحث الثالث

الشفاعة[1]

أولا: تعريفها:

معناها في اللغة: الطلب. والشَّفاعةُ: كلام الشَّفِيعِ لِلْمَلِكِ في حاجة يسأَلُها لغيره.

وشَفَعَ إِليه: في معنى طَلَبَ إِليه.

و الشَّافِعُ: الطالب لغيره يَتَشَفَّعُ به إِلى المطلوب.

يقال: تَشَفَّعْتُ بفلان إِلى فلان فَشَفَّعَنِي فيه، واسم الطالب شَفِيعٌ.

معناها اصطلاحًا: الاستشفاع والتشفع والشفاعة بمعنى واحد: وهو طلب التوسط لدى سلطان أو صاحب مصلحة لقضاء حاجة.

ثانيًا: أنواع الشفاعة:

والشفاعة شفاعتان: شفاعة في الدنيا، وشفاعة في الآخرة.

النوع الأول: شفاعة الدنيا :

وهو اتخاذ الوسائط عند ذوي السلطان أو صاحب المصلحة لقضاء الحاجات وتحقيق الرغبات

(١) أنظر في ذلك المبحث كتاب (الشفاعة) للشيخ مقبل بن هادي الوادعي

حكمها:

وهي جائزة بشروط

قال تعالى: ﴿ مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتاً﴾[النساء:٨٥]

روى البخاري (١٣٤٢) عن أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺإِذَا جَاءَه السَّائِلُ أَوْ طُلِبَتْ إِلَيْهِ حَاجَةٌ قَالَ: اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا وَيَقْضِي اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺمَا شَاءَ)

أما الشروط فمنها: .

١ . أن لا تكون الشفاعة في فعل محرم.

٢ . أن لا تكون على حساب الغير من المسلمين.

٣ . أن تطلب من حي لا من ميت.

ثالثا: أقسام الشفاعة

وتنقسم إلى قسمين:

شفاعة منفية و شفاعة مثبتة

القسم الأول: الشفاعة المنفية:

منها (١) طلب الشفاعة من الآلهة التي عبدت من دون الله واعتقاد أنها تملك هذه الشفاعة، وهذا شأن المشركين مع آلهتهم

قال الله عنهم: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[يونس:١٨]

قال الإمام ابن جرير ـ رحمه الله ـ (٩٨/١١):

يقول تعالى ذكره: ويعبد هؤلاء المشركون الذين وصفت لك يا محمد صفتهم من دون الله الذي لا يضرهم شيئا ولا ينفعهم في الدنيا ولا في الآخرة ، وذلك هو الآلهة والأصنام التي كانوا يعبدونها

(ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) يعني أنهم كانوا يعبدونها رجاء شفاعتها عند الله، قال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل لهم أتنبئون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض

يقول أتخبرون الله بما لا يكون في السماوات ولا في الأرض؛ وذلك أن الآلهة لا تشفع لهم عند الله في السماوات ولا في الأرض، وكان المشركون يزعمون

أنها تشفع لهم عند الله فقال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم: قل لهم أتخبرون الله أن ما لا يشفع في السماوات ولا في الأرض يشفع لكم فيهما؛ وذلك باطل لا تعلم حقيقته وصحته؛ بل يعلم الله أن ذلك خلاف ما تقولون وأنها لا تشفع لأحد ولا تنفع ولا تضر سبحانه وتعالى. أ. هـ

وكذلك أصحاب الطرق الصوفية فهم يعتقدون أن أكابر الطرق يشفعون لهم يوم القيامة وأن صاحب كل طريقة يشفع في مريديه ومعتنقي طريقته؛ فإن لله وإن إليه راجعون ونعوذ بالله من الخذلان

وقال تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾[النجم:٢٦]

(٢) الشفاعة في الكافر والمشرك

قال تعالى حاكيا عن أهل النار: ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ * وَلا صَدِيقٍ حَمِيمٍ * فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[الشعراء:١٠٠-١٠٣]

وقال تعالى: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾[غافر:١٨]

(٣) الشفاعة بغير إذن الله

قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾[يونس:٣]

القسم الثاني: الشفاعة المثبتة

(أ) أنواعها

١. الشفاعة العظمى وهي الخاصة بنبينا ﷺ من بين سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين وسيأتي دليلها قريبا.

٢. شفاعته ﷺ في أقوام قد تساوت حسناتهم وسيئاتهم في دخول الجنة.

٣. شفاعته ﷺ في أقوام قد أمر بهم إلي النار أن يدخلوها.

٤. شفاعته ﷺ في رفع درجات المؤمنين في الجنة.

٥ . شفاعته ﷺ في أقوام يدخلوا الجنة بغير حساب

٦ . شفاعته ﷺ في تخفيف العذاب عن من يستحق، وهذه لأبي طالب خاصة

٧ . شفاعته ﷺ أن يؤذن لجميع المؤمنين إلي الجنة

٨ . شفاعته ﷺ في أهل الكبائر من أمته من دخل النار منهم فيخرجون منها وهذه الشفاعة يشاركه فيها الملائكة والأنبياء والمؤمنون.

٩ . شفاعته ﷺ في من مات في المدينة من أمته.

١٠ . شفاعة المؤمنين يوم القيامة لإخوانهم الذين دخلوا النار.

١١ . شفاعة القرآن لصاحبه يوم القيامة

١٢ . شفاعة الأطفال لوالديهم.

١٣ . شفاعة الشهيد في سبعين من أهله وغير ذلك من أنواع الشفاعة المثبتة.

(ب) شروطها

١. قدرة الشافع على الشفاعة.

وقد جعل الله تبارك وتعالى هذه القدرة لأصناف من عباده كما ذكرنا ذلك.

٢. إسلام المشفوع له.

قال تعالى: ﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾[غافر: ١٨]

٣. الإذن للشافع.

قال تعالى: ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلا بِإِذْنِهِ ﴾[البقرة: ٢٥٥]

٤. الرضا من الله.

قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً﴾[طه:١٠٩]

الفصل السابع
الإيمان بالغيب[1]

أولاً: تعريف الغيب والشهادة:

تعريف الغيب في اللغة: هو كل ما غاب عن الإنسان،

قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾[البقرة: ٣]

فهو كل ما غاب عن أعين الناظرين وإن كان حقيقة ثابتة في قلوبهم مثل (الله سبحانه وتعالى) فهو حقيقة ثابتة في القلوب المؤمنة ومع ذلك لا تراه العيون في الدنيا فهذا يسمى غيب.

وكذلك كل ما غاب عن حواس الإنسان الخمس فهو غيب

وأما الشهادة: فهي ضد الغيب، وهي كل ما يدركه الإنسان أو يراه ببصره وهو أمامه، أو يشعر بوجوده بالحواس الخمسة أو أحدها، وهي السمع والبصر والشم والذوق واللمس

قال تعالى عن نفسه: ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾[الحشر: ٢٢] .

(١) راجع في هذا الفصل كتاب (عالم السحر والشعوذة ص ٢٦٥) للأشقر، وكتاب (عقيدة المؤمن ص١٤٥) لأبي بكر الجزائري، وكتاب (العقيدة الإسلامية وأسسها ص٢٣) لعبد الرحمن حسن حبنكة

ثانياً: وجوب الإيمان بالغيب

وهو أمر لا يجحده عاقل لأنه ثابت **بالشرع والعقل:**

أما الشرع:

قال تعالى : ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هدىً لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾[البقرة: ٢ ـ ٣]

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾[الأنبياء:٤٩]

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾[الملك:١٢]

وأما العقل:

فإن الإنسان عندما يقرأ عن بلد ما في العالم لم يشاهدها، فإنه بالطبع يؤمن بوجودها رغم أنه لا يراها، فهو لا يستطيع التخلص من الإيمان بالغيب بحال إلا إذا سفهت نفسه وأراد التخلي عن كرامته الآدمية وعن شرفه الإنساني ليصبح حيواناً هابطاً لا خير فيه.

ثالثاً: ينقسم العالم إلى قسمين:

عالم الغيب وعالم الشهادة

١ . عالم الشهادة: وهو كل أمر نستطيع أن نتوصل إلى شهوده بالوسائل الحسية فينا على حسب العادة، وهذا الأمر هو الذي يستدرك الإنسان منه القليل وذلك لضعف حواسه في عدم إدراك كل ما يشاهد.

٢ . عالم الغيب وهو أقسام:

(أ) غيب قابل لأن يكون من عالم الشهادة إذا تهيأ للمخلوقات شروط مشاهدته كلمسه أو ذوقه أو سمعه أو رؤيته.

مثل الطعام والشراب والأصوات وغير ذلك مما غاب عنك ثم حضر عندك

(ب) غيب غير قابل لأن يكون من عالم الشهادة؛ لأنه مما استأثر الله بعلمه لنفسه سبحانه وتعالى.

مثل وقت الساعة، ونزول الغيث، وقبض الأرواح ومكانها ونحو ذلك

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[لقمان:٣٤]

وقال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلا تَضَعُ إِلا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي قَالُوا آذَنَّاكَ مَا

مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ﴾[فصلت:٤٧]

(جـ) غيب يكون عن بعض المخلوقات ويكون شهادة عن البعض الآخر مثل الشياطين للإنسان قال الله تعالى: ﴿ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ﴾[الأعراف: ٢٧]

ومثل صرخته في قبره يسمعها كل شيء ما عدا الثقلين الجن والإنس

رابعًا: لا يعلم الغيب إلا الله

قال تعالى: ﴿قُلْ لا يَعلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾[النمل:٦٥]

وقال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلا يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾[الأنعام:٥٩]

فالله سبحانه هو عالم الغيب والشهادة، ولا يطلع على غيبه أحدًا إلا من ارتضى من رسول

قال تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً * إِلا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً﴾[الجن:٢٦،٢٧]

فكل من ادعى علم الغيب مما لا يعلمه إلا الله فقد كفر، مثل الكاهن والعراف ومن جرى مجراهما.

خامسًا: أنواع الغيبيات التي يجب الإيمان بها:

الإيمان بالله وحده . الإيمان بالملائكة . الإيمان بالكتب السابقة والرسل السابقين . الإيمان بالساعة وموعدها . الإيمان بالبعث والنشور، وبعذاب القبر ونعيمه، وبالصراط والميزان والجنة والنار، والإيمان بالجن والشياطين، وغير ذلك مما يجب على الإنسان الإيمان به، فكل ما جاء في كتاب الله أو أخبر به رسول الله ﷺ من أمور الغيب يجب الإيمان بها.

الفصل الثامن

الإيمان بالملائكة[1]

أولاً: تعريف الملائكة

الملائكة في اللغة: جمع ملك، فقلبت الهمزة فيه إلي الساكن قبله ثم حذفت الألف تخفيفا فصارت ملكا.

وهو مشتق من كلمة الألوكة التي هي الرسالة، والجمع ملائك وملائكة.

. شرعًا: هم مخلوقات غيبية ذات أجسام نورانية لطيفة لا نراهم في الحالات العادية.

ثانياً: مادة خلقهم

خلق الله الملائكة من نور كما جاء في حديث مسلم (٥٣١٤) عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (خُلِقَتْ الْمَلائِكَةُ مِنْ نُورٍ وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ)

ثالثًا: وجوب الإيمان بهم

(١) أنظر في هذا الفصل كتاب (عالم الملائكة الأبرار) لعمر سليمان الأشقر، وكتاب (عقيدة المؤمن ص١٤٥)، وكتاب (العقيدة الإسلامية وأسسها ص ٢٦٤) ، وكتاب (معارج القبول ج٢ /٦٦)، وغيرها من كتاب العقيدة

قال تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾[البقرة: ١٧٧]

وكما جاء عن حديث جبريل المتقدم عندما سأل النبي ﷺ عَنْ الإِيمَانِ قَالَ: (أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ)

رابعًا: من كفر بالملائكة أو بواحد منهم معلوم فهو كافر بالله العظيم ناقض للإيمان:

قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالا بَعِيداً﴾[النساء: ١٣٦]

وقال تعالى: ﴿ مَنْ كَانَ عَدُوّاً لِلَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾[البقرة:٩٨]

خامسًا: أسماء الملائكة:

لم يذكر في الكتاب والسنة إلا بعض أسماء الملائكة مثل جبريل وميكائيل وملك الموت ومالك خازن جهنم ومنكر ونكير وغيرهم.

قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوّاً لِلَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾[البقرة:٩٨]

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾[السجدة:١١]

وقال تعالى: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ﴾[الزخرف:٧٧]

سادسًا: من صفاتهم الخُلُقِية وعباداتهم لربهم

١ . الحياء

روى مسلم في صحيحه (٤٤١٤) أَنَّ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَلا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلائِكَةُ.)

٢ . عدم الفتور عن طاعة الله

قال تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ﴾[الأنبياء:٢٠]

وقال تعالى: ﴿فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لا يَسْأَمُونَ﴾[فصلت:٣٨]

٣ . التأذي من الروائح الكريهة

روى مسلم في صحيحه (٨٧٤) عَنْ جَابِرٍ قَالَ: نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺعَنْ أَكْلِ الْبَصَلِ وَالْكُرَّاثِ، فَغَلَبَتْنَا الْحَاجَةُ فَأَكَلْنَا مِنْهَا

فَقَالَ: (مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ الْمُنْتِنَةِ فَلا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا فَإِنَّ الْمَلائِكَةَ تَأَذَّى مِمَّا يَتَأَذَّى مِنْهُ الإِنْسُ)

٤ . خوفهم من الله عز وجل

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلائِكَةُ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ﴾[النحل:٤٩]

٥ . طائعين لله غير عاصين له

قال تعالى: ﴿ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[التحريم: ٦]

٦. تواضعهم لربهم

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾[الأعراف:٢٠٦]

٧. التراص في الصفوف والنظام

روى مسلم في صحيحه (٦٥١) عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺفَقَالَ: أَلا تَصُفُّونَ كَمَا تَصُفُّ الْمَلائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ تَصُفُّ الْمَلائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا ؟

قَالَ: يُتِمُّونَ الصُّفُوفَ الأُوَلَ وَيَتَرَاصُّونَ فِي الصَّفِّ)

٨ . إنهم كرام بررة

قال تعالى: ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾[عبس: ١٥: ١٦]

٩ . الأمانة

قال تعالى عن جبريل: ﴿مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾[التكوير:٢١]

وقال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ﴾[الشعراء:١٩٣]

سابعًا: من صفاتهم الخَلْقية وقدراتهم التي وهبهم الله إياها

١. إنهم ذو أجنحة:

قال الله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[فاطر:١]

روى البخاري (٢٩٩٣)عن بْنُ مَسْعُودٍ أَنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (رَأَى جِبْرِيلَ لَهُ سِتُّ مِائَةِ جَنَاحٍ)

٢ . عظم خلقهم:

روى أبو داود في سننه (٤١٠٢) بإسناد صحيح عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ النَّبِيِّ ﷺقَالَ: (أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلائِكَةِ اللَّهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِ مِائَةِ عَامٍ) [وصححه الألباني.]

٣ . إنهم أولو قوة:

قال تعالى واصفاً جبريل عليه السلام: ﴿ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى﴾[النجم:٥:٦].

٤ . إنهم قادرون على الهبوط والصعود من السماء إلى الأرض والعكس:

قال تعالى: ﴿ تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾[المعارج:٤].

٥ . إنهم يتشكلون في صور البشر:

قال تعالى عن مريم: ﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَاباً فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً﴾[مريم:١٧]

والذين جاءوا إلى إبراهيم عليه السلام وبشروه بإسحاق وذهبوا إلى قوم لوط، قال تعالى: ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾[الذريات:٢٤] وكان جبريل عليه السلام يأتي النبي ﷺ في صورة دحية الكلبي ويكلمه ويحادثه.

ثامناً: علاقتهم بالمؤمنين

١ . حبهم للمؤمنين

روى البخاري (٥٥٨٠) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺقَالَ: (إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلَ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلانًا فَأَحِبَّهُ فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلانًا فَأَحِبُّوهُ فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي أَهْلِ الأَرْضِ)

٢ . استغفارهم ودعائهم لهم

قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾[غافر:٧].

٣ . قتالهم في صف المؤمنين وتثبيتهم في ملاقاة الأعداء

قال تعالى: ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾[الأنفال:١٢]

تاسعاً: علاقتهم بالكافرين والمجرمين والعصاة:

منها: لعنهم وبغضهم لهم، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾[البقرة:١٦١]

وروى مسلم (٢٥٩٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺقَالَ: (إِذَا بَاتَتْ الْمَرْأَةُ هَاجِرَةً فِرَاشَ زَوْجِهَا لَعَنَتْهَا الْمَلائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ)

عاشراً: عددهم

وعدد الملائكة كثير لا يعلمه إلا الله، ومما يدل على كثرة العدد ما رواه أحمد (٢٠٥٣٩) والترمذي (٢٢٣٤) وابن ماجة (٤١٨٠) عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنِّي أَرَى مَا لا تَرَوْنَ وَأَسْمَعُ مَا لا تَسْمَعُونَ أَطَّتْ السَّمَاءُ وَحَقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلا عَلَيْهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ لَوْ عَلِمْتُمْ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا وَلا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرُشَاتِ وَلَخَرَجْتُمْ عَلَى أَوْ إِلَى الصُّعُدَاتِ تَجْأَرُونَ إِلَى اللَّهِ)[وحسنه الألباني]

حادي عشر: أعمالهم

للملائكة وظائف شتى ومهمات كثيرة وكلوا بها، وكل منهم له عمل قائم به

١ . فمنهم حملة العرش وهم ثمانية

قال تعالى: ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾[الحاقة: ١٧]

٢ . ومنهم الموكل بالوحي إلى الرسل وهو جبريل عليه السلام

قال تعالى : ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ*عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ* بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾[الشعراء: ١٩٣ . ١٩٥]

٣ . ومنهم الموكل بالنفخ في الصور وهو إسرافيل

قال تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾[الزمر:٦٨].

٤ . ومنهم الموكلون بقبض الأرواح وهو ملك الموت ومعه أعوانه

قال تعالى: ﴿ قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾[السجدة: ١١]

٥ . ومنهم الموكل بالمطر والنبات وهو ميكائيل عليه السلام.

٦ . ومنهم الموكلون في حفظ المؤمن في حله وترحاله وفي جميع أحواله

قال تعالى: ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾[الرعد: ١١].

٧ . ومنهم الموكلون بحفظ أعمال العباد من خير أو شر

قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَاماً كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ ما تَفْعَلُونَ﴾[الانفطار: ١٠.١٢]

وفي البخاري (٢٩٨٤) ومسلم (١٠٠١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: الْمَلائِكَةُ يَتَعَاقَبُونَ مَلائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلائِكَةٌ بِالنَّهَارِ وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلاةِ الْفَجْرِ وَصَلاةِ الْعَصْرِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ، فَيَقُولُ: كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي !

فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ يُصَلُّونَ وَأَتَيْنَاهُمْ يُصَلُّونَ)

٨ . ومنهم السياحون في الأرض يبتغون مجالس الذكر، ويجتمعون حول أصحابه يحفونهم بأجنحتهم

روى البخاري (٥٩٣٩) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ لِلَّهِ مَلائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ، قَالَ: فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا

قَالَ: فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ مَا يَقُولُ عِبَادِي !

قَالُوا: يَقُولُونَ يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ

قَالَ: فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْنِي ؟

قَالَ: فَيَقُولُونَ: لا وَاللَّهِ مَا رَأَوْكَ

قَالَ: فَيَقُولُ: وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي ؟

قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً وَأَشَدَّ لَكَ تَمْجِيدًا وَتَحْمِيدًا وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا

قَالَ: يَقُولُ: فَمَا يَسْأَلُونِي ؟

قَالَ: يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ

قَالَ: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا ؟

قَالَ: يَقُولُونَ: لا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا

قَالَ: يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا ؟

قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً

قَالَ: فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ ؟

قَالَ: يَقُولُونَ: مِنْ النَّارِ

قَالَ: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا ؟

قَالَ: يَقُولُونَ: لا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا

قَالَ: يَقُولُ فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا ؟

قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً

قَالَ: فَيَقُولُ: فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ

قَالَ: يَقُولُ مَلَكٌ مِنْ الْمَلائِكَةِ: فِيهِمْ فُلانٌ لَيْسَ مِنْهُمْ إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ

قَالَ: هُمْ الْجُلَسَاءُ لا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ)

٩ . ومنهم خزنة النار.

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْماً مِنَ الْعَذَابِ﴾[غافر:٤٩].

١٠ . ومنهم خزنة الجنة.

قال تعالى: ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾[الزمر:٧٣]

١١ . ومنهم الموكلون بالنطفة في الرحم.

روى البخاري (٢٩٦٩) ومسلم (٣٠٨٥) عن عَبْدُ اللَّهِ حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺوَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ: إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ إِلَيْهِ مَلَكًا بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ فَيُكْتَبُ عَمَلُهُ وَأَجَلُهُ وَرِزْقُهُ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ، فَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُ النَّارَ) والفظ لمسلم

ثاني عشر: عقيدة الناس في الملائكة

وهم أربعة أقسام:

الأول: من آمن بهم وبوجودهم وعلى الصفة التي ذكرت ، وهم الرسل وأتباعهم

الثاني: أعداء الرسل من الفلاسفة وأهل البدع

قال شارح الطحاوية (ص ٢٩٧):

فهم متفاوتون في جحدها وإنكارها، وأعظم الناس لها إنكاراً الفلاسفة المسمَّوْن عند من يعظمهم بالحكماء، فإن من علم حقيقة قولهم علم أنهم لم يؤمنوا بالله ولا رسله ولا كتبه ولا ملائكته ولا باليوم الآخر، فإن مذهبهم أن الله سبحانه وتعالى موجود لا ماهية له ولا حقيقة، فلا يعلم الجزئيات بأعيانها، وكل موجود في الخارج فهو جزئي، ولا يفعل عندهم بمقدرته ومشيئته، وإنما العالم عندهم لازم له أزلاً وأبداً، وإن سموه مفعولاً له فمصانعة ومصالحة للمسلمين في اللفظ، وليس عندهم بمفعول ولا مخلوق ولا مقدور عليه ، وينفون عنه سمعه وبصره وسائر صفاته، فهذا إيمانهم بالله.

وأما كتبه عندهم فإنهم لا يصفونه بالكلام، فإنه لا يكلم ولا يتكلم، ولا قال ولا يقول، والقرآن عندهم فيض فاض من العقل الفعال على قلب بشر زاكي النفس طاهر متميز عن النوع الإنساني بثلاث خصائص: .

(١) **قوة الإدراك وسرعته** لينال من العلم أعظم ما ينال غيره،

(٢) **وقوة النفس**؛ ليؤثر بها في هيولى العالم يقلب صورة إلى صورة،

(٣) **وقوة التخيل**؛ ليخيل بها القوى العقلية في أشكال محسوسة: وهي الملائكة عندهم وليس في الخارج ذلك منفصلة تصعد وتنزل وتذهب وتجيء وترى وتخاطب الرسول؛ وإنما عندهم أمور ذهنية لا وجود لها في الأعيان. أ.هـ

الثالث: المشركون العرب آمنوا بالملائكة ولكنهم جعلوهم بناتاً لله تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

قال تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثاً أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلونَ﴾[الزخرف:١٩]

وقال تعالى: ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ * أَمْ خَلَقْنَا الْمَلائِكَةَ إِنَاثاً وَهُمْ شَاهِدُونَ * أَلا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ * وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾[الصافات: ١٤٩ ـ ١٥٢].

الرابع: اليهود حيث جعلوا من الملائكة أعداء لهم مثل جبريل وميكائيل قال تعالى لنبيه: ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوّاً لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدىً وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ* مَنْ كَانَ عَدُوّاً لِلَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾[البقرة: ٩٧:٩٨]

الفصل التاسع
الإيمان بالجن والشياطين

أولاً : تعريف الجن والشياطين

١ . الجن

لغة: الستر

يقال: جن عليه الليل؛ إي ستره، وجن عليه الليل وأظلم عليه، وسمى الجنين في بطن أمه لاستتاره عن العيون، وسميت الجنة بهذا الاسم لاستتارها بأشجارها الكثيفة.

شرعا:

هم خلق من خلق الله خلقهم الله من نار ، وخلقهم لعبادته وسترهم عن الإنس، ولهم صفات خاصة بهم غير صفات الإنس في خلقهم.

٢ . الشيطان:

لغة: من شطن أي بعد ، الشاطن: البعيد عن حق وهو من العتو والتمرد، وهو من الإنس أو من الجن. قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الإنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورا﴾[الأنعام: ١١٢]

والشيطان: معروف، وهو إبليس عليه اللعنة

٣ . إبليس

من كلمة بلس وأبلس؛ أي قطع به، وأبلس أي سكت، وأبلس من رحمة الله: يئس وندم، ومنه سمي إبليس؛ لأنه يئس من رحمة الله تعالى.

وهو من الجن على الصحيح من قوله تعالى: ﴿ إلا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ﴾[الكهف: ٥٠]

ثانيا: مادة خلقهم:

خلق الجن من نار

كما قال تعالى: ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾[الحجر:٢٧]

وقال تعالى: ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ﴾[الرحمن:١٥]

وروى مسلم (٢٩٩٦) عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (خُلِقَتْ الْمَلائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُم)

ثالثًا: عدم رؤية بني آدم لهم على الغالب

كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ ﴾[الأعراف: ٢٧]

وكلنا على الغالب لأنهم قد رأوهم بعد بني آدم؛ فرأى إبليسَ آدمُ، والجن كانوا تحت ملك سليمان ورأى النبي ﷺ بعضهم.

قال تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾[سبأ:١٢]

وروى البخاري (٤٦١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺقَالَ: إِنَّ عِفْرِيتًا مِنْ الْجِنِّ تَفَلَّتَ عَلَيَّ الْبَارِحَةَ . أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا . لِيَقْطَعَ عَلَيَّ الصَّلاةَ فَأَمْكَنَنِي اللَّهُ مِنْهُ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْبِطَهُ إِلَى سَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ حَتَّى تُصْبِحُوا وَتَنْظُرُوا إِلَيْهِ كُلُّكُمْ فَذَكَرْتُ قَوْلَ أَخِي سُلَيْمَانَ: ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾ قَالَ رَوْح[1]: فَرَدَّهُ خَاسِئًا)

رابعًا: وجوب الإيمان بهم وأنهم خلقوا قبل البشر

وذلك لما ورد من أخبارهم في كتاب الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ وما هو مشاهد ومحسوس بين الناس بوجود الجن قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ * وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾[الحجر ٢٦:٢٧]

خامسًا: منهم المؤمنون ومنهم الكافرون والعصاة

قال تعالى: ﴿ وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَداً * وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً﴾[الجن ١٤:١٥]

(١) وهو أحد رواة الحديث

سادسا: وهم مكلفون بالعبادة مثل البشر ولهم حرية وإرادة

قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ﴾[الذريات:٥٦]

وأخبر الله عن حسابهم يوم القيامة فقال تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾[الأنعام:١٣٠].

سابعاً: المؤمن منهم يدخل الجنة والكافر يدخل النار

فإذا كانوا مكلفين شأنهم شأن الإنس فمنهم من يدخل الجنة جزاء إيمانه كما قال تعالى: ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ﴾[الأنبياء:٩٤]

وقال تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[المائدة:٩]

وهم داخلون في هذا العموم، وإن كافرهم يدخل النار جزاء إعراضه وكفره قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[الأعراف:١٧٩]

ثامناً: إنهم يأكلون ويحتاجون إلى الغذاء

روى أحمد(٤١٥٠) والترمذي(١٨) بإسناد صحيح عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لا تَسْتَنْجُوا بِالرَّوْثِ وَلا بِالْعِظَامِ فَإِنَّهُ زَادُ إِخْوَانِكُمْ مِنْ الْجِنِّ)

تاسعاً: إنهم يتزوجون ويتوالدون

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً﴾[الكهف:٥٠]

ولا تكون الذرية إلا من زوجة أو تزاوج.

عاشراً: قدراتهم

١ . التشكل

فهم يتشكلون بأشكال شتى كأشكال الحيات، فمن ذلك ما رواه البخاري عن أبي هريرة في قصة حراسته لثمر الصدقة ومجيء الجن في صورة إنسان وسرقته من الصدقة ومنها ما تمثل الشيطان في صورة إعرابي وذهب إلى المشركين وذهب إلى المشركين وهم في دار الندوة للتشاور في أمر النبي ﷺ ومنها ما رواه مسلم في صحيحه(٤١٥٠) عن أَبُي السَّائِبِ مَوْلَى هِشَامِ بْنِ زُهْرَةَ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ فِي بَيْتِهِ قَالَ: فَوَجَدْتُهُ يُصَلِّي فَجَلَسْتُ

أَنْتَظِرُهُ حَتَّى يَقْضِيَ صَلاتَهُ فَسَمِعْتُ تَحْرِيكًا فِي عَرَاجِينَ فِي نَاحِيَةِ الْبَيْتِ فَالْتَفَتُّ فَإِذَا حَيَّةٌ فَوَثَبْتُ لأَقْتُلَهَا فَأَشَارَ إِلَيَّ أَنْ اجْلِسْ فَجَلَسْتُ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَشَارَ إِلَى بَيْتٍ فِي الدَّارِ فَقَالَ: أَتَرَى هَذَا الْبَيْتَ ؟

فَقُلْتُ: نَعَمْ

قَالَ: كَانَ فِيهِ فَتًى مِنَّا حَدِيثُ عَهْدٍ بِعُرْسٍ، قَالَ فَخَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺإِلَى الْخَنْدَقِ فَكَانَ ذَلِكَ الْفَتَى يَسْتَأْذِنُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺبِأَنْصَافِ النَّهَارِ فَيَرْجِعُ إِلَى أَهْلِهِ، فَاسْتَأْذَنَهُ يَوْمًا فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: خُذْ عَلَيْكَ سِلاحَكَ فَإِنِّي أَخْشَى عَلَيْكَ قُرَيْظَةَ، فَأَخَذَ الرَّجُلُ سِلاحَهُ ثُمَّ رَجَعَ فَإِذَا امْرَأَتُهُ بَيْنَ الْبَابَيْنِ قَائِمَةً فَأَهْوَى إِلَيْهَا الرُّمْحَ لِيَطْعُنَهَا بِهِ وَأَصَابَتْهُ غَيْرَةٌ فَقَالَتْ لَهُ: اكْفُفْ عَلَيْكَ رُمْحَكَ وَادْخُلْ الْبَيْتَ حَتَّى تَنْظُرَ مَا الَّذِي أَخْرَجَنِي.

فَدَخَلَ فَإِذَا بِحَيَّةٍ عَظِيمَةٍ مُنْطَوِيَةٍ عَلَى الْفِرَاشِ فَأَهْوَى إِلَيْهَا بِالرُّمْحِ فَانْتَظَمَهَا بِهِ، ثُمَّ خَرَجَ فَرَكَزَهُ فِي الدَّارِ فَاضْطَرَبَتْ عَلَيْهِ فَمَا يُدْرَى أَيُّهُمَا كَانَ أَسْرَعَ مَوْتًا الْحَيَّةُ أَمْ الْفَتَى.

قَالَ: فَجِئْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺفَذَكَرْنَا ذَلِكَ لَهُ وَقُلْنَا ادْعُ اللَّهَ يُحْيِيهِ لَنَا فَقَالَ: اسْتَغْفِرُوا لِصَاحِبِكُمْ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ بِالْمَدِينَةِ جِنًّا قَدْ أَسْلَمُوا فَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْهُمْ شَيْئًا فَآذِنُوهُ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ فَإِنْ بَدَا لَكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فَاقْتُلُوهُ فَإِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ)

٢ . طيرانهم وصعودهم وركوبهم بعضهم بعضاً إلى السماء

قال تعالى على لسان الجن: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وَشُهُباً * وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رَصَداً﴾[الجن:٨:٩]

٣ . قوتهم

وقال تعالى في قصة سليمان عندما طلب منهم أن يأتوه بعرش بلقيس من سبأ: ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ * قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾[النمل: ٣٨: ٣٩]

٤ . غوصهم في أعماق البحار

قال تعالى: ﴿وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلاً دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ﴾[الأنبياء:٨٢]

حادي عشر: أصنافهم

روى الطبراني في الكبير(٥٧٣) والحاكم في المستدرك (٣٧٠٢) والبيهقي في "الأسماء والصفات " بسند صحيح عن أبي ثعلبة أن رسول الله ﷺ قال: (الجن ثلاثة أصناف فصنف يطير في الهواء وصنف حياة كلاب وصنف يحلون ويظعنون)

ثاني عشر: مساكنهم

فمساكن الجن كثيرة على وجه الأرض وأكثر ما يوجدوا في الفلوات والأماكن الخراب، ومواضع النجسات كالحمامات والحشوش والمزابل، ويوجدوا أيضا في المقابر وأماكن الشرك بالله، ويسكنون أيضا في البيوت التي ليس فيها ذكر الله وتلاوة القرآن خاصة سورة البقرة ، وأيضا في الأسواق وقد أوصى النبي ﷺ أحد أصحابه قائلا: (لا تَكُونَنَّ إِنْ اسْتَطَعْتَ أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ السُّوقَ وَلا آخِرَ مَنْ يَخْرُجُ مِنْهَا فَإِنَّهَا مَعْرَكَةُ الشَّيْطَانِ وَبِهَا يَنْصِبُ رَايَتَهُ ٠٠٠) [رواه مسلم (٤١١٠) عن سلمان]

ثالث عشر: إيذاؤهم للناس

العداء بين الشيطان وبني آدم قديم لذا فهوا لا يفتر عن إيذائهم بقدر ما يستطيع، فهو يؤذي الإنسان في بدنه وفي نومه بإزعاجه وتخويفه بأحلام ويدل الحيوانات في حرق البيوت، وخبط الإنسان عند الموت، ويؤذي الوليد عند الولادة، والطاعون بسبب وخذه، والنزيف عند ما يصيب المرأة ركضة منه، وهو يشارك بني آدم في الطعام إذا لم يذكروا اسم الله عليهم، ويشاركهم حتى في نومهم، ويصرع الإنسان ويدخل في بدنه لإيذائه[1]، وهو قائد المعركة

(١) وعلاج ذلك بالرقية الشرعية والذكر والطاعة، وقد تجاوز أمر الرقية الكثير من الناس حتى استطاع الشيطان أن يغرر بهم ويوقعهم في مخالفات خطيرة من أخطرها التكهن في معرفة الجن وديانته ونوعه، وكلام المريض في حالة غيبوبته وادعاء أن ذلك هو الجن، وتصديقه فيما يقول وإيهام الناس بهذا الباطل الذي لا دليل عليه لا من كتاب ولا من سنة غير اجتهاد بعض العلماء مما لا دليل عليه، هذا وليعلم كل مسلم أن

دائما ضد المؤمنين من عباد الله يجلب عليهم بخلية ورجله، وغير ذلك من الإيذاءات التي يلحقها ببني آدم من المؤمنين خاصة.

رابع عشر: عقيدة الناس في الجن والشياطين

والناس في ذلك على قسمين:

القسم الأول: آمنوا بوجودهم

وهم جميع الطواف والملل من أتباع الرسل ومن غير أتباع الرسل وهؤلاء على قسمين:

الأول: آمنوا بوجودهم وتأثيرهم على الإنسان بالصرع أو المس وهم كثير من أهل الكتاب وبعض من الفلاسفة وأهل السنة ومن وافقهم من أمة محمد ﷺ

الثاني: آمنوا بوجودهم وأنكروا صرعه للإنسان وإيذائه له وهم أصحاب العقل والمنهج العقلي من المعتزلة والجهمية ومن نحا نحوهم

القسم الثاني: الذين أنكروا وجود الجن:

وهم كذلك على قسمين:

هذه الصورة من الرعب التي أوهم بها هؤلاء الناس باطلة، وإن أكثر أمراض الناس إما طبيعية أو نفسية، وإن أمراض الجن والسحر أقل بقليل مما يصوره هؤلاء الشياطين الذين يلبسون ثوب الالتزام بالدين زورا ليخدعوا الناس بالباطل الذي يعيشون فيه وحسبنا الله ونعم الوكيل.

الأول: أنكروه بالكلية، وأنه ليس له وجود، وهم كثير من الفلاسفة والحكماء وبعض من أهل الكتاب وبعض من المشركين العرب ومن تبعهم من الملاحدة.

الثاني: آمنوا بالجن ولكنهم لم يأمنوا بحقيقة وجوده بل هو عبارة عن الروح الخبيثة التي تعتري الإنسان أو روح الشر فهؤلاء يلحقون بالقسم الأول في إنكار الجن وهؤلاء قليل من الفلاسفة وبعض من أصحاب الديانة الوثنية.

خامس عشر: بني آدم أفضل وأكرم من الجن

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾[الإسراء:٧٠].

سادس عشر: الجن لا يعلم الغيب

قال تعالى: ﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ * يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْراً وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ * فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلا دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾[سبأ: ١٢:١٣:١٤]

سابع عشر: أساليب الشيطان في إضلال بني آدم وهي كثيرة منها:

١ . تزيين الباطل أمام العيون وفي القلوب.

٢ . الإفراط والتشدد في الدين إلى درجة الغلو.

٣ . التفريط في أمور الدين إلى درجة التساهل والتهاون.

٤ . التثبيط عن العمل والتسويف في التوبة.

٥ . إظهار النصح للإنسان في عمله للمعصية أو تركه للطاعة.

٦ . التدرج في إضلاله خطوة خطوة.

٧ . تخويفه من أوليائه أو أتباعه من الجن والإنس.

٨ . إلقاء الشبهات عليه في العقائد والعبادات والحلال والحرام.

ثامن عشر: من حبائل الشيطان التي يصيد بها بني آدم

١– المرأة: وهي على رأس الحبائل وما وقع الفساد إلا بعد أن خرجت المرأة متبرجة وشاركت الرجال، وخلت بهم في أماكن العمل والدراسة والنادي وغيرها. أما التي تراعي أصول الشريعة وتحرص على رضى ربها فهي معينة على طاعة الله، زخرًا للمجتمع المسلم، وحياة للقلوب أما وزوجة وبنتًا وأختًا ... إلخ

٢– السحر والكهانة والعرافة: للمرضى وأصحاب النفوس الضعيفة والأحلام الوردية والنفوس الشريرة.

٣– حب المال وتعظيمه في النفس.

٤- الخمر والميسر والأنصاب والأزلام.[١]

٥- الغناء والموسيقى والأفلام والمسلسلات: التي تهدم الدين والقيم والأخلاق في النفوس والتي تلقي الشبهات في القلوب فتحيد بها عن طريق الحق والصواب.

تاسع عشر: من طرق التحصين من الشياطين:

١ . أخذ الحذر منهم والحيطة من وسوستهم من تحليل الحرام أو تحريم الحلال.

٢ . وزن الأعمال بميزان الشرع (الكتاب والسنة وطريقة السلف الصالح)

٣ . الاشتغال بذكر الله في كل وقت. قال تعالى: ﴿ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوب﴾[الرعد: ٢٨]

٤ . لزوم ومرافقة أهل الصلاح والتقى. ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[الكهف: ٢٨]

٥ . الإطلاع على كشف مخططاته ودسائسه

٦ . الاستغفار كثيرا.

---

(١) الأنصاب هي كل ما نصب للعبادة لغير الله من حجر ووثن وصنم وقبر ونحوه، والأزلام هي الأقداح التي كان يضربها المشركون في الجاهلية إذا أراد أحدهم أن يسافر، فإن خرج القدح الذي فيه النهي لم يسافر، وإن خرج الآخر سافر، وتتمثل اليوم كما هو موجود في الصحف بحظك اليوم.

٧ . قراءة القرآن. قال تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَاباً مَسْتُوراً﴾[الإسراء:٤٥]

٨ . تجنب أهل الغواية والضلال. قال تعالى: ﴿ وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً﴾[الكهف: ٢٨]

٩ . اتخاذه عدو. قال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾[فاطر:٦]

الفصل السابع
الإيمان بالكتب السماوية[1]

أولاً: تعريف الكتب

لغة: مصدر كتب كالكتب

والكتاب: ما كتب فيه ، وقيل: الصحيفة والدواة ، ويستخدم في ضم الحروف إلى بعضها البعض.

شرعاً: يراد به معان؛ ولكن ما يراد به هنا: كلام من كلام الله عز وجل فيه هدىً ونور أنزله على رسول من رسله، يشمل الصحف والألواح وجميع أنواع الوحي اللفظي والكتابي التي أنزلها الله على رسول من رسله بلغة قومه ليبلغها إليهم.

ثانياً: وجوب الإيمان بالكتب

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ

(١) أنظر في هذا المبحث على سبيل المثال: (الرسل والرسالات)للأشقر، (والعقيدة الإسلامية وأسسها) لحبنكة ص٥٣٥ مع ملاحظة أشعرية الرجل في الصفات، (وعقيدة المؤمن) للجزائري ص ١٨١، (والإيمان) لنعيم ياسين ص٨٣، و(إيماننا الحق بين النظر والدليل ص١٠٩) لإبراهيم النعمة

وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالا بَعِيداً﴾[النساء:١٣٦].

ثالثاً: أنواع الكتب السماوية التي يجب الإيمان بها

يجب الإيمان بجميع الكتب التي أنزلت من عند الله عز وجل على رسله سواء عرفناها أو لم نعرفها، فنؤمن بها جملة وعلى الغيب، ثم نؤمن بما عرفنا من أسماء لهذه الكتب والصحف مما ثبت في القرآن أو في السنة الصحيحة

١ . القرآن الكريم

وهو كلام الله عز وجل الذي أنزله على نبيه ورسوله محمد ﷺ بواسطة الوحي . وهو جبريل عليه السلام .، المعجز بلفظه المنقول إلينا بالتواتر والمحفوظ بين دفتي المصحف، يبدأ من أول سورة الفاتحة وينتهي بآخر سورة الناس.

قال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً﴾ [الفرقان:١].

وقال تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ ﴾[المائدة: ٤٨]

٢. صحف إبراهيم وموسى

قال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى * بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى * إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾[الأعلى:١٤.١٩]

٣ . التوراة

وهو كتاب الله الذي أنزله على نبيه موسى عليه السلام باللغة العبرانية، والتوراة لفظ عبراني معناه الشريعة والتعليم.

قال تعالى: ﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ * إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدىً وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ ﴾[المائدة:٤٣ . ٤٤]

٤ . الزبور

وهو كتاب الله الذي أنزله على نبيه دود عليه السلام.

والزبور لغة: هو المزبور؛ أي المكتوب، وجمعه زُبُر؛ كالرسل ورسول قال تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾[القمر:٥٢]

وقال تعالى: ﴿ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُوراً﴾[النساء: ١٦٣]

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾[الأنبياء:١٠٥]

قال أبو هريرة رضي الله عنه: الزبور: ما أنزل على داود من بعد الذكر . من بعد التوراة . والزبور جاء موافقا لشريعة موسى لا ناسخًا لها مع بعض المواعظ والحكم .

٥ . الإنجيل

وهو كتاب الله الذي أنزله على نبيه عيسى بن مريم عليه السلام، وجاء موافقا لشريعة موسى إلا النذر القليل الذي نُسخ.

قال تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الإنجيل فِيهِ هُدىً وَنُورٌ وَمُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدىً وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾[المائدة:٤٦]

وقال تعالى حكاية كلام عيسى لبني إسرائيل: ﴿وَمُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾[آل عمران:٥٠]

رابعًا: ما يجب على المؤمن في اعتقاده لهذه الكتب

١ . الاعتقاد الجازم بأن كلها منزلة من عند الله عز وجل على رسله يبلغونها إلى الناس.

٢ . الاعتقاد بأنها كلام الله عز وجل تكلم بها حقيقة وعلى الوجه الذي أراد.

فمنها ما كان مسموعا بلا واسطة من وراء حجاب.

ومنها ما أسمعه الله الرسول الملكي فينزل بها إلى الرسول البشري ليسمعه إياها.

ومنها ما كتبه الله عز وجل بيده.

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلا وَحْياً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾[الشورى:٥١]

وقال تعالى عن موسى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾[الأعراف: ١٤٥]

٣ ـ الاعتقاد الجازم بكل ما فيها من شرائع، وأنه كان واجباً عل الأمم التي نزلت إليهم هذه الكتب الانقياد لها والحكم بما فيها.

٤ ـ الاعتقاد الجازم بأن هذه الكتب يصدق بعضها بعضًا.

قال تعالى عن الإنجيل: ﴿مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الإِنْجِيلَ﴾[المائدة: ٤٦]

وقال تعالى عن القرآن: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ﴾[المائدة: ٤٨]

٥ . الاعتقاد الجازم بأن الكتب السماوية السابقة نزلت لقوم معينين؛ ولم تنزل لجميع الناس؛ أما القرآن فقد نزل لجميع الثقلين الإنس والجن.

قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً﴾[الفرقان:١]

٦ . الاعتقاد الجازم بأن الكتب الأولى ينسخ بعضها بعضًا، وأن القرآن نسخ جميع الشرائع السابقة.

٧ . الاعتقاد الجازم بأن هناك من القرآن ما نسخ بعضه

قال تعالى: ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾[البقرة: ١٠٦].

٨ . الاعتقاد الجازم بأن الكتب السابقة قد حُرِّفَ فيها وبدل وأنها ليست الآن على الوضع الذي أنزل من عند الله؛ وإنما كتبها أهل الزيغ والضلال بأيديهم من أجل عرض من الدنيا وإضلال الناس.

قال تعالى: ﴿ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ﴾[النساء: ٤٦]

٩. الاعتقاد الجازم بأن القرآن لا ينسخه كتاب بعده ولا يعتريه التحريف ولا التبديل؛ لأن الله عز وجل قد تكفل بحفظه من ذلك دون سائر الكتب السابقة، قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[الحجر:٩].

١٠. الاعتقاد الجازم بأن القرآن مصدقاً لما تقدمه من كتب ومهيمناً عليها.

قال تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ ﴾[المائدة: ٤٨].

خامساً: التحريف الذي أدخل على الكتب السابقة:

قال الشيخ عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني في كتابه (العقيدة الإسلامية وأسسها ص٥٧٦):

١. أثبت المحققون من العلماء والشراح والمحْدَثون للكتاب المقدس الجامع للعهدين القديم والجديد؛ أنه ليس لأي سفر من أسفار العهدين القديم والجديد سند متصل يصحح نسبة ذلك السفر إلى من نسب إليه من الأنبياء أو الرسل أو غيرهم، وفق طريقة علمية بعيدة عن التقليد الذي لا محاكمة فيه، وبعيدة أيضًا عن التعصب أو التعنت.

٢ . أثبت المحققون المتبعون لأسفار العهدين القديم والجديد، وجود نسبة كبيرة من الأغلاط والأخطاء التاريخية فيها، والتناقضات بين نصوصها، وأوردوا على ذلك أمثلة تطبيقية كثيرة.

٢ . من الثابت عند مؤرخي أهل الكتاب أن التوراة والزبور وسائر كتب العهد القديم؛ التي كانت قبل (بختنصر= نبوخذنصر) عند اليهود، قد فقدت فقدًا تامًا حين تسلط بختنصر ملك بابل (العراق الحديث) عليهم؛ وسباهم وأجلاهم عن فلسطين إلى بابل، وخرب لهم بيت المقدس، وذلك حوالي عام (٥٨٦ق. م).

ويزعم اليهود أن (عزرا) الكاهن أعاد كتابتها بالإلهام، بعد أن سمح لهم قورش . ملك الفرس الذي قهر البابليين واحتل بلادهم . بالعودة من منفاهم في بابل إلي فلسطين حوالي عام (٥٣٨ق.م)؛ أي بعد نحو (٥٠سنة) في المنفى ببابل.

٤. إن الإنجيل الرباني الذي أنزله الله على عيسى عليه السلام قد فقد، فلم يبق له أثر منذ العصور الأولى للديانة النصرانية، وقد أشارت إليه بعض فقرات وردت في إنجيل متى وإنجيل مرقس، وبعض رسائل بولس؛ كما حقق ذلك العلماء. أ . هـ

وإليك بعض التناقضات التي وقعت في كتب العهد القديم والعهد الجديد [١]:

١ . الفقرة التاسعة من الباب الرابع والعشرين من سفر صموئيل الثاني هكذا: وأتى يوآب بعدد وحساب الشعب للملك وكان عدد بني إسرائيل ثمانمائة ألف رجل بطل يضرب بالسيف ورجال يهوذا عدتهم خمسمائة ألف رجل مقاتلة.

والفقرة الخامسة من الباب الحادي والعشرين من السفر الأول من أخبار الأيام هكذا: ودفع إحصاء القوم إلى داود وكان عدد كل إسرائيل ألف ألف ومائة ألف رجل جاذب سيف ويهوذا أربعمائة وسبعون ألف رجل مقاتلة.

فهناك اختلاف في عدد بني إسرائيل بمقدار ثلاثمائة ألف، وفي عدد يهوذا بقدر ثلاثين ألف.فلو كان من عند الله فهل يكون هذا الاختلاف !!

(١) أنظر في ذلك كتاب(الفصل في الملل والأهواء والنحل ج١،ج٢) لابن حزم، وكتاب الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لشيخ الإسلام ابن تيمية، وكتاب هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى لابن قيم الجوزية، وكتاب إظهار الحق للشيخ رحمة الله الهندي وهو من أجمع ما كتب في هذا الأمر فلم يكتب قبله مثله، وكتاب الغفران بين الإسلام والمسيحية لإبراهيم خليل، وكتاب محاضرات في النصرانية لمحمد أبو زهرة، ولنا رسالة في هذا الشأن أسميتها (عشرة مسائل في إبطال الملة النصرانية) يسر الله إتمامها

٢ . قال أبو محمد بن حزم في (الفصل في الملل والأهواء والنحل ٢٣٩/١):
وتالله ما رأيت أمة تقر بالنبوة وتنسب إلى الأنبياء ما ينسبه هؤلاء الكفرة، فتارة ينسبون إلى إبراهيم عليه السلام أنه تزوج إلى أخته فولدت له إسحاق عليهما السلام، ثم ينسبون إلى يعقوب أنه تزوج امرأة فدست إليه أخرى ليست امرأته فولدت له أولادا منهم انتسل موسى وهارون وسليمان وغيرهم من الأنبياء عليهم السلام، ثم ينسبون إلى روبان بن يعقوب أنه زنى بربيبته زوج النبي أبيه وأم أخويه، ثم ينسبون إلى نبيه يعقوب عليه السلام أنه فسق بها كرها وافتضها غلبة، ثم ينسبون إلى يهوذا ما ذكرنا من زناه بامرأة ولديه فحبلت وولدت من الزنا ولدا منه انتسل داود وسليمان عليهما السلام، ثم ينسبون إلى يوشع بن نون أنه تزوج رحب الزانية المشهورة الموقفة نفسها للزنا لكل من دب وهب في مدينة أريحا، ثم ينسبون إلى عمران بن فهث بن لاوى أنه تزوج عمته أخت والده واسمها يوحانذ ولدت لجده بمصر فولد له منها هارون وموسى عليهما السلام، هكذا ذكر نسبها في قرب آخر السفر الرابع ثم ينسبون داود عليه السلام أنه زنى جهارا بامرأة رجل من جنده محصنة وزوجها حي وأنها ولدت منه من ذلك الزنا ابنا ذكرا، ثم مات ذلك الفرخ الطيب، ثم تزوجها وهي أم سليمان ابن داود عليهما السلام، ثم ينسبون إلى امثون بن داود عليهما السلام أنه فسق بسرارى أبيه علانية أمام الناس، ثم

ينسبون إلى سليمان عليه السلام العهر وأنه تزوج نساء لا يحل له زواجهن وأنه بنى لهن بيوت الأوثان وقرب لهن القرابين للأوثان. أ. هـ

فهل يصح لعاقل أن ينسب هذا لله تعالى ؟ وهذه التوراة يؤمن بها النصارى وبما فيها، ولذلك فالفجور عندهم كالذبابة التي تقع على عين أحدهم فيهشها

٣ . في مسألة نسب المسيح عليه السلام ورد في إنجيلي متى ولوقا ما يلي:

أ . هم يقولون أن المسيح ابن لله أو هو الله بزعمهم فكيف ينسبونه ؟

ب . جعل متى نسب المسيح من سليمان بن داود؛ في حين جعله لوقا من نسب ثاثان بن داود، فأي الإنجيلين أصدق ؟ وما الدليل على صدق أحدهما وكذب الآخر ؟

ج . في إنجيل متى عدد الأجيال إلى داوود اثنان وثلاثون بينما عدد الأجيال في لوقا إثنان وأربعون؛ أي هناك فرق عشرة أجيال فأيهم الصادق ؟ وما الدليل ؟ وهل كلام الله يكون فيه هذا الجهل ؟!! سبحانك هذا بهتان عظيم

٣ . قال الشيخ رحمة الله الهندي في(إظهار الحق ٢٢٨/١):

في الآية التاسعة من الباب الخامس من إنجيل متى هكذا: طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يدعون.

وفي الباب العاشر من إنجيل متى هكذا: لا تظنوا أني جئت لألقي سلامًا على الأرض. ما جئت لألقي سلاما بل سيفا.

فبين الكلامين اختلاف، ويلزم أن لا يكون عيسى عليه السلام من الذين قيل في حقهم: (طوبى) ولا يدعى (ابن الله) !!

٦. في إنجيل مرقس ٢/١٦: وباكر جدًا في أول الأسبوع أتين إلى القبر إذ طلعت الشمس.

وفي إنجيل يوحنا ١/٢٠: وفي أول الأسبوع جاءت مريم المجدلية إلى القبر باكرًا والظلام باق.

ففي الأول عدد من النساء وحين طلعت الشمس، وفي الثاني امرأة واحدة وقبل طلوع الشمس؛ فأي الإنجيليين كلام الله ؟!!

فليزم من هذا كله وغيره أن هذه الكتب ليست إلا كلام بشر ليس عندهم حتى المصداقية في تحري الأخبار، وما هي إلا قصص من وحي الخيال مع بعض الحكايات التاريخية التي سمعها كتبت هذه الكتب من أناس مجهولون.

ومن أراد المزيد فليرجع إلى ما أشرنا إليه من مراجع.

سادسًا: عقيدة أهل الضلال في الكتب السماوية وخاصة القرآن

١ . اليهود يؤمنون بالتوراة (العهد القديم) وأنها لم تحرف ولم تبدل ويكفرون بالإنجيل والقرآن.

٢ . النصارى يؤمنون بالتوراة والإنجيل (العهد القديم والجديد) وأنهما حق لم يحرفا ولم يبدلا ويكفرون بالقرآن.

٣ . سائر ملل الكفر الأخرى لم تؤمن بالكتب السابقة ولا بالقرآن.

٤ . الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم أنكروا أن يكون القرآن كلام الله، وقالوا عنه مخلوق خلقه الله.

٥ . الروافض ومن نحا نحوهم قالوا: إن القرآن حُرِّف وبُدل وزيد فيه ونقص منه ويعتقدون أن هناك قرآناً آخر يسمى بقرآن فاطمة رضي الله عنها سوف يظهر قاتلهم الله أنى يؤفكون.

٦ . الصابئة قالوا عن القرآن: كلام البشر ولكن أفضل مما يقول البشر.

٧ . قول المتفلسفة ومن تبعهم من الزنادقة بأن القرآن شيء فاض على النبي ﷺ من المحل الأعلى كما تفيض سائر العلوم والمعارف على أهلها كالفلاسفة والحكماء، وهذا قول ابن عربي والتلمساني المغربي ومن نحا نحوهم من المنافقين، أو هو: عبارة عن تخيلات يتخيلها الرسول وأمثلة يضربها لتقريب الحقائق إلى قلوب العامة. وهذا كلام الفارابي وابن سينا وغيرهما من أهل الكفر والزندقة.

٨ . قول المستشرقين اليهود ومن سار على نهجهم من المستغربين أمثال طه حسين وغيره أن القرآن ألفه النبي ﷺ من كتب اليهود والنصارى ومن شعر أمية بن أبي الصلت، تعالى الله عن ذلك علواً كثيراً.

الفصل الحادي عشر

الإيمان بالأنبياء والرسل[1]

أولاً: تعريف النبي والرسول

(١) النبي

١ . لغة: من النبوءة؛ مأخوذ من النبأ؛ أي الخبر وهو ما ارتفع من الأرض، يقال: نبأ الشيء إذا ارتفع.

٢ . شرعاً: النبي هو: عبد بشري ذكر اصطفاه الله بوحيه ليذكر الناس بما هم عليه من الحق، ويدعوهم إلى توحيد الله، سواء كان ذلك على شريعة من سبقه من الرسل، أو بوحي خاص يوحيه الله إليه.

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُوراً﴾[النساء:١٦٣]

وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدىً وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا

(١) أنظر في هذا المبحث على سبيل المثال كتاب (النبوات) لشيخ الإسلام ابن تيمية (الرسل والرسالات) للأشقر، وكتاب (الإيمان بالأنبياء والرسل) لعبدالسلام التونجي، وكتب قصص الأنبياء

عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾[المائدة:٤٤]

(ب) الرسول

١ . لغة: بمعنى مرسل؛ أي مبعوث بإبلاغ شيء.

٢ . شرعاً: المراد به عبد بشري ذكر اصطفاه الله بوحيه ورسالاته وأمره بتبليغها إلى الناس.

قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾[يونس:٤٧]

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[إبراهيم:٤]

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾[النحل:٣٦]

فعلى هذا التعريف يتضح الفرق بين الرسول والنبي.

(ج) الأدلة على وجود الفرق بين الرسول والنبي

قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ﴾[الحج: ٥٢].

ثانيًا: الفرق بين الرسول والنبي

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه (النبوات ص١٨٤):

النبي ينبأ بما أنبأ الله به فإن أرسل مع ذلك خالف أمر الله ليبلغه رسالته من الله من إليه فهو رسول، وأما إذا كان إنما يعمل بالشريعة قبله ولم يرسل هو إلى أحد يبلغه عن الله رسالة فهو نبي وليس برسول

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إلا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾[الحج: ٥٢]

وقوله: ﴿مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ ﴾ فذكر إرسالاً يعم النوعين، وقد خص أحدهما بأنه رسول فهذا هو الرسول المطلق الذي أمره بإبلاغ رسالته إلى من خالف أمر الله كنوح. وقد ثبت في الصحيح أنه أول رسول بعث في الأرض [١]، وقد كان قبله من الأنبياء كشيث وإدريس عليهما السلام وقبلهما آدم كان نبيا مكلما.

قال ابن عباس: كان بين آدم ونوح عشر قرون كلهم على الإسلام [٢].

فأولئك الأنبياء يأتيهم وحي من الله بما يفعلون ويأمرون به المؤمنين الذين عندهم لكونهم مؤمنين بهم كما يكون أهل الشريعة الواحدة يقبلون ما يبلغه العلماء عن الرسول، وكذلك أنبياء بني إسرائيل يأمرون بشريعة التوراة، وقد

(١) البخاري (٤٤٣٥) ومسلم (١٩٤) من حديث أبي هريرة

(٢) أخرجه لحاكم في مستدركه (٣٦٥٤) بإسناد صحيح

يوحي إلى أحدهم وحي خاص في قصة معينة؛ ولكن كانوا في شرع التوراة كالعالم الذي يفهمه الله في قضية معنى يطابق القرآن كما فهم الله سليمان حكم القضية التي حكم فيها هو وداود.

فالأنبياء ينبئهم الله فيخبرون بأمره ونهيه وخبره وهم بنبئون المؤمنون بما أنبأهم الله به من الخبر والأمر والنهى فإن أرسلوا إلى الكفار يدعوهم إلى توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له [فهم رسل][1]. أ. هـ

فعلى هذا الفرق كل رسول نبي وليس كل نبي رسول كل منها مرسل من قبل ربه إلى الخلق.

أما من عرف الرسول بأنه من أوحي إليه وأمر بالتبليغ، والنبي من أوحى إليه ولم يؤمر بالتبليغ فهذا فيه نظر

قال الدكتور عمر سليمان الأشقر في كتبه (الرسل والرسالات ص١٥،١٤):

وهذا الذي ذكروه هنا بعيد لأمور:

الأول: أن الله نص على أنه أرسل الأنبياء كما أرسل الرسل في قوله: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ ... ﴾، فإذا كان الفارق بينهما هو الأمر بالبلاغ فالإرسال يقتضي من النبي البلاغ.

(١) ما بين المعكوفتين زيادة لتوضيح المعنى

الثاني: أن ترك البلاغ كتمان لوحي الله تعالى، والله لا ينزل وحيه ليكتم ويدفن في صدر واحد من الناس، ثم يموت هذا العلم بموته.

الثالث: قول الرسول ﷺ: (عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرُّهَيطُ وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ وَالنَّبِيَّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ ...)[1]

فدل هذا على أن الأنبياء مأمورون بالبلاغ وأنهم يتفاوتون في مدى الاستجابة لهم. اهـ

ثالثًا: أدلة وجوب الإيمان بأنبياء والرسل منها:

قال تعالى: ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾[البقرة: ٢٨٥]

وقال تعالى: ﴿ قُلْ آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[آل عمران:٨٤]

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً * أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقّاً﴾[النساء: ١٥١،١٥٠]

(١) البخاري (٥٣١١) ومسلم (٣٢٣) واللفظ له من حديث بريدة بن الحصين

وروى مسلم (٢١٨) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺأَنَّهُ قَالَ: (وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلا نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ)

رابعًا: ما يجب على المؤمن تجاه الأنبياء والرسل

١ . الإيمان بأن رسالتهم حق من عند الله ومن كفر برسالة واحد منهم كفر بالجميع.

٢ . الإيمان بمن علمنا اسمه سواء جاء في القرآن أو في السنة الصحيحة، والأيمان بمن لم نعلم اسمه.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾[غافر: ٧٨]

٣ . تصديق ما صح من أخبار عنهم وعن أحوالهم.

٤ . العمل بشريعة آخرهم وخاتمهم محمد ﷺ والسير على هداه.

٥ . عدم التفريق بينهم في الاعتقاد.

٦ . الاعتقاد بأن بعضهم أفضل من بعض. قال تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾[البقرة: ٢٥٣] ولا نفضل أحدًا بعينه على أحد، روى البخاري (٤٢٦٥) ومسلم (٤٣٨١)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺقَالَ: (مَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى)

والنبي ﷺ أفضل من جميع الأنبياء على الجملة

خامسًا: عدد الأنبياء والرسل

روى احمد في مسنده (٢٠٤٦٦) بإسناد صحيح عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الأَنْبِيَاءِ كَانَ أَوَّلُ ؟

قَالَ: آدَمُ

قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَنَبِيٌّ كَانَ ؟

قَالَ: نَعَمْ نَبِيٌّ مُكَلَّمٌ

قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ! كَمْ الْمُرْسَلُونَ ؟

قَالَ: ثَلاثُ مِائَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ جَمًّا غَفِيرًا) وصححه الألباني.

سادسًا: مهمة الرسل

١ . البلاغ المبين

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾[المائدة: ٦٧].

وقال تعالى: ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلا الْبَلاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾[المائدة:٩٩]

٢ . الدعوة إلى الله

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[النحل: ٣٦]

وقال تعالى: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[يوسف:١٠٨].

٣ . التبشير بالجنة ونعيمها والتحذير من النار وعذابها

قال تعالى: ﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾[الكهف: ٥٦]

وقال سبحانه عن نبيه محمد ﷺ: ﴿ إِنْ أَنَا إِلا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[الأعراف: ١٨٨]

وقال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾[البقرة: ٢١٣].

٤ . تزكية النفوس وإصلاحها وتعليم الناس ما نزل إليهم

قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾[آل عمران:١٦٤]

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾[إبراهيم: ٥]

وقال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾[الجمعة:٢].

٥ . إقامة الحجة على الخلق بما أوحي إليهم

قال تعالى: ﴿ رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾[النساء: ١٦٥]

وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى﴾[طه:١٣٤]

وقال تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾[الإسراء: ١٥].

٦ . حكم الأمة بشرع الله الذي نزل إليهم

قال تعالى عن داود: ﴿ يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾[صّ: ٢٦]

وقال سبحانه عن التوراة: ﴿ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا﴾[المائدة: ٤٤]

وقال تعالى عن نبيه: ﴿ فَاحْكُمْ بَيْنَهمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّه﴾[المائدة: ٤٨]

روى البخاري (٣١٩٦) ومسلم (٣٤٢٩) عن أَبِي هُرَيْرَةَ يُحَدِّثُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺقَالَ: كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمْ الأَنْبِيَاءُ كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ وَإِنَّهُ لا نَبِيَّ بَعْدِي وَسَيَكُونُ خُلَفَاءُ فَيَكْثُرُونَ قَالُوا فَمَا تَأْمُرُنَا قَالَ فُوا بِبَيْعَةِ الأَوَّلِ فَالأَوَّلِ أَعْطُوهُمْ حَقَّهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ سَائِلُهُمْ عَمَّا اسْتَرْعَاهُمْ)

ولكن هذا الأمر ليس على إطلاقه؛ بل النبي الذي كان يسوس قومه كان يؤمر بحكمهم بحكم الله، أما الذي لا يستطيع أن يسوسهم فكان يظل على مهمته في الدعوة مثل نوح وإبراهيم وشعيب وهود ولوط وغيرهم ممن لم يكن لهم الحكم والسيطرة على أقوامهم.

٧ . محاربة العقائد الباطلة والأفكار المنحرفة بقدر ما أوتوا من تأييد.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾[النحل:٣٦]

سابعاً: من صفات الرسل والأنبياء وما خصوا به من دون البشر

أ. صفات يشتركون فيها مع باقي الناس

١ . البشرية:

هو أن الرسول أو النبي ما هو إلا بشر مثل سائر البشر يحتاج إلى ما يحتاج إليه البشر من الطعام والشراب والنوم ومعاشرة النساء إلى آخر مما يحتاجه البشر.

ومن حكمة الله سبحانه وتعالى أن يرسل بشرًا إلي الناس لينذرهم ويبشرهم ويتذوق مواجعهم ويعرف نوازعهم وأشواقهم، ويقدر قدراتهم تحملهم ... ألخ، ولهذا أستنكر ذوى العقول الخربة أن يكون الرسول بشرًا فقالوا: ﴿مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ﴾[الفرقان: ٧]

وقالوا: ﴿ أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَراً رَسُولاً﴾[الإسراء: ٩٤]

وقال عز وجل عنهم: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا ﴾[الفرقان: ٢١]

فهؤلاء لا يدركون الحقيقة بين كون الرسول من البشر وكونه من الملائكة وما حملهم على ذلك إلا السفه والعته الذي أصاب عقولهم، فإذا كان النبي ﷺ يأتيه الوحي وينفصل عنه فيتفصد عرقا في اليوم الشديد البرد؛ فكيف يطيق هؤلاء أن يتحملوا الملك الرسول ؟ وحتى لو قدر الله بعث رسولا من الملائكة لجعله رجلا يمشي بين الناس ويخالطهم ويعرف أفراحهم وأحزانهم ويشاركهم فيها ويستأنس الناس به.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لَجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ﴾[الأنعام:٩]

إذًا لا فائدة من إرسال رسولا من الملائكة.

٢ . الصدق والاستقامة

وهاتان الصفتان وإن كان يتصف بهما بعض البشر من غير الأنبياء والرسل؛ إلا أن وجودهما في الرسول والنبي أكثر؛ لأنه مبلغ عن ربه، فلابد من توفر هاتين الصفتين؛ حتى لا يختل ميزان الناس إذا اكتشفوا أن الرسول يقول عن الله ما لم يقله . تعالى عن ذلك .

ولذا قال موسى لفرعون: ﴿ وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرائِيلَ﴾[الأعراف:١٠٤، ١٠٥]

وقال تعالى عن نبيه محمد ﷺ: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى﴾[النجم: ٣ : ٤].

٣ . الأمانة

وهي الأمانة في التبليغ قولاً وعملا وسلوكًا ظاهرًا وباطنًا؛ ولذا كان كل نبي يعلن لقومه: ﴿ وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾[الأعراف: ٦٨]

ويقول تعالى: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾[التكوير:٢٤]

(ب) صفات أختص بها الأنبياء والرسل عن سائر البشر

١ . العصمة

العصمة في تحمل الرسالة وتبليغها إلي الناس فلا ينسوا شيئًا مما أوحاه الله إليهم، وإذا وقع لهم شيء من الأعراض البشرية من نسيان أو خوف طبيعي، أو خطأ في إصابة الحق أحيانًا، إنما هذا لحكمة التشريع من الله سبحانه وتعالى، وأيضًا العصمة من الكبائر وقبائح الذنوب، كل هذا الأمة مجتمعة عليه لا خلاف في ذلك؛ أما العصمة من الصغائر: فأكثر أهل العلم على أنهم غير معصومين من ذلك؛ وذلك حتى يكون الكمال لله وحده سبحانه وتعالى.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى (٢١ / ٣١٩):

القول بأن الأنبياء معصومون من الكبائر دون الصغائر هو قول أكثر علماء الإسلام وجميع الطوائف، حتى أنه أيضاً قول أكثر أهل الحديث والفقهاء؛ بل لم ينقل عن السلف والأئمة والصحابة والتابعين وتابعهم إلا ما يوافق هذا القول. أ . هـ.

٢ . الوحي

وهذا أيضاً لا خلاف فيه أن الوحي إنما ينزل على الأنبياء دون غيرهم قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾[النساء: ١٦٣]

وقال تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[الشورى:٣]

والمقصود بالوحي هنا هو إرسال ملك رسولا أو تكليم النبي من وراء حجاب قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلا وَحْياً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾[الشورى:٥١]

٣ . إنهم أشد الناس بلاءً

روى أحمد(٢٧١٢٤) والطبراني في الكبير (٦٢٧)عَنْ فَاطِمَةَ بنت اليمان قَالَتْ: (أَتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺنَعُودُهُ فِي نِسَاءٍ فَإِذَا سِقَاءٌ مُعَلَّقٌ نَحْوَهُ يَقْطُرُ مَاؤُهُ عَلَيْهِ مِنْ شِدَّةِ مَا يَجِدُ مِنْ حَرِّ الْحُمَّى قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ دَعَوْتَ اللَّهَ فَشَفَاكَ !

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ بَلاءً الأَنْبِيَاءَ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ) وصححه الألباني.

٤ . إنهم مؤيدون بالمعجزات

وذلك لإثبات صدقهم للناس، فيؤيدهم الله عز وجل بما هو خارق للعادة، يعجز الناس عن الإتيان بمثله.

مثل نجاة إبراهيم من النار، وعصا موسى، وإحياء الموتى لعيسى، وانشقاق القمر والإسراء والمعراج والقرآن لنبينا محمد ﷺ.

٥ . تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم

روى البخاري في صحيحه (٣٣٠٥) عن أنس في حديث الإسراء الطويل ٠٠٠وَالنَّبِيُّ ﷺنَائِمَةٌ عَيْنَاهُ وَلا يَنَامُ قَلْبُهُ وَكَذَلِكَ الأَنْبِيَاءُ تَنَامُ أَعْيُنُهُمْ وَلا تَنَامُ قُلُوبُهُمْ ".

٦ . تخيير الأنبياء عند الموت

روى البخاري(٤٢٢٠) في صحيحه عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺيَقُولُ: (مَا مِنْ نَبِيٍّ يَمْرَضُ إِلا خُيِّرَ بَيْنَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ٠٠).

٧ . لا يقبر نبي إلا حيث يموت

روى أحمد في مسنده (٢٧) عن ابْنُ جُرَيْجٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبِي أَنَّ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺلَمْ يَدْرُوا أَيْنَ يَقْبُرُونَ النَّبِيَّ ﷺحَتَّى قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺيَقُولُ: (لَنْ يُقْبَرَ نَبِيٌّ إِلا حَيْثُ يَمُوتُ)
فَأَخَّرُوا فِرَاشَهُ وَحَفَرُوا لَهُ تَحْتَ فِرَاشِهِ. وصححه الألباني.

٨ . الأرض لا تأكل أجسادهم

روى أحمد (١٥٧٧٥) أبو داود(١٣٠٨) والنسائي (١٣٥٧) وابن ماجة (١٦٢٦)عَنْ أَوْسِ بْنِ أَوْسٍ عَنْ النَّبِيِّ ﷺقَالَ: إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ

الْجُمُعَةِ فِيهِ خُلِقَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلام وَفِيهِ قُبِضَ وَفِيهِ النَّفْخَةُ وَفِيهِ الصَّعْقَةُ فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنْ الصَّلاةِ فَإِنَّ صَلاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ.

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ ! وَكَيْفَ تُعْرَضُ صَلاتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرَمْتَ . أَيْ يَقُولُونَ قَدْ بَلِيتَ . ؟

قَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ حَرَّمَ عَلَى الأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمْ السَّلام). وصححه ابن خزيمة وأقره الحافظ بن حجر وصححه الألباني.

٩ . إنهم أحياء في قبورهم

روى أبو يعلى في مسنده (٣٤٢٥) عن أنس أن النبي ﷺ قال: (الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون) وصححه الحافظ في (الفتح ٤٨٧/٦) والألباني في صحيح الجامع (٢٧٩٠).

ولكن الحياة في القبر غير الحياة الدنيوية؛ فحياة الدنيا في حكم الشهادة أما حياة القبر فهي غيبية لا يعلم كيفيتها إلا الله سبحانه وتعالى .

ثامنًا: أمور اعتقادية تتعلق بالمؤمن

١ . أن الأنبياء والرسل هداة الخلق هداية دعوة ودلالة وإرشاد إلى سبيل الهدى، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[الرعد: ٧].

٢ . أن الله تعالى اتخذ إبراهيم خليلاً واتخذ محمد ﷺ خليلاً وكلم موسى تكليما ورفع إدريس مكاناً عليا وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه.

٣ . أن الله فضل بعض الرسل على بعض ورفع بعضهم درجات، قال تعالى: ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ﴾[البقرة: ٢٥٣]

٤ . أن محمداً أفضل الأنبياء والمرسلين على الجملة ولا يفضل على واحد من الأنبياء على بعينه لنهيه عن ذلك.

٥ . أن نوحاً عليه السلام هو أول الرسل ومحمد هو خاتم الأنبياء والمرسلين ورسالته خاتمة الرسالات.

قال تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾[الأحزاب: ٤٠]

وروى البخاري (٤٤١٦) عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺخَرَجَ إِلَى تَبُوكَ وَاسْتَخْلَفَ عَلِيًّا فَقَالَ: أَتُخَلِّفُنِي فِي الصِّبْيَانِ وَالنِّسَاءِ ؟ قَالَ: أَلا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلا أَنَّهُ لَيْسَ نَبِيٌّ بَعْدِي)

٦ . لا نرفع النبي فوق منزلته فلا نقول أنه ابن الله أو هو الله أو يملك ما يملكه الله، وغير ذلك مما تكلم به أهل الكفر والإلحاد.

روى البخاري (٣١٨٩) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ سَمِعَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ عَلَى الْمِنْبَرِ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺيَقُولُ: لا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ.)

تاسعاً: المعجزة والكرامة

أولاً: المعجزة

١ . معناها لغة: من عجز؛ إي ضعف والعجز والضعف: عدم القدرة أو هو زوال القدرة عن الإيتان بالشيء من عمل أو رأى أو تدبير.

٢ . شرعا: هي أمر حقيقي خارق للعادة يجريه الله عز وجل على يد نبي من أنبيائه أو رسول من رسله للتحدي بها أمام أعدائهم مما لا قدرة للبشر على الإتيان بمثلها لإظهار عجزهم.

وتسمى في القرآن: آيه؛ أي علامة على صدق النبوة أو الرسالة

قال تعالى عن موسى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾[الإسراء: ١٠١]

وقال تعالى عن المشركين: ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ * وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾[القمر:٢١]

ثانيا: الكرامة

معناها لغة: مواضع الإكرام

شرعا: هي أمر ممكن عقلا خارق للعادة يجريه الله علي يد ولي من أولياءه من غير تحد لأحد.

ثالثا: أنواع الخوارق للعادة

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب" النبوات " ص (٢٧، ٢٧) باختصار: **والخوارق ثلاثة أنواع: .**

(**الأول**): إما أن تعين صاحبها على البر والتقوى فهذه أحوال نبينا ومن اتبعه؛ خوارقهم في الدين أو لحاجة المسلمين .

(**الثاني**): أن تعينه علي تحقيق مبيحات كمن تعينه الجن على قضاء حوائجه المباحة؛ فهذا متوسط وخوارقه لا ترفعه ولا تخفضه وهذا كتسخير الجن لسليمان عليه السلام.

والأول مثل إرسال نبينا إلى الجن يدعوهم إلى الإيمان، فهذا أكمل من استخدام الجن في بعض الأمور المباحة كاستخدام سليمان لهم في محاريب وتماثيل وجفان كالجوابي وقدور راسيات

قال تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْراً وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[سبأ:١٣]

وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾[سبأ: ١٢]

ونبينا ﷺأرسل إليهم يدعوهم إلى الإيمان بالله وعبادته كما أرسل إلى الإنس، فإذا اتبعوه صاروا سعداء، فهذا أكمل له ولهم من ذاك؛ كما أن العبد الرسول أكمل من النبي الملك ويوسف وداود وسليمان أنبياء ملوك أما محمد فهو عبد رسول كإبراهيم وموسى والمسيح وهذا الصنف أفضل وأتباعهم أفضل.

(**الثالث**) أن تعينه على الفواحش مثل الشرك والظلم والقول الباطل فهذا من خوارق السحرة والكهانة والكفار والفجار. مثل أهل البدع من الرفاعية وغيرهم ، فإنهم يستعينون بها على الشرك وقتل النفوس بغير حق والفواحش.

وهذه الثلاثة هي التي حرمها الله في قوله: ﴿وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلا بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً﴾[الفرقان:٦٨]

ولهذا كانت طريقهم من جنس طريق الكهان والشعراء والمجانين. اهـ

واعلم أن الخوارق التي أعطيت للأنبياء على نوعين: .

(**الأول**) أمر خارق يتحدى به من يعارض في نبوته كعصا موسى وناقة صالح والقرآن لنبينا محمد ﷺ.

(**الثاني**) أمر خارق للعادة وليس المقصود به التحدي مثل نبع الماء من بين يد النبي ﷺ وتكثير الطعام وتسبيح العصا في يده وغير ذلك.

رابعًا: الفرق بين المعجزة والكرامة

أ . المعجزة يجريها الله علي يد نبي أو رسول؛ أما الكرامة فتكون للأنبياء ولغيرهم من الصالحين.

ب . المقصود من المعجزة هو تحدي المشركين، والكرامة ليست للتحدي

جـ . المعجزة تنال بالنبوة، والكرامة تنال بالتقوى.

د . المعجزة مأمونة العاقبة لصاحبها، والكرامة غير مأمونة العاقبة؛ إذ قد يغتر صاحبها ويدخل في نفسه العجب.

هـ . الكرامة أخف قدرًا من المعجزة.

خامساً: أحوال صاحب الكرامة

وذلك من حيث تأثير وقع الشيء الخارق للعادة في نفسه .

الأول: من يزداد بها قربة إلى الله وشكراً له وخوفاً على نفسه من درك المعاصي.

الثاني: من يهوي بسببها إلى المعاصي كالعجب بالنفس والطاعة وعدم شكر الله، فيظن أنه أحسن من غيره فتحبط أعماله بذلك.

الثالث: من لا تؤثر فيه الكرامة لا بزيادة الطاعة ولا نقصانها.

عاشراً: الولاية

١ . تعريف الولي

من الموالاة، وهي التتابع والقرب؛ أي مولاته للطاعات ، وموافقته لمن يواليه ، والولاية ضد العداوة.

٢ . أقسام الولاية [١]

الولاية قسمان:

ولاية للرحمن ، وولاية للشيطان

القسم الأول: أولياء الرحمن

وهم المؤمنون بالله المتقون له المتبعون لنبيه ﷺ.

(١) أنظر في ذلك كتاب (الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان) لشيخ الإسلام ابن تيمية

قال تعالى: ﴿ أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾[يونس:٦٢، ٦٣]

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾[المائدة ٥٦:٥٥]

القسم الثاني: أولياء الشيطان

وهم الموافقون للشيطان المتبعون له فيما يحبه ويرضاه ويبغضه ويسخطه ويأمر به وينهى عنه قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً﴾[النساء:٧٦]

وقال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ﴾[الأعراف: ٢٧]

وقال تعالى: ﴿ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ ﴾[الممتحنة: ١].

٣ ـ مراتب أولياء الرحمن [١]

المرتبة الأولى: الأنبياء والمرسلون وهم أعلي مراتب الولاية لأنهم صفوة الله من خلقه صلوات الله عليهم أجمعين.

(١) أنظر (عقيدة المؤمن) للشيخ أبو بكر الجزائري ص١٤٠

المرتبة الثانية: السابقون بالخيرات المقربين من إتباع الرسل الكرام الذين اختارهم الله لصحبة أنبيائه وعلى رأس هؤلاء هم صحابة محمد ﷺ

وهذه المرتبة أدني من المرتبة الأولى، وهم الذين أتوا بأصل الأيمان والإيمان الواجب والإيمان المستحب على الجملة.

المرتبة الثالثة: أهل الإيمان والتقوى من أصحاب اليمين وهم الذين معهم الإيمان الأصل مع الإيمان الواجب وتقصيرا في الإيمان المستحب وهؤلاء أدنى من المرتبة الثانية.

المرتبة الرابعة: مرتبة أهل الضعف في الإيمان والتقوى وهم الظالمون لأنفسهم فيما اقترفوا من المعاصي وهؤلاء معهم أصل الإيمان مع تقصيرهم في الإيمان الواجب.

والمراتب الثلاثة الأخيرة هي: المعنية بقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ * جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾[فاطر:٣٢: ٣٣].

(٤) ما يجب على المؤمنين اعتقاده تجاه الولاية

(أ) لا تتم ولاية عبد لله إلا بالإيمان الصحيح والتقوى.

قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾[يونس:٦٣،٦٢]

(ب) تفاوت درجات الأولياء بحسب إيمانهم وقربهم إلى الله وبحسب أعمالهم. قال تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[التوبة:١٩]

وقال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلاً وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[الحديد:١٠]

(ج) ليس من شرط تحقق الولاية إجراء الكرامة على يديه؛ فقد يكون ولياً لله في منزله أقل من غيره ويجري الله على يديه من الكرامات ما لا يجريها على ما هو أفضل منه.

(د) الأولياء من غير الأنبياء لا عصمة لهم فهم يصيبون ويخطئون.

(هـ) أصحاب رسول الله ﷺ هم خير الأولياء بعد النبي ﷺ في هذه الأمة فنحن نحبهم ولا نفرط في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم وبغير الحق يذكرهم ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان.

(و) من آذى ولياً لله فقد آذنه الله بالحرب ومن عادى ولياً فقد عادى الله عز وجل لما رواه البخاري في صحيحه (٦٠٢١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ

رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ ...الحديث) وهو صحيح لغيره.

(ز) عدم رفع الولي في منزلة فوق منزلته، فهو عبد لله عز وجل فلا يحل دعاؤه ولا النذر له ولا الذبح عند قبره ولا شد الرحال إلى قبره ولا الحلف به؛ لأن هذا شرك بالله عز وجل لقول الرسول ﷺ : (مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ) رواه الترمذي (١٤٥٥) وصححه الألباني "

وفي رواية فقد كفر ".

(ح) معاداة أولياء الشيطان ومحاربتهم وإخماد مخططاتهم بحسب الاستطاعة باليد واللسان والقلب.

حادي عشر: اعتقاد أهل الضلال في الأنبياء والرسل والأولياء:

١ . اليهود والنصارى آمنوا بجميع الأنبياء بنبوة محمد ﷺ، والأنبياء الذين آمنوا بهم ألحقوا بهم كل القبائح، فمنهم من وصفوه بالزنى، ومنهم من وصفوه بشرب الخمر، ومنهم من وصفوه الظلم، وغير ذلك من الأوصاف التي عصم الله عز وجل منها رسله.

٢. الفلاسفة أنكروا إرسال الرسل والأنبياء بحجة أن العقل يغني عن إرسال الرسل.

٣ . أهل الزندقة ممن ينتسبون إلى الإسلام كابن عربي والفارابي وغيره زعموا أن الولي أفضل من الرسول والرسول أفضل من النبي وأن خاتم الأولياء أفضل

من خاتم الأنبياء، وقد حكم على هؤلاء كثير من أهل العلم بالكفر منهم البقاعي وابن تيمية وابن القيم وغيرهم.

٤ . أهل الشرك من المتصوفة غالوا في النبي ﷺ ورفعوه إلى مرتبة الإله تعالى الله عن ذلك علواً كثيراً.

٥ . وأيضًا وقع الغلو في الصالحين وغير الصالحين فيطلبون منهم المدد وغفران الذنوب والشفاعات ودخول الجنان.

الفصل الثاني عشر

الإيمان باليوم الآخر

المبحث الأول

المطلب الأول

من أدلة وجوب الإيمان باليوم الآخر

معني اليوم الآخر: سمي بهذا الاسم لأنه آخر يوم ولا يوم بعده

والمقصود بالإيمان به: هو التصديق الجازم بكل ما أخبر به رسول الله ﷺ بما يمر به الإنسان من حين يموت وإلى آخر دخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، وبما يسبق يوم اليوم القيامة من علامات له.

قال تعالى: ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾[البقرة: ١٧٧]

وقال تعالى: ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ﴾[التوبة: ٢٩]

وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالا بَعِيداً﴾[النساء: ١٣٦]

وفي حديث جبريل المشهور حيث قال للنبي ﷺ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ الإِيمَانِ قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ. قَالَ: صَدَقْتَ

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ الإِحْسَانِ

قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ السَّاعَةِ

قَالَ: مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنْ السَّائِلِ

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا

قَالَ: أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ ... الحديث وهو متفق عليه وهذا لفظ مسلم (٩)

فالإيمان باليوم الآخر هو الركن الخامس من أركان الإيمان الذي يجب التصديق به تصديقا جازمًا، والإيمان بكل ما يتعلق به من أول الموت إلى أشراط الساعة الصغرى إلى الكبرى ثم الصعق والبعث وأهوال يوم القيامة وما يحدث فيه جملة وتفصيلا، والإيمان بما بعد يوم القيامة من جنة أعدها الله للمتقين الأبرار ونار أعدها للكفار الفجار والعصاة المذنبين.

المطلب الثاني

المراحل التي يمر بها الإنسان

يمر الإنسان بستة مراحل:

المرحلة الأولى: مرحلة العدم: وهو أن الإنسان لم يكن شيئًا فأوجده الله من عدم على حسب ما سبق في علمه سبحانه.

قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً * إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً﴾[الإنسان:١،٢]

وبداية خلق الإنسان كانت من طين ثم كان النسل من نطفة.

قال تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾[السجدة: ٧، ٨]

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَأٍ مَسْنُونٍ﴾[الحجر:٢٦]

المرحلة الثانية: وهي مرحلة الحمل في بطن الأم:

قال تعالى: ﴿ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾[الزمر: ٦]

وهذه المرحلة تمر بمراحل: روى البخاري (٣٠٨٥) ومسلم (٤٧٨١)عن عَبْدُ اللَّهِ حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺوَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ: (إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَبْعَثُ

اللَّهُ إِلَيْهِ مَلَكًا بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ فَيُكْتَبُ عَمَلُهُ وَأَجَلُهُ وَرِزْقُهُ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ ... الحديث)

المرحلة الثالثة: مرحلة الدنيا: وهي المرحلة التي عليها مدار سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة؛ لأنها مرحلة التكليف

قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[النحل:٧٨]

وقال تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً﴾[الإنسان:٣]

المرحلة الرابعة: مرحلة الحياة البرزخية

وتكون من بعد الموت إلى قيام الساعة، وهي مرحلة لا يعلم كيفيتها إلا الله سبحانه

قال تعالى: ﴿ وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[المؤمنون: ١٠٠]

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾[عبس:٢١]

المرحلة الخامسة: مرحلة البعث ويوم القيامة

وهي مرحلة الحساب وجزاء الأعمال وتطاير الصحف والموقف العظيم الذي ليس أشد منه موقف يمر على الإنسان

قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾[الزمر:٦٨]

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾[عبس:٣٣ ٣٧]

وهذه المراحل الخمسة يجمعها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمّىً ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مَنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾[الحج:٥]

المرحلة السادسة: وهي مرحلة الفصل والتي يعرف الإنسان فيها أين مصيره الأخير ؛ إما الجنة وإما النار

وهذه هي النهاية، وفيها إما أن يقول الإنسان: ﴿يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَاباً﴾[النبأ:٤٠]

وإما أن يقول: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ﴾[الأعراف: ٤٣]

المبحث الثاني

أحداث ما قبل يوم القيامة

المطلب الأول

الموت

أولاً: معناه

(١) معناه لغة: السكون وهو ضد الحياة

شرعا: هو انقطاع تعلق الروح بالبدن ومفارقتها له وحيوله بينهما وتبدل الحال وانتقال من دار إلى دار.

ثانيًا: النوم موت أصغر

قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾[الأنعام: ٦٠]

ففي النوم تقبض أرواح العباد ومن شاء الحق أن يقبض روحه في نومه أمسكها، ومن شاء بقائها ردها إلى الأجل الذي حدده الحق سبحانه

قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمّىً﴾[الزمر: ٤٢].

روى الطبراني في الأوسط (٩١٩) عن جابر بن عبد الله قال: سئل نبي الله فقيل يا رسول الله ! أينام أهل الجنة ؟

فقال رسول الله ﷺ : (النوم أخو الموت، وأهل الجنة لا ينامون) وصححه الألباني.

ثالثًا: الموت والفناء لازمان الخلق

قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ﴾[الرحمن: ٢٦:٢٧].

وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾[آل عمران:١٨٥].

روى البخاري (٦٨٣٥) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺكَانَ يَقُولُ: (أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ الَّذِي لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ الَّذِي لا يَمُوتُ وَالْجِنُّ وَالإِنْسُ يَمُوتُونَ)

رابعاً: وقت الموت من الغيب الذي استأثر الله بعلمه

قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[لقمان:٣٤]

وروى أحمد (١٤٩٩٠) عَنْ أَبِي عَزَّةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا أَرَادَ قَبْضَ رُوحِ عَبْدٍ بِأَرْضٍ جَعَلَ لَهُ فِيهَا أَوْ قَالَ بِهَا حَاجَةً) وسنده صحيح

خامساً: للموت سكرات. أي (شدة وكربة)

قال تعالى: ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾[قّ:١٩]

وروى البخاري (٦٠٢٩) عَنْ عُمَرَ بْنِ سَعِيدٍ قَالَ أَخْبَرَنِي ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ أَنَّ أَبَا عَمْرٍو ذَكْوَانَ مَوْلَى عَائِشَةَ أَخْبَرَهُ أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كَانَتْ تَقُولُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ أَوْ عُلْبَةٌ فِيهَا مَاءٌ. يَشُكُّ عُمَرُ. فَجَعَلَ يُدْخِلُ يَدَيْهِ فِي الْمَاءِ فَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ وَيَقُولُ: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ، ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ فَجَعَلَ يَقُولُ: فِي الرَّفِيقِ الأَعْلَى حَتَّى قُبِضَ وَمَالَتْ يَدُهُ)

قَالَ أَبُو عَبْد اللَّهِ [1]: الْعُلْبَةُ مِنْ الْخَشَبِ وَالرَّكْوَةُ مِنْ الأَدَمِ .

سادساً: حالة الاحتضار وحضور الملائكة

قال تعالى: ﴿ فَلَوْلا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ * وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ * وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لا تُبْصِرُونَ ﴾[الواقعة: ٨٣ .٨٥]

(١) أي البخاري رحمه الله

وقال تعالى: ﴿كَلا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ * وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ * وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ * وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ * إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾[القيامة:٢٦-٣٠]

١. حالة المؤمن والكافر عند الاحتضار

روى أحمد (١٧٨٠٣) وأبو داود (٤١٢٧) عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺفِي جِنَازَةِ رَجُلٍ مِنْ الأَنْصَارِ فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ وَلَمَّا يُلْحَدْ فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺوَجَلَسْنَا حَوْلَهُ وَكَأَنَّ عَلَى رُءُوسِنَا الطَّيْرَ وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ فِي الأَرْضِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: اسْتَعِيذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاثًا، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنْ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنْ الآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مَلائِكَةٌ مِنْ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ كَأَنَّ وُجُوهَهُمْ الشَّمْسُ مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ عَلَيْهِ السَّلام حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ اخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ قَالَ: فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السِّقَاءِ، فَيَأْخُذُهَا فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةِ مِسْكٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ

قَالَ: فَيَصْعَدُونَ بِهَا فَلا يَمُرُّونَ يَعْنِي بِهَا عَلَى مَلإٍ مِنْ الْمَلائِكَةِ إِلا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ ؟

فَيَقُولُونَ: فُلانُ بْنُ فُلانٍ بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا

حَتَّى يَنْتَهُوا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ فَيُفْتَحُ لَهُمْ فَيُشَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا ... الحديث

وقال في العبد الكافر:

قَالَ: وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنْ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنْ الآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مِنْ السَّمَاءِ مَلائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ مَعَهُمْ الْمُسُوحُ فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ اخْرُجِي إِلَى سَخَطٍ مِنْ اللَّهِ وَغَضَبٍ

قَالَ: فَتُفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُّودُ مِنْ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ، فَيَأْخُذُهَا فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنْتَنِ رِيحِ جِيفَةٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ فَيَصْعَدُونَ بِهَا فَلا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلإٍ مِنْ الْمَلائِكَةِ إِلا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الْخَبِيثُ ؟)

سابعًا: علامات حسن الخاتمة منها: (١)

١ ـ أن يموت المرء على التوحيد ليس في قلبه شرك

روى مسلم (٢٦) عَنْ عُثْمَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ)

٢ ـ أن ينطق بكلمة التوحيد عند موته

(١) لم نذكر الأدلة على كل عنصر مخافة التطويل

روى مسلم (٩١٦) عن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ)

٣ . أن يموت بعرق الجبين.

٤ . أن يموت بداء الطاعون أو بداء البطن أو تحت الهدم أو غريق أو بداء ذات الجنب.

٥ . أن يموت في ساحات القتال.

٦ . أن يموت ليلة الجمعة أو يوم الجمعة.

٧ . أن يكون آخر عمل له صالحًا.

روى أحمد (٢٢٨١٣) عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: أَسْنَدْتُ النَّبِيَّ ﷺإِلَى صَدْرِي فَقَالَ: (مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ خُتِمَ لَهُ بِهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ صَامَ يَوْمًا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ خُتِمَ لَهُ بِهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ خُتِمَ لَهُ بِهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ) (١)

ثامنًا: علامات سوء الخاتمة منها

١ . فساد الاعتقاد. ٢ .كثرة الذنوب والمعاصي والإصرار عليها.

٣ . الانهماك في مذلات الدنيا.

٥ . البعد عن الصالحين والقرب من الطالحين

(١) وسنده صحيح وقد أخرج الحارث بن أبي أسامة جزء منه (٢٥٨)

المطلب الثاني

الروح [1]

أولاً: معناها

والمقصود هنا: هي الروح التي في جسد المخلوق وإذا فارقت الجسد صار بلا حراك، وليس المقصود ما ورد في كل القرآن؛ لأن ذلك يختلف بحسب الموضع الذي ذكر فيه لفظ الروح.

قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلا قَلِيلاً﴾[الإسراء:٨٥]

روى البخاري (٤٣٥٢) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَا أَنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَرْثٍ وَهُوَ مُتَّكِئٌ عَلَى عَسِيبٍ إِذْ مَرَّ الْيَهُودُ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: سَلُوهُ عَنْ الرُّوحِ

فَقَالَ: مَا رَأْيُكُمْ إِلَيْهِ

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لا يَسْتَقْبِلُكُمْ بِشَيْءٍ تَكْرَهُونَهُ

(١) راجع في هذا المبحث كتاب (الروح لابن القيم) وكتاب (القيامة الصغرى للأشقر)

فَقَالُوا: سَلُوهُ، فَسَأَلُوهُ عَنْ الرُّوحِ ؟ فَأَمْسَكَ النَّبِيُّ ﷺفَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِمْ شَيْئًا فَعَلِمْتُ أَنَّهُ يُوحَي إِلَيْهِ فَقُمْتُ مَقَامِي فَلَمَّا نَزَلَ الْوَحْيُ قَالَ: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ الرُّوحِ قُلْ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ الْعِلْمِ إِلا قَلِيلا﴾

قال ابن القيم رحمه الله في كتاب الروح (ص: ١٦١):

أنه جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس، وهو جسم نوراني علوي خفيف حي متحرك، ينفذ في جوهر الأعضاء، ويسري فيها سريان الماء في الورد وسريان الدهن في الزيتون والنار في الفحم، فما دامت هذه الأعضاء صالحة لقبول الآثار الفائضة عليها من هذا الجسم اللطيف؛ بقي ذلك الجسم اللطيف مشابكا لهذه الأعضاء، وأفادها هذه الآثار من الحس والحركة الإرادية، وإذا فسدت هذه الأعضاء بسب استيلاء الأخلاط الغليظة عليها وخرجت عن قبول تلك الآثار؛ فارق الروح البدن وانفصل إلى عالم الأرواح.

وهذا القول هو الصواب في المسألة هو الذي لا يصح غيره وكل الأقوال سواه باطلة وعليه دل الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وأدلة العقل والفطرة ونحن نسوق الأدلة عليه على نسق واحد. أ. هـ

وساق رحمه الله أكثر من مائة دليل على صحة هذا القول فليراجعه من أراده.

ثانياً: الروح مسكنها كل الجسد

قال شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله في (الفتاوى ٣٠٢/٩):

لا اختصاص للروح بشيء من الجسد بل هي سارية في الجسد كما تسرى الحياة التي هي عرض في جميع الجسم، فإن الحياة مشروطة بالروح، فإذا كانت الروح في الجسد كان فيه حياة، وإذا فارقته الروح فارقته الحياة. أ. هـ.

ثالثاً: الروح مخلوقة بالإجماع ولكنها لا تفنى

قال تعالى: ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾[الزمر: ٦٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيميه في مجموع الفتاوى (٢٧٩/٤):

والأرواح مخلوقة بلا شك وهي لا تعدم ولا تفنى ولكن موتها مفارقة الأبدان وعند النفخة الثانية تعاد الأرواح إلى الأبدان. أ. هـ

المطلب الثالث

حياة البرزخ

أولاً : معنى البرزخ

لغة: الحاجز بين الشيئين

شرعًا: الدار التي بعد الموت إلى البعث

قال تعالى: ﴿ وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[المؤمنون: ١٠٠]

قال مجاهد: هو ما بين الموت والبعث

ثانيًا: القبر

١ . هو أول منازل الآخرة

روى الترمذي (٢٢٣٠) وابن ماجة (٤٢٥٧) وحسنه الألباني عن هَانِئ مَوْلَى عُثْمَانَ قَالَ: كَانَ عُثْمَانُ إِذَا وَقَفَ عَلَى قَبْرٍ بَكَى حَتَّى يَبُلَّ لِحْيَتَهُ فَقِيلَ لَهُ: تُذْكَرُ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ فَلا تَبْكِي؛ وَتَبْكِي مِنْ هَذَا.

فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺقَالَ: إِنَّ الْقَبْرَ أَوَّلُ مَنْزِلٍ مِنْ مَنَازِلِ الآخِرَةِ فَإِنْ نَجَا مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ.

قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَا رَأَيْتُ مَنْظَرًا قَطُّ إِلا الْقَبْرُ أَفْظَعُ مِنْهُ)

٢ . ظلمة القبر

روى البخاري (١٥٨٨) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ امْرَأَةً سَوْدَاءَ كَانَتْ تَقُمُّ الْمَسْجِدَ أَوْ شَابًّا فَفَقَدَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺفَسَأَلَ عَنْهَا أَوْ عَنْهُ

فَقَالُوا: مَاتَ

قَالَ: أَفَلا كُنْتُمْ آذَنْتُمُونِي

قَالَ: فَكَأَنَّهُمْ صَغَّرُوا أَمْرَهَا أَوْ أَمْرَهُ

فَقَالَ: دُلُّونِي عَلَى قَبْرِهِ فَدَلُّوهُ فَصَلَّى عَلَيْهَا ثُمَّ قَالَ: إِنَّ هَذِهِ الْقُبُورَ مَمْلُوءَة ظُلْمَةً عَلَى أَهْلِهَا وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُنَوِّرُهَا لَهُمْ بِصَلاتِي عَلَيْهِمْ

وروى أحمد في مسنده (٢٣١٤٨) بسند صحيح عَنْ عَائِشَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺقَالَ: (إِنَّ لِلْقَبْرِ ضَغْطَةً وَلَوْ كَانَ أَحَدٌ نَاجِيًا مِنْهَا نَجَا مِنْهَا سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ)

٣ . فتنة القبر وسؤال الملكين وعذاب القبر ونعيمه

وذلك لحديث البراء بن عازب رضي الله عنه المتقدم وأنظر لرواياته في كتاب (أحكام الجنائز ص١٩٩ للعلامة الألباني):

حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ، وَأَعِيدُوهُ إِلَى الأَرْضِ فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ، وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى

قَالَ: فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللَّهُ

فَيَقُولانِ لَهُ: مَا دِينُكَ ؟

فَيَقُولُ: دِينِيَ الإِسْلامُ

فَيَقُولانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ ؟

فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

فَيَقُولانِ لَهُ: وَمَا عِلْمُكَ ؟

فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ

فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ: أَنْ صَدَقَ عَبْدِي فَأَفْرِشُوهُ مِنْ الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنْ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ

قَالَ: فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ

قَالَ: وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ حَسَنُ الثِّيَابِ طَيِّبُ الرِّيحِ

فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ

فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ ؟

فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ

فَيَقُولُ: رَبِّ أَقِمْ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي.

وقال في العبد الكافر:

فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُّودُ مِنْ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ فَيَأْخُذُهَا فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنْتَنِ

رِيحٍ جِيفَةٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ فَيَصْعَدُونَ بِهَا فَلا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلإٍ مِنْ الْمَلائِكَةِ إلا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الْخَبِيثُ ؟

فَيَقُولُونَ: فُلانُ بْنُ فُلانٍ بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمَّى بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيُسْتَفْتَحُ لَهُ فَلا يُفْتَحُ لَهُ ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾

فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ فِي الأَرْضِ السُّفْلَى، فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحًا ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنْ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾

فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ ؟

فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لا أَدْرِي

فَيَقُولانِ لَهُ: مَا دِينُكَ ؟

فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لا أَدْرِي

فَيَقُولانِ لَهُ مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ ؟

فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لا أَدْرِي

فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنْ السَّمَاءِ: أَنْ كَذَبَ فَافْرِشُوا لَهُ مِنْ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا، وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلاعُهُ،

وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ، قَبِيحُ الثِّيَابِ، مُنْتِنُ الرِّيحِ فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُوءُكَ هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ

فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالشَّرِّ

فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ

فَيَقُولُ: رَبِّ لا تُقِمْ السَّاعَةَ)[1]

وفي رواية أبي داود (٤١٢٧) قَالَ: ثُمَّ يُقَيَّضُ لَهُ أَعْمَى أَبْكَمُ مَعَهُ مِرْزَبَّةٌ مِنْ حَدِيدٍ لَوْ ضُرِبَ بِهَا جَبَلٌ لَصَارَ تُرَابًا قَالَ فَيَضْرِبُهُ بِهَا ضَرْبَةً يَسْمَعُهَا مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِلا الثَّقَلَيْنِ فَيَصِيرُ تُرَابًا قَالَ ثُمَّ تُعَادُ فِيهِ الرُّوحُ)

فعذاب القبر ونعيمه حق لا ينكره إلا من سفه نفسه أو جحد قدرة الله تعالى.

روى البخاري (٢٠٩) ومسلم (٤٣٩) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِحَائِطٍ مِنْ حِيطَانِ الْمَدِينَةِ أَوْ مَكَّةَ فَسَمِعَ صَوْتَ إِنْسَانَيْنِ يُعَذَّبَانِ فِي قُبُورِهِمَا

فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، ثُمَّ قَالَ: بَلَى كَانَ أَحَدُهُمَا لا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ، وَكَانَ الآخَرُ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ، ثُمَّ دَعَا بِجَرِيدَةٍ فَكَسَرَهَا كِسْرَتَيْنِ فَوَضَعَ عَلَى كُلِّ قَبْرٍ مِنْهُمَا كِسْرَةً

(١) لفظ أحمد في مسنده ١٧٨٠٣

فَقِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَ فَعَلْتَ هَذَا ؟
قَالَ: لَعَلَّهُ أَنْ يُخَفَّفَ عَنْهُمَا مَا لَمْ تَيْبَسَا أَوْ إِلَى أَنْ يَيْبَسَا.

قال شارح الطحاوية (ص ٤٥٠):

وقد تواترت الأخبار عن رسول الله في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلا وسؤال الملكين، فيجب اعتقاد ثبوت ذلك الإيمان علي غير كيفية لكونه لا عهد له به في هذه الدار، والشرع لا يأتي إلا بحيلة العقول؛ بل إن الشرع قد يأتي بما تحار به العقول، فأن عودة الروح إلي الجسد ليست المعهود في الدنيا بل تعاد إليه إعادة غير الإعادة المألوفة في الدنيا. أ. هـ

واعلم أن عذاب القبر ونعيمه يكون على الروح والجسد وليس يكون على الروح فقد ولا على الجسد فقد كما يقول الملاحدة وإنما هو على الروح والجسد ولكن بكيفية لا يعلمها إلا الله لأن ذلك من أمور الغيب الذي يجب التسليم بها.

٤ . الذين أنكروا عذاب القبر ونعيمه

(أ) الفلاسفة ومن نحا نحوهم ممن ينتسبون إلى الإسلام من الزنادقة كابن سينا وغيره.

(ب) وأنكره الخوارج والمعتزلة ومن نحا نحوهم أيضا.

المطلب الرابع

من أشراط الساعة[1]

(أي أمارتها وعلاماتها)

أولاً: وقت الساعة

وهذا ما استأثر الله عز وجل بعلمه حيث قال سبحانه: ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾[لقمان: ٣٤]

وقال تعالى: ﴿ يَسْأَلُكَ النَاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيباً﴾[الأحزاب:٦٣]

وفي حديث عمر المروي في الصحيحين في سؤال جبريل النبي قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَتَى السَّاعَةُ ؟

قَالَ: مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنْ السَّائِلِ وَلَكِنْ سَأُحَدِّثُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا إِذَا وَلَدَتْ الأَمَةُ رَبَّهَا فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا وَإِذَا كَانَتْ الْعُرَاةُ الْحُفَاةُ رُءُوسَ النَّاسِ فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا وَإِذَا تَطَاوَلَ رِعَاءُ الْبَهْمِ فِي الْبُنْيَانِ فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا. ... الحديث

(١) أنظر في ذلك كتاب (النهاية في الفتن والملاحم لابن كثير) و (التذكرة للقرطبي) و(القيامة الصغرى للأشقر) و(لوامع الأنوار البهية للسفاريني) وكتب العقائد الأخرى

ثانياً: أشراط الساعة الصغرى التي وقعت وانقضت

ذكرنا أشراط الساعة الكبرى والصغرى " مع الاختصار وفق ما رتبه الدكتور سليمان الأشقر في كتابه " القيامة الصغرى " ووفق ما جاء في كتاب " لوامع الأنوار البهية " للسفاريني مع الاختصار.

١ . النبي ﷺ ووفاته

روى البخاري(٤٩٣٦) ومسلم (٢٩٥١) عن سَهْلُ بْنُ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺقَالَ: بِإِصْبَعَيْهِ هَكَذَا بِالْوُسْطَى وَالَّتِي تَلِي الإِبْهَامَ بُعِثْتُ وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ)

٢ . انشقاق القمر

وهو انشقاقه في عهد رسول الله يتحدى به المشركين

قال تعالى: ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ * وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾[القمر:٢١]

٣ . نار الحجاز التي أضاءت أعناق الإبل ببصرى

روى البخاري (٧١١٨) عن أَبُي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺقَالَ: (لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَخْرُجَ نَارٌ مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ تُضِيءُ أَعْنَاقَ الإِبِلِ بِبُصْرَى)

وهي قرية في شمال العراق بأرض حران هذا وقد تحدث ابن كثير في البداية والنهاية " (١٣ / ١٨٧) عن وقوع هذه النار سنة ٦٥٤.

ثالثاً: أشراط الساعة الصغرى التي وقعت وتكرر

١ . خروج الدجالين أدعياء النبوة

روى البخاري (٣٦٠٩) ومسلم (١٥٧) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺقَالَ: لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُبْعَثَ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ قَرِيبٌ مِنْ ثَلاثِينَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ)

وقد ظهر في عهد النبي ﷺ مسيلمة الكذاب وسجاح والأسود العنسي وظهر بعده الكثير ولا يزال بين فترة وأخرى يخرج دجال يدعي النبوة.

٢،٣،٤،٥ . ظهور الفتن، وتقارب الزمان، وكثرة الزلازل، وقبض العلم، وكثرة القتل:

روى مسلم (١١٨) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنْ الدُّنْيَا)

روى البخاري (١٠٣٦) ومسلم (١٥٧) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقْبَضَ الْعِلْمُ وَتَكْثُرَ الزَّلازِلُ وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ وَتَظْهَرَ الْفِتَنُ وَيَكْثُرَ الْهَرْجُ وَهُوَ الْقَتْلُ الْقَتْلُ حَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمْ الْمَالُ فَيَفِيض)

وروى البخاري (٨١) ومسلم (٢٦٧١) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ لأُحَدِّثَنَّكُمْ حَدِيثًا لا يُحَدِّثُكُمْ أَحَدٌ بَعْدِي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺيَقُولُ : (مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يَقِلَّ الْعِلْمُ وَيَظْهَرَ الْجَهْلُ وَيَظْهَرَ الزِّنَا وَتَكْثُرَ النِّسَاءُ وَيَقِلَّ الرِّجَالُ حَتَّى يَكُونَ لِخَمْسِينَ امْرَأَةً الْقَيِّمُ الْوَاحِدُ)

وروى أحمد (١٩١٣٩) عن أَسِيدَ بْنَ الْمُتَشَمِّسِ قَالَ: أَقْبَلْنَا مَعَ أَبِي مُوسَى مِنْ أَصْبَهَانَ فَتَعَجَّلْنَا وَجَاءَتْ عُقَيْلَةُ فَقَالَ أَبُو مُوسَى أَلا فَتًى يُنْزِلُ كَنَّتَهُ قَالَ: يَعْنِي أَمَةٌ الأَشْعَرِيَّ فَقُلْتُ: بَلَى فَأَدْنَيْتُهَا مِنْ شَجَرَةٍ فَأَنْزَلْتُهَا ثُمَّ جِئْتُ فَقَعَدْتُ مَعَ الْقَوْمِ فَقَالَ: أَلا أُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحَدِّثُنَاهُ فَقُلْنَا بَلَى يَرْحَمُكَ اللَّهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺيُحَدِّثُنَا أَنَّ بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ الْهَرْجَ

قِيلَ: وَمَا الْهَرْجُ ؟

قَالَ: الْكَذِبُ وَالْقَتْلُ

قَالُوا: أَكْثَرُ مِمَّا نَقْتُلُ الآنَ

قَالَ: إِنَّهُ لَيْسَ بِقَتْلِكُمْ الْكُفَّارَ وَلَكِنَّهُ قَتْلُ بَعْضِكُمْ بَعْضًا حَتَّى يَقْتُلَ الرَّجُلُ جَارَهُ وَيَقْتُلَ أَخَاهُ وَيَقْتُلَ عَمَّهُ وَيَقْتُلَ ابْنَ عَمِّهِ

قَالُوا: سُبْحَانَ اللَّهِ وَمَعَنَا عُقُولُنَا ؟

قَالَ: لا إِلا أَنَّهُ يَنْزِعُ عُقُولَ أَهْلِ ذَاكَ الزَّمَانِ حَتَّى يَحْسَبَ أَحَدُكُمْ أَنَّهُ عَلَى شَيْءٍ وَلَيْسَ عَلَى شَيْءٍ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ تُدْرِكَنِي

وَإِيَّاكُمْ تِلْكَ الأُمُورُ وَمَا أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مِنْهَا مَخْرَجًا فِيمَا عَهِدَ إِلَيْنَا نَبِيُّنَا ﷺإِلا أَنْ نَخْرُجَ مِنْهَا كَمَا دَخَلْنَاهَا لَمْ نُحْدِثْ فِيهَا شَيْئًا).

٦. الرجوع إلى عبادة الأوثان في قبائل من الأمة

روى أبو داود (٤٢٥٢) بإسناد صحيح عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:٠٠٠وَإِذَا وُضِعَ السَّيْفُ فِي أُمَّتِي لَمْ يُرْفَعْ عَنْهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَلا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَلْحَقَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ وَحَتَّى تَعْبُدَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي الأَوْثَانَ وَإِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ ثَلاثُونَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لا نَبِيَّ بَعْدِي وَلا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ)

٧ . إسناد الأمر لغير أهله

وذلك بتول أمور العباد السفهاء الذين لا يعرفون غير شهواتهم وملذاتهم أو يتولى من ليس له شأن في ذلك.

روى البخاري (٥٩) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ فِي مَجْلِسٍ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ ؟

فَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحَدِّثُ فَقَالَ: بَعْضُ الْقَوْمِ سَمِعَ مَا قَالَ فَكَرِهَ مَا قَالَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ لَمْ يَسْمَعْ

حَتَّى إِذَا قَضَى حَدِيثَهُ قَالَ: أَيْنَ أُرَاهُ السَّائِلُ عَنْ السَّاعَةِ ؟

قَالَ: هَا أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ

قَالَ: فَإِذَا ضُيِّعَتْ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرْ السَّاعَةَ

قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا ؟

قَالَ: إِذَا وُسِّدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرْ السَّاعَة)

٨، ٩ . ولادة الأمة ربتها، وتطاول الحفاة العراة رعاة الشاة في البنيان:

ففي حديث عمر بن الخطاب عندما سأل جبريل عليه السلام النبي ﷺ عن الساعة قَالَ: مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنْ السَّائِلِ وَلَكِنْ سَأُحَدِّثُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا إِذَا وَلَدَتْ الأَمَةُ رَبَّهَا فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا وَإِذَا كَانَتْ الْعُرَاةُ الْحُفَاةُ رُءُوسَ النَّاسِ فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا وَإِذَا تَطَاوَلَ رِعَاءُ الْبَهْمِ فِي الْبُنْيَانِ فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا. ... الحديث

١٠ . استفاضة المال وكثرته

روى البخاري (١٤١٢) مسلم (١٥٧) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمْ الْمَالُ فَيَفِيضَ حَتَّى يُهِمَّ رَبَّ الْمَالِ مَنْ يَقْبَلُ صَدَقَتَهُ وَحَتَّى يَعْرِضَهُ فَيَقُولَ الَّذِي يَعْرِضُهُ عَلَيْهِ لا أَرَبَ لِي.)

١١،١٢ . شرطة أخر الزمان، والنساء الكاسيات العاريات

روى مسلم (٢١٢٨) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلاتٌ مَائِلاتٌ رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ

الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ لا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلا يَجِدْنَ رِيحَهَا وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا)

وروى مسلم (٢٨٥٧) عن عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَافِعٍ مَوْلَى أُمِّ سَلَمَةَ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولا([1]) سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (إِنْ طَالَتْ بِكَ مُدَّةٌ أَوْشَكْتَ أَنْ تَرَى قَوْمًا يَغْدُونَ فِي سَخَطِ اللَّهِ وَيَرُوحُونَ فِي لَعْنَتِهِ فِي أَيْدِيهِمْ مِثْلُ أَذْنَابِ الْبَقَرِ)

روى أحمد (٢١٦٤٦) عنَ أَبِي أُمَامَةَ ذَكَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (يَكُونُ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ رِجَالٌ أَوْ قَالَ يَخْرُجُ رِجَالٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ مَعَهُمْ أَسْيَاطٌ كَأَنَّهَا أَذْنَابُ الْبَقَرِ يَغْدُونَ فِي سَخَطِ اللَّهِ وَيَرُوحُونَ فِي غَضَبِهِ) وصححه الألباني

١٣ . تمني الموت لكثرة الفتن

روى البخاري (٧١١٥) ومسلم (١٥٧) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي مَكَانَهُ)

١٤ . ظهور حياة الترف في الأمة

(١) أي أبي هريرة وأم سلمة رضي الله عنهما

روى الترمذي (٢٢٦١) بسند صحيح عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِذَا مَشَتْ أُمَّتِي بِالْمُطَيْطِيَاءِ وَخَدَمَهَا أَبْنَاءُ الْمُلُوكِ أَبْنَاءُ فَارِسَ وَالرُّومِ سُلِّطَ شِرَارُهَا عَلَى خِيَارِهَا)

١٥ . ظهور وسائل النقل الحديثة

روى ابن أحمد (٧٠٤٣) عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (سَيَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي رِجَالٌ يَرْكَبُونَ عَلَى السُّرُوجِ كَأَشْبَاهِ الرِّجَالِ يَنْزِلُونَ عَلَى أَبْوَابِ الْمَسْجِدِ نِسَاؤُهُمْ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ عَلَى رُءُوسِهِمْ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْعِجَافِ، الْعَنُوهُنَّ فَإِنَّهُنَّ مَلْعُونَاتٌ، لَوْ كَانَتْ وَرَاءَكُمْ أُمَّةٌ مِنْ الأُمَمِ لَخَدَمْنَ نِسَاؤُكُمْ نِسَاءَهمْ كَمَا يَخْدِمْنَكُمْ نِسَاءُ الأُمَمِ قَبْلَكُمْ)وحسنه الألباني

١٦ . حصار العراق والشام

روى مسلم (٢٩١٣) عَنْ أَبِي نَضْرَةَ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ فَقَالَ: يُوشِكُ أَهْلُ الْعِرَاقِ أَنْ لا يُجْبَى إِلَيْهِمْ قَفِيزٌ وَلا دِرْهَمٌ

قُلْنَا: مِنْ أَيْنَ ذَاكَ ؟

قَالَ: مِنْ قِبَلِ الْعَجَمِ يَمْنَعُونَ ذَاكَ، ثُمَّ قَالَ يُوشِكُ أَهْلُ الشَّأْمِ أَنْ لا يُجْبَى إِلَيْهِمْ دِينَارٌ وَلا مُدْيٌ

قُلْنَا: مِنْ أَيْنَ ذَاكَ

قَالَ: مِنْ قِبَلِ الرُّومِ

ثُمَّ سَكَتَ هُنَيَّةً ثُمَّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي خَلِيفَةٌ يَحْثِي الْمَالَ حَثْيًا لا يَعُدُّهُ عَدَدًا)

١٧،١٨،١٩،٢٠،٢١،٢٢ . فشو التجارة، وتسليم الخاصة، وقطع الأرحام، وشهادة الزور، وكتمان الحق، وظهور أقلام الضلال:

روى أ حمد في مسنده (٣٨٦٠) بإسناد صحيح عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ قَالَ كُنَّا عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ جُلُوسًا فَجَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ: قَدْ أُقِيمَتْ الصَّلاةُ فَقَامَ وَقُمْنَا مَعَهُ فَلَمَّا دَخَلْنَا الْمَسْجِدَ رَأَيْنَا النَّاسَ رُكُوعًا فِي مُقَدَّمِ الْمَسْجِدِ فَكَبَّرَ وَرَكَعَ وَرَكَعْنَا ثُمَّ مَشَيْنَا وَصَنَعْنَا مِثْلَ الَّذِي صَنَعَ فَمَرَّ رَجُلٌ يُسْرِعُ فَقَالَ: عَلَيْكَ السَّلامُ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ

فَقَالَ: صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ

فَلَمَّا صَلَّيْنَا وَرَجَعْنَا دَخَلَ إِلَى أَهْلِهِ جَلَسْنَا فَقَالَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ: أَمَا سَمِعْتُمْ رَدَّهُ عَلَى الرَّجُلِ صَدَقَ اللَّهُ وَبَلَّغَتْ رُسُلُهُ أَيُّكُمْ يَسْأَلُهُ

فَقَالَ طَارِقٌ: أَنَا أَسْأَلُهُ فَسَأَلَهُ حِينَ خَرَجَ فَذَكَرَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ تَسْلِيمَ الْخَاصَّةِ وَفُشُوَّ التِّجَارَةِ حَتَّى تُعِينَ الْمَرْأَةُ زَوْجَهَا عَلَى التِّجَارَةِ وَقَطْعَ الأَرْحَامِ وَشَهَادَةَ الزُّورِ وَكِتْمَانَ شَهَادَةِ الْحَقِّ وَظُهُورَ الْقَلَمِ)

٢٣. تقارب الأسواق

روى أحمد في مسنده (١٠٣٤٦) بسند صحيح عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَظْهَرَ الْفِتَنُ وَيَكْثُرَ الْكَذِبُ وَيَتَقَارَبَ الأَسْوَاقُ وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ وَيَكْثُرَ الْهَرْجُ قِيلَ وَمَا الْهَرْجُ قَالَ الْقَتْلُ)

٢٤ . تباهي الناس ببناء المساجد:

وروى الإمام أحمد في مسنده (١١٩٧١) وأبوداود (٤٤٩) والنسائي (٦٨٢) عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَتَبَاهَى النَّاسُ فِي الْمَسَاجِدِ)

وهناك علامات أخرى كثيرة وقعت تركنا ذكرها خوف الإطالة

رابعاً: العلامات الصغرى التي لم تقع

وهي إما علامات للعلامات الكبرى أو أحداث بين العلامات الكبرى:

(١) عودة جزيرة العرب جنات وأنهاراً

روى مسلم (١٥٧) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكْثُرَ الْمَالُ وَيَفِيضَ حَتَّى يَخْرُجَ الرَّجُلُ بِزَكَاةِ مَالِهِ فَلا يَجِدُ أَحَدًا يَقْبَلُهَا مِنْهُ وَحَتَّى تَعُودَ أَرْضُ الْعَرَبِ مُرُوجًا وَأَنْهَارًا)

(٢، ٣،٤، ٥) تكليم السباع الإنس، وعزبة السوط، وشراك النعل، وفخذ الإنسان:

روى أحمد في مسنده (١١٣٨٣) والترمذي في سننه (٢١٨١) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُكَلِّمَ السِّبَاعُ الإِنْسَ وَحَتَّى تُكَلِّمَ الرَّجُلَ عَذَبَةُ سَوْطِهِ وَشِرَاكُ نَعْلِهِ وَتُخْبِرَهُ فَخِذُهُ بِمَا أَحْدَثَ أَهْلُهُ مِنْ بَعْدِهِ) وسنده صحيح

وهذه العلامات هي بين العلامات الكبرى.

إنحسار الفرات عن حبل من ذهب

روى مسلم في صحيحه(٢٨٩٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺقَالَ: (لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَحْسِرَ الْفُرَاتُ عَنْ جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ يَقْتَتِلُ النَّاسُ عَلَيْهِ فَيُقْتَلُ مِنْ كُلِّ مِائَةٍ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ وَيَقُولُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ لَعَلِّي أَكُونُ أَنَا الَّذِي أَنْجُو)

قال السفاريني رحمه الله: وهذه علامة على ظهور المهدي المنتظر.

(٢) إحراز الجهجاه الملك والقحطاني

روى البخاري (٣٥١٧) ومسلم (٢٩١٠) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺقَالَ: (لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ رَجُلٌ مِنْ قَحْطَانَ يَسُوقُ النَّاسَ بِعَصَاهُ)

وروى مسلم (٢٩١١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ لا تَذْهَبُ الأَيَّامُ وَاللَّيَالِي حَتَّى يَمْلِكَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ الْجَهْجَاهُ)

والجهجاه رجل من الموالي والقحطاني من الأحرار وهذان إما أن يكونا بعد نزول عيسى وإما في عصره.

(٢) خروج المهدي [١]

وهو رجل من بيت النبوة ينتهي نسبه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، اسمه محمد بن عبد الله يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً، ويصير خليفة للمسلمين، ويصلي بالمسلمين في بيت المقدس، ويصلي خلفه عيسى بن مريم عليه السلام، والأحاديث التي وردت في المهدي متواترة المعنى كما قال كثير من أهل العلم.

روى أحمد (٤٢٦٧) أبو داود (٤٢٨٢) والترمذي(٢٢٣٠) وصححه الألباني عَنْ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ النَّبِيِّ ﷺقَالَ: (لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنْ الدُّنْيَا إِلا يَوْمٌ لَطَوَّلَ اللَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ حَتَّى يَبْعَثَ فِيهِ رَجُلا مِنِّي أَوْ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي وَاسْمُ أَبِيهِ اسْمُ أَبِي يَمْلأُ الأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلا كَمَا مُلِئَتْ ظُلْمًا وَجَوْرًا) لفظ أبي داود

(١) أنظر في ذلك كتاب (المهدي بين الحقيقة والخرافة) للشيخ محمد إسماعيل المقدم

وروى أبي داود(٤٢٨٤) وأبي ماجة(٤٠٨٦) عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺيَقُولُ: (الْمَهْدِيُّ مِنْ عِتْرَتِي مِنْ وَلَدِ فَاطِمَةَ) صححه الألباني .

(**تنبيه**) لم نذكر كل علامات الساعة الصغرى إنما ذكرنا المهم فيها ومن أراد الزيادة فليرجع إلى كتاب علامات الساعة الصغرى للأشقر وفتح الباري للحافظ بن حجر كتاب الفتن ولوامع الأنوار البهية للسفاريني.

(**تنبيه آخر**): **عمر الأمة** من المعلوم أن عمر كل أمة منذ بعثة نبيها إلى بعثة النبي الآخر، وأما هذه الأمة فنهايتها هو فناء المؤمنين ولا يبقي إلا شرار الخلق، هذا وقد ورد في أحاديث عن النبي ﷺ: ينبه عن عمر هذه الأمة وهو منذ بعثة النبي ﷺ وحتى خروج ريح طيبة تقبض روح كل مؤمن ولا يبقى في الأرض إلا شرار الناس روى البخاري في صحيحه (٣٤٥٩) عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺقَالَ: (إِنَّمَا أَجَلُكُمْ فِي أَجَلِ مَنْ خَلا مِنْ الأُمَمِ مَا بَيْنَ صَلاةِ الْعَصْرِ إِلَى مَغْرِبِ الشَّمْسِ وَإِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَمَثَلُ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى كَرَجُلٍ اسْتَعْمَلَ عُمَّالا فَقَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ عَلَى قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ فَعَمِلَتْ الْيَهُودُ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ عَلَى قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ، ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ إِلَى صَلاةِ الْعَصْرِ عَلَى قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ فَعَمِلَتْ النَّصَارَى مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ إِلَى صَلاةِ الْعَصْرِ عَلَى قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ، ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ صَلاةِ الْعَصْرِ إِلَى مَغْرِبِ الشَّمْسِ عَلَى قِيرَاطَيْنِ قِيرَاطَيْنِ أَلا فَأَنْتُمْ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ مِنْ صَلاةِ الْعَصْرِ إِلَى مَغْرِبِ الشَّمْسِ عَلَى قِيرَاطَيْنِ قِيرَاطَيْنِ أَلا

لَكُمْ الأَجْرُ مَرَّتَيْنِ فَغَضِبَتْ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى فَقَالُوا: نَحْنُ أَكْثَرُ عَمَلا وَأَقَلُّ عَطَاءً !

قَالَ اللَّهُ: هَلْ ظَلَمْتُكُمْ مِنْ حَقِّكُمْ شَيْئًا ؟

قَالُوا: لا

قَالَ: فَإِنَّهُ فَضْلِي أُعْطِيهِ مَنْ شِئْتُ.)

قال الحافظ بن حجر في فتح الباري (٤ / ٤٤٩): واستدل به . أي بالحديث . على أن بقاء هذه الأمة (أمة الإسلام) يزيد على الألف لأنه يقتضي أن مدة اليهود نظير مدتي النصارى والمسلمين ، وقد اتفق أهل النقل على أن مدة اليهود إلى بعثة النبي ﷺ كانت أكثر من ألفي سنة، ومدة النصارى من ذلك ستمائة. أ . هـ

وقال أيضاً: وتضمن الحديث قصر المدة التي بقيت من الدنيا. أ . هـ

وروى البخاري في صحيحه (٣٩٤٨) عَنْ سَلْمَانَ قَالَ فَتْرَةٌ بَيْنَ عِيسَى وَمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمَا وَسَلَّمَ سِتُّ مِائَةِ سَنَةٍ.

فالذي دلت عليه الآثار أن مدة هذه الأمة تزيد على الألف ولا تبلغ الزيادة خمسمائة أصلاً. أ. هـ.

والله أعلم، فإن ذلك في علم الله تعالى، ولكن دلت الآيات والأحاديث على أنه لم يبق من عمر الأمة إلا القليل

خامسًا: علامات الساعة الكبرى

وهي جاء أكثر في حديث رواة مسلم في صحيحه (٢٩٠١) عَنْ أَبِي سَرِيحَةَ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ فِي غُرْفَةٍ وَنَحْنُ أَسْفَلَ مِنْهُ فَاطَّلَعَ إِلَيْنَا فَقَالَ: مَا تَذْكُرُونَ ؟

قُلْنَا: السَّاعَةَ

قَالَ: إِنَّ السَّاعَةَ لا تَكُونُ حَتَّى تَكُونَ عَشْرُ آيَاتٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَالدُّخَانُ، وَالدَّجَّالُ، وَدَابَّةُ الأَرْضِ، وَيَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ، وَطُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قُعْرَةِ عَدَنٍ تَرْحَلُ النَّاسَ).

(١) فتنة الدجال

قال السفاريني:

وما أدراك ما الدجال منبع؛ الضلال وينبوع الفتن والأوحال ، وقد أنذرت به الأنبياء قومها وحذرت منه أممها، ونعتته بالنعوت الظاهرة، ووصفته بالأوصاف الباهرة، وحذر منها المصطفى وأنذر ونتعه لأمته ونعوت لا تخف على ذي بصر. أ. هـ

روى البخاري (٧١٣١) ومسلم (٢٩٣٣) عن أَنَس بْنَ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلا وَقَدْ أَنْذَرَ أُمَّتَهُ الأَعْوَرَ الْكَذَّابَ أَلا إِنَّهُ أَعْوَرُ وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ وَمَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ك ف ر.)

وروى مسلم في صحيحه (٢٨٩٧) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺقَالَ: لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزِلَ الرُّومُ بِالأَعْمَاقِ أَوْ بِدَابِقٍ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ مِنْ الْمَدِينَةِ مِنْ خِيَارِ أَهْلِ الأَرْضِ يَوْمَئِذٍ، فَإِذَا تَصَافُّوا قَالَتْ الرُّومُ: خَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الَّذِينَ سَبَوْا مِنَّا نُقَاتِلْهُمْ

فَيَقُولُ الْمُسْلِمُونَ: لا وَاللَّهِ لا نُخَلِّي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا. فَيُقَاتِلُونَهُمْ فَيَنْهَزِمُ ثُلُثٌ لا يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَبَدًا، وَيُقْتَلُ ثُلُثُهُمْ أَفْضَلُ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ اللَّهِ، وَيَفْتَتِحُ الثُّلُثُ لا يُفْتَنُونَ أَبَدًا فَيَفْتَتِحُونَ قُسْطَنْطِينِيَّةَ فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْغَنَائِمَ قَدْ عَلَّقُوا سُيُوفَهُمْ بِالزَّيْتُونِ إِذْ صَاحَ فِيهِمْ الشَّيْطَانُ: إِنَّ الْمَسِيحَ قَدْ خَلَفَكُمْ فِي أَهْلِيكُمْ فَيَخْرُجُونَ وَذَلِكَ بَاطِلٌ، فَإِذَا جَاءُوا الشَّأْمَ خَرَجَ، فَبَيْنَمَا هُمْ يُعِدُّونَ لِلْقِتَالِ يُسَوُّونَ الصُّفُوفَ إِذْ أُقِيمَتْ الصَّلاةُ فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﷺفَأَمَّهُمْ، فَإِذَا رَآهُ عَدُوُّ اللَّهِ ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ فَلَوْ تَرَكَهُ لانْذَابَ حَتَّى يَهْلِكَ؛ وَلَكِنْ يَقْتُلُهُ اللَّهُ بِيَدِهِ فَيُرِيهِمْ دَمَهُ فِي حَرْبَتِهِ.)

قال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ في شرح مسلم (١٨/ ٥٨):

قال القاضي: في الأحاديث التي ذكرها مسلم وغيره في قصة الدجال حجة لمذهب أهل الحق في صحة وجوده، وأنه شخص بعينه ابتلى الله به عباده، وأقدره على أشياء من مقدورات الله سبحانه وتعالى من إحياء الميت الذي يقتله، ومن ظهور زهرة الدنيا والخصب معه وجنته وناره، ونهريه، واتباع كنوز

الأرض له، وأمره السماء أن تمطر فتمطر، والأرض أن تنبت فتنبت، فيقع كل ذلك بقدرة الله سبحانه وتعالى ومشيئة ثم يعجزه الله سبحانه وتعالى بعد ذلك فلا يقدر قتل ذلك الرجل ولا غيره، ويبطل أمره، ويقتله عيسى عليه السلام، ويثبت الله الذين آمنوا.

هذا مذهب أهل السنة وجميع المحدثين والفقهاء والنظار خلافًا لمن أنكره وأبطل أمره من الخوارج والجهمية وبعض المعتزلة و، وخلافًا للبخاري المعتزلي وموافقيه من الجهمية وغيرهم في أنه صحيح الوجود؛ ولكن الذي يدعي مخارف وخيالات لا حقائق لها، وزعموا أنه لو كان حقا لم يوثق بمعجزات الأنبياء . صلوات الله وسلامه عليهم .

وهذا غلط من جميعهم؛ لأنه لم يدع النبوة فيكون ما معه كالتصديق له؛ وإنما يدعي الألوهية وهو في نفس دعواه مكذب لها بصورة حالة ووجوب دلائل الحدوث فيه، ونقص صورته وعجزه عن إزالة العور الذي في عينيه وعن إزالة الشاهد بكفره المكتوب بين عينيه، ولهذه الدلائل وغيرها لا يغتر به إلا رعاع من الناس لسد الحاجة والفاقة رغبة في سد الرمق أو تقيه وخوفا من آذاه لأنه فتنة عظيمة جدًا تدهش العقول وتحير الألباب مع سرعة مروره في الأرض فلا يمكث بحيث يتأمل الضعفاء حاله ودلائل الحدوث فيه والنقص فيصدقه من صدقه في هذه الحالة، ولهذا حذرت انبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

من فتنته ونبهوا على نقص ودلائل إبطاه، وأما أهل التوفيق فلا يغترون به ولا ينخدعون لما معه لما ذكرناه من الدلائل المكذبة له مع ما سبق لهم من العلم بحاله، ولهذا يقول له الذي يقتله ثم يحييه: ما ازددت فيك إلا بصيرة . هذا آخر كلام القاضي رحمه الله.. أهـ[1]

٢. نزول نبي الله عيسى بن مريم . عليه السلام .

ويكون حكمًا عدلاً يحكم بالإسلام ويقتل الدجال ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية.(أي لا يقبلها)

روى مسلم (١٥٥) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (وَاللَّهِ لَيَنْزِلَنَّ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَادِلا فَلَيَكْسِرَنَّ الصَّلِيبَ وَلَيَقْتُلَنَّ الْخِنْزِيرَ وَلَيَضَعَنَّ الْجِزْيَةَ وَلَتُتْرَكَنَّ الْقِلاصُ فَلا يُسْعَى عَلَيْهَا وَلَتَذْهَبَنَّ الشَّحْنَاءُ وَالتَّبَاغُضُ وَالتَّحَاسُدُ وَلَيَدْعُوَنَّ إِلَى الْمَالِ فَلا يَقْبَلُهُ أَحَدٌ،)

القلاص: الفتية من الإبل

وروى أبو داود في سننه (٤٣٢٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ يَعْنِي عِيسَى، وَإِنَّهُ نَازِلٌ فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَاعْرِفُوهُ رَجُلٌ مَرْبُوعٌ إِلَى

(١) ذكر بعض العقلانيين (المجانين) إلى أن الدجال هو التقدم الحضاري الذي يزحف فيحير عقول الناس، وهذا من التكذيب لحديث النبيﷺ وتفسيره على حسب الهوى

الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ بَيْنَ مُمَصَّرَتَيْنِ كَأَنَّ رَأْسَهُ يَقْطُرُ وَإِنْ لَمْ يُصِبْهُ بَلَلٌ، فَيُقَاتِلُ النَّاسَ عَلَى الإِسْلامِ فَيَدُقُّ الصَّلِيبَ وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ وَيُهْلِكُ اللَّهُ فِي زَمَانِهِ الْمِلَلَ كُلَّهَا إِلا الإِسْلامَ وَيُهْلِكُ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ أَرْبَعِينَ سَنَةً ثُمَّ يُتَوَفَّى فَيُصَلِّي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ.) وصححه الألباني

وروى أحمد (٩٣٤٩) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (الأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلاتٍ؛ دِينُهُمْ وَاحِدٌ وَأُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى، وَأَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ لأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ، وَإِنَّهُ نَازِلٌ فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَاعْرِفُوهُ فَإِنَّهُ رَجُلٌ مَرْبُوعٌ إِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ سَبْطٌ كَأَنَّ رَأْسَهُ يَقْطُرُ وَإِنْ لَمْ يُصِبْهُ بَلَلٌ بَيْنَ مُمَصَّرَتَيْنِ، فَيَكْسِرُ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ، وَيُعَطِّلُ الْمِلَلَ؛ حَتَّى يُهْلِكَ اللَّهُ فِي زَمَانِهِ الْمِلَلَ كُلَّهَا غَيْرَ الإِسْلامِ، وَيُهْلِكُ اللَّهُ فِي زَمَانِهِ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ الْكَذَّابَ، وَتَقَعُ الأَمَنَةُ فِي الأَرْضِ حَتَّى تَرْتَعَ الإِبِلُ مَعَ الأُسْدِ جَمِيعًا وَالنُّمُورُ مَعَ الْبَقَرِ، وَالذِّئَابُ مَعَ الْغَنَمِ، وَيَلْعَبَ الصِّبْيَانُ وَالْغِلْمَانُ بِالْحَيَّاتِ لا يَضُرُّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا فَيَمْكُثُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَمْكُثَ ثُمَّ يُتَوَفَّى فَيُصَلِّيَ عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ وَيَدْفِنُونَهُ.) وصححه الحافظ وأقره الألباني

٣- خروج يأجوج ومأجوج

وهم خلق من خلق الله كثيرون، مفسدون حيثما حلو بمكان، أخبر الله عز وجل عنهم في كتابه حيث مكن ذا القرنين من عمل سد بينهم وبين

الناس [1]، قال تعالى: ﴿ قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ﴾[الكهف: ٩٤]

وقال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾[الأنبياء:٩٦]

وروى مسلم (٢٩٣٧) عَنْ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ قَالَ: (ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الدَّجَّالَ ذَاتَ غَدَاةٍ فَخَفَّضَ فِيهِ وَرَفَّعَ حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ فَلَمَّا رُحْنَا إِلَيْهِ عَرَفَ ذَلِكَ فِينَا فَقَالَ: مَا شَأْنُكُمْ ؟

قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَكَرْتَ الدَّجَّالَ غَدَاةً فَخَفَّضْتَ فِيهِ وَرَفَّعْتَ حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ !

: غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِي عَلَيْكُمْ؛ إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ، وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ، وَاللَّهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، إِنَّهُ شَابٌّ قَطَطٌ عَيْنُهُ طَافِئَةٌ كَأَنِّي أُشَبِّهُهُ بِعَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قَطَنٍ، فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ، إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً بَيْنَ الشَّأْمِ وَالْعِرَاقِ فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالا يَا عِبَادَ اللَّهِ فَاثْبُتُوا

قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا لَبْثُهُ فِي الأَرْضِ ؟

(١) ذكر بعض المعاصرين أنهم هم الصين الآن؛ وهذا لا دليل عليه غير محض التخمين

قَالَ أَرْبَعُونَ يَوْمًا يَوْمٌ كَسَنَةٍ، وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ.

قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَسَنَةٍ أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلاةُ يَوْمٍ ؟

قَالَ: لا اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ.

قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الأَرْضِ ؟

قَالَ: كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ فَيَأْتِي عَلَى الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ فَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ وَالأَرْضَ فَتُنْبِتُ فَتَرُوحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرًا وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ، ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ فَيَدْعُوهُمْ فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ فَيُصْبِحُونَ مُمْحِلِينَ لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَيَمُرُّ بِالْخَرِبَةِ فَيَقُولُ لَهَا أَخْرِجِي كُنُوزَكِ فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ النَّحْلِ، ثُمَّ يَدْعُو رَجُلا مُمْتَلِئًا شَبَابًا فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ فَيَقْطَعُهُ جَزْلَتَيْنِ رَمْيَةَ الْغَرَضِ ثُمَّ يَدْعُوهُ فَيُقْبِلُ وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ يَضْحَكُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ، فَلا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلا مَاتَ، وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ، فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ فَيَقْتُلُهُ، ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللَّهُ مِنْهُ فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَى عِيسَى إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي لا يَدَانِ

لأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ، فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ وَيَبْعَثُ اللَّهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ: لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ

وَيُحْصَرُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لأَحَدِكُمْ الْيَوْمَ فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ فَيُرْسِلُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ النَّغَفَ فِي رِقَابِهِمْ فَيُصْبِحُونَ فَرْسَى كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى الأَرْضِ فَلا يَجِدُونَ فِي الأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلا مَلأَهُ زَهَمُهُمْ وَنَتْنُهُمْ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللَّهِ فَيُرْسِلُ اللَّهُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ مَطَرًا لا يَكُنُّ مِنْهُ بَيْتُ مَدَرٍ وَلا وَبَرٍ فَيَغْسِلُ الأَرْضَ حَتَّى يَتْرُكَهَا كَالزَّلَفَةِ، ثُمَّ يُقَالُ لِلأَرْضِ: أَنْبِتِي ثَمَرَتَكِ وَرُدِّي بَرَكَتَكِ. فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ مِنْ الرُّمَّانَةِ وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا وَيُبَارَكُ فِي الرِّسْلِ حَتَّى أَنَّ اللِّقْحَةَ مِنْ الإِبِلِ لَتَكْفِي الْفِئَامَ مِنْ النَّاسِ، وَاللِّقْحَةَ مِنْ الْبَقَرِ لَتَكْفِي الْقَبِيلَةَ مِنْ النَّاسِ، وَاللِّقْحَةَ مِنْ الْغَنَمِ لَتَكْفِي الْفَخِذَ مِنْ النَّاسِ .... الحديث)

وروى أحمد (١١٣٢٣) وابن ماجة (٤٠٧٩) بسند حسن: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (يُفْتَحُ يَأْجُوجُ وَمأْجُوجُ يَخْرُجُونَ

عَلَى النَّاسِ كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾[1] فَيَغْشَوْنَ الأَرْضَ، وَيَنْحَازُ الْمُسْلِمُونَ عَنْهُمْ إِلَى مَدَائِنِهِمْ وَحُصُونِهِمْ وَيَضُمُّونَ إِلَيْهِمْ مَوَاشِيَهُمْ وَيَشْرَبُونَ مِيَاهَ الأَرْضِ حَتَّى إِنَّ بَعْضَهُمْ لَيَمُرُّ بِالنَّهَرِ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهِ حَتَّى يَتْرُكُوهُ يَبَسًا حَتَّى إِنَّ مَنْ بَعْدَهُمْ لَيَمُرُّ بِذَلِكَ النَّهَرِ فَيَقُولُ قَدْ كَانَ هَاهُنَا مَاءٌ مَرَّةً حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ مِنْ النَّاسِ إلا أَحَدٌ فِي حِصْنٍ أَوْ مَدِينَةٍ قَالَ قَائِلُهُمْ: هَؤُلاءِ أَهْلُ الأَرْضِ قَدْ فَرَغْنَا مِنْهُمْ بَقِيَ أَهْلُ السَّمَاءِ.

قَالَ: ثُمَّ يَهُزُّ أَحَدُهُمْ حَرْبَتَهُ ثُمَّ يَرْمِي بِهَا إِلَى السَّمَاءِ فَتَرْجِعُ مُخْتَضِبَةً دَمًا لِلْبَلاءِ وَالْفِتْنَةِ، فَبَيْنَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ دُودًا فِي أَعْنَاقِهِمْ كَنَغَفِ[2] الْجَرَادِ الَّذِي يَخْرُجُ فِي أَعْنَاقِهِمْ، فَيُصْبِحُونَ مَوْتَى لا يُسْمَعُ لَهُمْ حِسًّا.

فَيَقُولُ الْمُسْلِمُونَ: أَلا رَجُلٌ يَشْرِي نَفْسَهُ فَيَنْظُرَ مَا فَعَلَ هَذَا الْعَدُوُّ ؟

قَالَ: فَيَتَجَرَّدُ رَجُلٌ مِنْهُمْ لِذَلِكَ مُحْتَسِبًا لِنَفْسِهِ قَدْ أَظَنَّهَا عَلَى أَنَّهُ مَقْتُولٌ فَيَنْزِلُ فَيَجِدُهُمْ مَوْتَى بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، فَيُنَادِي: يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ أَلا أَبْشِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ كَفَاكُمْ عَدُوَّكُمْ، فَيَخْرُجُونَ مِنْ مَدَائِنِهِمْ وَحُصُونِهِمْ، وَيُسَرِّحُونَ مَوَاشِيَهُمْ فَمَا يَكُونُ لَهَا رَعْيٌ إِلا لُحُومُهُمْ فَتَشْكَرُ عَنْهُ كَأَحْسَنِ مَا تَشْكَرُ عَنْ شَيْءٍ مِنْ النَّبَاتِ أَصَابَتْهُ قَطُّ)

(١) الحدب: المكان المرتفع، ينسلون: يخرجون

(٢) النغف: دود يكون في أنوف الإبل والغنم

(٤) دروس الإسلام ورفع القرآن

روى ابن ماجة (٤٠٤٩) والحاكم بإسناد صحيح عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يَدْرُسُ الإِسْلامُ كَمَا يَدْرُسُ وَشْيُ الثَّوْبِ؛ حَتَّى لا يُدْرَى مَا صِيَامٌ وَلا صَلاةٌ وَلا نُسُكٌ وَلا صَدَقَةٌ، وَلَيُسْرَى عَلَى كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي لَيْلَةٍ فَلا يَبْقَى فِي الأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ، وَتَبْقَى طَوَائِفُ مِنْ النَّاسِ الشَّيْخُ الْكَبِيرُ وَالْعَجُوزُ يَقُولُونَ أَدْرَكْنَا آبَاءَنَا عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ فَنَحْنُ نَقُولُهَا

فَقَالَ لَهُ صِلَةُ: مَا تُغْنِي عَنْهُمْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَهُمْ لا يَدْرُونَ مَا صَلاةٌ وَلا صِيَامٌ وَلا نُسُكٌ وَلا صَدَقَةٌ ؟

فَأَعْرَضَ عَنْهُ حُذَيْفَةُ، ثُمَّ رَدَّهَا عَلَيْهِ ثَلاثًا، كُلَّ ذَلِكَ يُعْرِضُ عَنْهُ حُذَيْفَةُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ فِي الثَّالِثَةِ فَقَالَ: يَا صِلَةُ تُنْجِيهِمْ مِنْ النَّارِ ثَلاثًا.)

(٥) هدم الكعبة على يد ذي السويقتين

وسمي ذو السويقتين لصغر ساقيه ودقتها روى البخاري (١٥٩١) ومسلم (٢٩٠٩) في صحيحه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (يُخَرِّبُ الْكَعْبَةَ ذُو السُّوَيْقَتَيْنِ مِنْ الْحَبَشَةِ)

وروى البخاري في صحيحه (١٥٩٥) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (كَأَنِّي بِهِ أَسْوَدَ أَفْحَجَ يَقْلَعُهَا حَجَرًا حَجَرًا.)

(٦) خروج الدابة التي تكلم الناس

وهي آية من آيات الله تخرج عندما يكثر الشر ويعم ويقل الخير

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لا يُوقِنُونَ﴾[النمل:٨٢]

وروى أحمد في مسنده (٢١٨٠٥) والبخاري في " التاريخ الكبير " وأبو نعيم في "أخبار أصبهان " بإسناد حسن عَنْ أَبِي أُمَامَةَ يَرْفَعُهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (تَخْرُجُ الدَّابَّةُ فَتَسِمُ النَّاسَ عَلَى خَرَاطِيمِهِمْ ثُمَّ يَعْمُرُونَ فِيكُمْ حَتَّى يَشْتَرِيَ الرَّجُلُ الْبَعِيرَ فَيَقُولُ مِمَّنْ اشْتَرَيْتَهُ فَيَقُولُ اشْتَرَيْتُهُ مِنْ أَحَدِ الْمُخَطَّمِينَ) واللفظ لأحمد

(٧) طلوع الشمس من مغربها

روى البخاري(٤٦٣٥) ومسلم (١٥٧) عن أَبُي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا فَإِذَا رَآهَا النَّاسُ آمَنَ مَنْ عَلَيْهَا فَذَاكَ حِينَ لا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ ﴾

(٨) خروج الريح الطيبة التي تقبض روح كل مؤمن ولا يبقى إلا شرار الناس

روى مسلم في صحيحه (١١٧) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ رِيحًا مِنْ الْيَمَنِ أَلْيَنَ مِنْ الْحَرِيرِ فَلا تَدَعُ أَحَدًا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ إلا قَبَضَتْهُ)

وروى مسلم أيضا (١٤٨)عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لا يُقَالَ فِي الأَرْضِ اللَّهُ اللَّهُ)

وروى مسلم أيضا عَنْ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ قَالَ: قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: .... وَيُبَارَكُ فِي الرِّسْلِ حَتَّى أَنَّ اللِّقْحَةَ مِنْ الْإِبِلِ لَتَكْفِي الْفِئَامَ مِنْ النَّاسِ وَاللِّقْحَةَ مِنْ الْبَقَرِ لَتَكْفِي الْقَبِيلَةَ مِنْ النَّاسِ وَاللِّقْحَةَ مِنْ الْغَنَمِ لَتَكْفِي الْفَخِذَ مِنْ النَّاسِ فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ رِيحًا طَيِّبَةً فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ آبَاطِهِمْ فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمُرِ فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ)

(٩) آية الدخان

قال تعالى: ﴿ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ* يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[الدخان١١:١٠]

وقد ذهب ابن مسعود وجماعة من السلف كمجاهد وأبي العالية وإبراهيم النخعي والضحاك وعطية العوفي وابن جرير: إن آية الدخان قد مضت.

ورجح علي بن أبي طالب وابن عباس وأبي سعيد الخدري والحسن البصري والنووي وابن كثير: أنها لم تقع بعد وهي قرب قيام الساعة، وهذا ما دلت عليه الآية ودل عليه الحديث.

(١٠) ثلاثة خسوف: خسف بالمشرف، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب

ومعنى الخسف: هو انشقاق الأرض وابتلاع الناس كما جاء في حديث حذيفة بن أسيد الغفاري المتقدم في أول العلامات الكبرى

(١١) النار التي تحشر الناس

وهذه النار التي تأخذ من قعر عدن تحشر الناس إلى الشام روى أحمد (٤٥٢٢) الترمذي في سننه (٢٢١٧) بإسناد صحيح عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (سَتَخْرُجُ نَارٌ مِنْ حَضْرَمَوْتَ أَوْ مِنْ نَحْوِ بَحْرِ حَضْرَمَوْتَ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ تَحْشُرُ النَّاسَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا تَأْمُرُنَا قَالَ عَلَيْكُمْ بِالشَّامِ)

المبحث الثالث

من أحداث يوم القيامة

المطلب الأول

التعريف بيوم القيامة وأسماؤه

أولاً تعريفه:

هو اليوم الذي يقوم فيه العباد لرب العالمين بعد فنائهم؛ ليقفوا أمامه سبحانه وتعالى فيحاسبهم على ما قدموا في الدنيا من خير وشر، ثم يجازي كل إنسان على حسب عمله.

ثانيًا: أسمائه

تعددت أسماء يوم القيامة وذلك لعظم أمرها وكثرة أهوالها وما يحدث فيها.

أشهر هذه الأسماء: .

١ – يوم القيامة: قال تعالى: ﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ﴾[النساء: ٨٧]

٢– اليوم الآخر: وسمي بذلك لأنه لا يوم بعده قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾[البقرة:١٧٧].

٣- الساعة وسميت بذلك لأنها تأتي بغتة ولقربها: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾[طه: ١٥].

٤- يوم البعث: وذلك أن العباد تبعث فيه بعد موتها

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ﴾[الروم: ٥٦]

٥ - يوم الدين: قال تعالى: ﴿ مالك يوم الدين﴾[الفاتحة: ٣]

٦ - القارعة: قال تعالى: ﴿ القارعة ما القارعة ﴾[القارعة ١: ٢]

٧- يوم الحساب: قال تعالى: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾[ص:١٦]

٨- يوم الفصل: قال تعالى: ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالأَوَّلِينَ﴾[المرسلات:٣٨]

وهناك أسماء كثيرة يطول ذكرها بأدلتها منها: الصاخة، والحاقة والواقعة والطامة ويوم خروج الغاشية ويوم الحسرة ويوم الخلود ويوم الوعيد ويوم التناد وغيرها من الأسماء المذكورة في القرآن والسنة.

المطلب الثاني

إفناء الأحياء والنفخ في الصور

قد حكم المولى تبارك وتعالى على فناء كل من في الأرض والسماء، ولا يبقى إلا هو سبحانه وهو الحي الذي لا يموت

قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ والإكرام﴾[الرحمن:٢٦:٢٧]

وقال سبحانه: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إلا وَجْهَه﴾[القصص:٨٨]

وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾[الأنبياء:٣٥]

وقال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيراً﴾[الفرقان:٥٨]

وروى البخاري (٨٣٨٣) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ: (أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ الَّذِي لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ الَّذِي لا يَمُوتُ وَالْجِنُّ وَالإِنْسُ يَمُوتُونَ)

وقبل فناء الحياة الدنيا يأذن الله عز وجل لإسرافيل عليه السلام بالنفخ في الصور؛ فيصعق من في السماوات ومن في الأرض ولا يبقى أحد إلا ما شاء الله، ثم يأذن له في النفخة الثانية فينشرون من قبورهم أحياء إلى أرض المحشر

قال تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾[الزمر:٦٨]

وروى مسلم في صحيحه (٢٤٩٠) عن عبد الله بن عمر بن العاص أنه سمع رسول الله ﷺ يقول في حديث الشفاعة الطويل وفي نهايته" ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَلا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلا أَصْغَى لِيتًا وَرَفَعَ لِيتًا

قَالَ: وَأَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضَ إِبِلِهِ

قَالَ: فَيَصْعَقُ وَيَصْعَقُ النَّاسُ ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ أَوْ قَالَ يُنْزِلُ اللَّهُ مَطَرًا كَأَنَّهُ الطَّلُّ أَوْ الظِّلُّ نُعْمَانُ الشَّاكُّ فَتَنْبُتُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ثُمَّ يُقَالُ يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَلُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ... الحديث)

المراد بالليت: صفحة العنق

والمراد بأصغى أي: آمال

المطلب الثالث

البعث والنشور

أولاً: المراد بالبعث:

هو عودة الأرواح إلى الأجساد مرة أخرى ثم المجيء للحساب

قال تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ* قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ* إِنْ كَانَتْ إِلا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾[يس: ٥١: ٥٣]

ثانيًا: أول من تنشق عنه الأرض

وهو نبينا محمد ﷺ روى مسلم في صحيحه (٢٢٧٨) عن أَبُي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ)

ثالثًا: جميع الخلائق تحشر إلى الموقف العظيم، ما يعقل وما لا يعقل:

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ * لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾[الواقعة: ٤٩،٥٠]

وقال تعالى: ﴿ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً * لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدّاً * وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْداً﴾[مريم٩٣. ٩٥]

وقال تعالى: ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾[الأنعام:٣٨]

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا الْوُحوشُ حُشِرَتْ﴾[التكوير:٥].

رابعاً: صفة العباد يوم الحشر

يحشر العباد حفاة عراة غرلا . أي غير مختونيين . على ما كانوا عليه من الأعمال قبل موتهم

روى البخاري (٦٥٢٧) ومسلم (٢٨٥٩) عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: تُحْشَرُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلا

قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ! الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ ؟!

فَقَالَ: الأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يُهِمَّهُمْ ذَاكِ)

ثم بعد ذلك يجازي الله العباد على حسب أعمالهم، فالصالحون يكسون من حلل الجنة وأولهم إبراهيم عليه السلام، والطالحون يكسوهم الله من سرابيل من قطران.

روى البخاري (٦٥٢٦)عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَامَ فِينَا النَّبِيُّ ﷺيَخْطُبُ فَقَالَ: إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلا "كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ " الآيَةَ ، وَإِنَّ أَوَّلَ الْخَلائِقِ يُكْسَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ ٠٠٠) الحديث

خامسًا: أرض المحشر وصفتها

وهي أرض أخرى غير الأرض التي نحن عليها

قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾[ابراهيم:٤٨]

وروى البخاري ومسلم عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ كَقُرْصَةِ النَّقِيِّ لَيْسَ فِيهَا عَلَمٌ لأَحَدٍ)

قال الحافظ ابن حجر في (فتح الباري ١١/٣٧٥):

قوله (أرض عفراء) قال الخطابي: العفر بياض ليس بالناصع

وقال عياض: العفر بياض يضرب إلى حمرة قليلا ، ومنه سمي عفر الأرض وهو وجهها.

وقال ابن فارس: معنى عفراء: خالصة البياض.

وقال الداودي: شديدة البياض. كذا قال والأول هو المعتمد.

قوله (كقرصة النقي) بفتح النون كسر القاف أي الدقيق النقي من الغش والنخال قاله الخطابي.

قوله: (ليس فيها معلم لأحد) ... والعلم والمعلم بمعنى واحد.

قال الخطابي: يريد أنها مستوية. والمعلم بفتح الميم واللام بينهما مهملة ساكنة هو الشيء الذي يستدل به على الطريق.

وقال عياض: المراد أنها ليس فيها علامة سكنى ولا بناء ولا أثر ولا شيء من العلامات التي يهتدي بها في الطرقات كالجبل والصخرة البارزة.

وفيه تعريض بأرض الدنيا وأنها ذهبت وانقطعت العلاقة منها.

وقال الداودي: المراد أنه لا يحوز أحد منها شيئا إلا ما أدرك منها.

وقال أبو محمد بن أبي جمرة: فيه دليل على عظيم القدرة والإعلام بجزئيات يوم القيامة ليكون السامع على بصيرة فيخلص نفسه من ذلك الهول لأن في معرفة جزئيات الشيء قبل وقوعه رياضة النفس وحملها على ما فيه خلاصها بخلاف مجيء الأمر بغتة وفيه إشارة إلى أن أرض الموقف أكبر من هذه الأرض الموجودة جدا والحكمة في الصفة المذكورة أن ذلك اليوم يوم عدل وظهور حق فاقتضت الحكمة أن يكون المحل الذي يقع فيه ذلك طاهرا عن عمل المعصية والظلم وليكون تجليه سبحانه على عباده المؤمنين على أرض تليق بعظمته ولأن الحكم فيه إنما يكون لله وحده فناسب أن يكون المحل خالصا له وحده. انتهى ملخصا.

وفيه إشارة إلى أن أرض الدنيا اضمحلت وأعدمت وأن أرض الموقف تجددت.

وقد وقع للسلف في ذلك خلاف في المراد بقوله تعالى ﴿ يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات ﴾ هل معنى تبديلها تغيير ذاتها وصفاتها أو تغيير صفاتها فقط وحديث الباب يؤيد الأول.

وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد والطبري في تفاسيرهم والبيهقي في الشعب من طريق عمرو بن ميمون عن عبد الله بن مسعود في قوله تعالى ﴿ يوم تبدل الأرض غير الأرض ﴾ الآية

قال: تبدل الأرض أرضا كأنها فضة لم يسفك فيها دم حرام ولم يعمل عليها خطيئة ورجاله رجال الصحيح وهو موقوف.

وأخرجه البيهقي من وجه آخر مرفوعا وقال: الموقوف أصح. أ. هـ

وروى مسلم في صحيحه (٢٧٩١)عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺعَنْ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ ﴾ فَأَيْنَ يَكُونُ النَّاسُ يَوْمَئِذٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟

فَقَالَ: عَلَى الصِّرَاطِ.

سادسًا: ظل الرحمن

وهو جائزة الله الأولى للمؤمنين في ذلك اليوم العصيب الذي تدنو منه الشمس إلى الرؤوس مقدار ميل، فيتصبب العرق من كل إنسان بحسب عمله.

روى البخاري (٦٨٠٦) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺقَالَ: (سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إلا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَادِلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ فِي خَلاءٍ فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسْجِدِ، وَرَجُلانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ إِلَى نَفْسِهَا قَالَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا صَنَعَتْ يَمِينُهُ)

سابعًا: اعتقاد أهل الضلال في البعث

١ – **الدهرية والشيوعية والطبائعية والمشركين العرب** أنكروا البعث نهائيا.

٢ – أهل الزندقة والكفر من الفلاسفة المنتسبون إلى الإسلام أمثال الفرابي وابن سينا أنكروا بعث الأجساد وأثبتوا بعث الأرواح.

٣ – **ملاحدة الجهمية ومن وافقهم** أنكروا البعث؛ ولكن ليس لهذا العالم بعينيه؛ لأن هذا العالم سيفنى نفيًا محضا فالأجسام التي تعذب أو تنعم ليست هذه الأجساد التي على وجه الأرض.

المطلب الرابع

أهم أحداث في يوم القيامة

لن نتعرض هنا عما يحدث في يوم القيامة بالتفصيل حتى لا يطول بنا المقام ولكن على وجه الاختصار.

أولاً: اللقاء

قال تعالى: ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلا عَلَى الْخَاشِعِينَ * الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾[البقرة:٤٥:٤٦]

وقال تعالى: ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقاً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾[التوبة:٧٧]

وروى البخاري في صحيحه (٦٠٢٦): عَنْ أَنَسٍ عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ عَنْ النَّبِيِّ ﷺقَالَ: (مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَه وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَه) قَالَتْ عَائِشَةُ أَوْ بَعْضُ أَزْوَاجِهِ: إِنَّا لَنَكْرَهُ الْمَوْتَ

قَالَ: (لَيْسَ ذَاكِ وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَهُ الْمَوْتُ بُشِّرَ بِرِضْوَانِ اللَّهِ وَكَرَامَتِهِ فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ فَأَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ وَأَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَه وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا حُضِرَ بُشِّرَ بِعَذَابِ اللَّهِ وَعُقُوبَتِهِ فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ وَكَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَه).

ثانيًا: العرض والحساب

والعرض له معنيان:

الأول: عرض جميع الخلائق على ربهم بادية له صفحاتهم لا يخفي عليه منهم خافية، وهذا يدخل فيه من يناقش الحساب ومن لا يحاسب

الثاني: عرض معاصي المؤمنين وتقريرهم بها وشهودهم عليها ومغفرتهم لهم وذلك هو الحساب اليسير.

وأما الحساب: فهو المناقشة

قال تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾[الحاقة:١٨]

وقال تعالى: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[الحجر: ٩٢:٩٣]

وروى البخاري (٦٠٥٦) عن عَائِشَةُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسَبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلا هَلَكَ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَيْسَ قَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّمَا ذَلِكِ الْعَرْضُ وَلَيْسَ أَحَدٌ يُنَاقَشُ الْحِسَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلا عُذِّبَ).

وروى البخاري ومسلم (٥١٧٩) عن ابن عمر قال: قال رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ مِنْ النَّاسِ وَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ، وَيَقُولُ لَهُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا

أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ قَدْ هَلَكَ قَالَ: فَإِنِّي قَدْ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَإِنِّي أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ ثُمَّ يُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ .

وَأَمَّا الْكُفَّارُ وَالْمُنَافِقُونَ فَيَقُولُ الأَشْهَادُ: ﴿ هَؤُلاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾

ثالثًا: المجيء بالكتاب وشهادة الأعضاء والجوارح

قال تعالى: ﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً ﴾[الكهف:٤٩] والكتاب هو كتاب الأعمال وما فيه من صغير وكبير.

قال تعالى: ﴿ وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ ﴾[الزمر: ٦٩]

وقال تعالى: ﴿ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴾[ق:٢١]

قال أبو هريرة السائق: الملك، والشهيد: العمل، وكذا قال الضاحك والسدي

وقال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾[البقرة: ١٤٣]

وقال تعالى: ﴿ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[يّس:٦٥]

وقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[فصلت:١٩، ٢٠]

وروى مسلم (٥٢٧١) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَضَحِكَ فَقَالَ: هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ

قَالَ: قُلْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ

قَالَ: (مِنْ مُخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ يَقُولُ يَا رَبِّ أَ لَمْ تُجِرْنِي مِنْ الظُّلْمِ

قَالَ يَقُولُ: بَلَى

قَالَ فَيَقُولُ: فَإِنِّي لا أُجِيزُ عَلَى نَفْسِي إِلا شَاهِدًا مِنِّي

قَالَ: فَيَقُولُ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا وَبِالْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا

قَالَ: فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ

فَيُقَالُ: لأَرْكَانِهِ انْطِقِي

قَالَ: فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ

قَالَ: ثُمَّ يُخَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلامِ

قَالَ: فَيَقُولُ: بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ).

رابعاً: نشر صحائف الأعمال وأخذها باليمين والشمال

قال تعالى: ﴿ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنْشُوراً * اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً﴾[الإسراء١٣، ١٤]

وقال تعالى: ﴿ فأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً * وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُوراً * وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾[الانشقاق ٦:١٠]

وقال تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ﴾[الحاقة:٢٥:٢٦]

خامسًا: الميزان

وذلك أن العبد وأعماله وصحائفه كل ذلك يوضع على الميزان ويوزنوا.

قال تعالى: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾[الأنبياء:٤٧]

وروى البخاري (٧٠٠٨) عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ).

وروى أحمد بسند صحيح (٤٣٦٠) عن علي أن النبي ﷺ قال: قال: في ساقي بن مسعود: (والذي نفسي بيده هما في الميزان أثقل من أحد)

وروى البخاري عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لا يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ وَقَالَ اقْرَءُوا ﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴾

والميزان له كفتان وله لسان يقيمه وهو شيء محسوس لا شيء معنوي كما يقول أصحاب الضلال غير أنه لا يعلم قدره إلا الله.

سادسًا: الصراط

وهو جسر على جهنم يمر عليه جميع الناس ؛ الأنبياء والصديقون والمؤمنون والكفار، من يحاسب ومن لا يحاسب كل على حسب عمله، فمنهم من يمر مر البرق، ومنهم من يمر مر الريح، ومنهم من يمر ماشيا ومنهم من يكب على وجهه وهكذا.

روى البخاري ومسلم (٦٨٨٥) عن أبي هريرة في حديث الشفاعة الطويل وفي آخره يقول النبي ﷺ: (وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُهَا وَلا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلا الرُّسُلُ وَدَعْوَى الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ وَفِي جَهَنَّمَ كَلالِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ هَلْ رَأَيْتُمْ السَّعْدَانَ.

قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ

قَالَ: فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ غَيْرَ أَنَّهُ لا يَعْلَمُ مَا قَدْرُ عِظَمِهَا إِلا اللَّهُ تَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ فَمِنْهُمْ الْمُوبَقُ بَقِيَ بِعَمَلِهِ أَوْ الْمُوثَقُ بِعَمَلِهِ وَمِنْهُمْ الْمُخَرْدَلُ أَوْ الْمُجَازَى أَوْ نَحْوُهُ.. الحديث.)

والجسر أدق من الشعرة وأحد من السيف.

سابعًا: الشفاعة

وهي شفاعة النبي ﷺ العظمى من هول يوم القيامة، لنصب الموازين وبدء الحساب، ومعرفة كل إنسان مصيره ومآله، وهذه الشفاعة ليست لأحد إلا النبي ﷺ وهي المقام المحمود.

روى البخاري ومسلم (٤٣٤٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أُتِيَ بِلَحْمٍ فَرُفِعَ إِلَيْهِ الذِّرَاعُ وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ فَنَهَشَ مِنْهَا نَهْشَةً ثُمَّ قَالَ: (أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهَلْ تَدْرُونَ مِمَّ ذَلِكَ يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ يُسْمِعُهُمْ الدَّاعِي وَيَنْفُذُهُمْ الْبَصَرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنْ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لا يُطِيقُونَ وَلا يَحْتَمِلُونَ فَيَقُولُ النَّاسُ: أَلا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ أَلا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ ؟

فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: عَلَيْكُمْ بِآدَمَ فَيَأْتُونَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلام فَيَقُولُونَ لَهُ: أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ وَأَمَرَ الْمَلائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ أَلا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا !

فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ وَإِنَّهُ قَدْ نَهَانِي عَنْ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ، فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ إِنَّكَ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ، وَقَدْ سَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ !

فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُهَا عَلَى قَوْمِي، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ.

فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُونَ: يَا إِبْرَاهِيمُ أَنْتَ نَبِيُّ اللَّهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ!

فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ كُنْتُ كَذَبْتُ ثَلاثَ كَذِبَاتٍ، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى.

فَيَأْتُونَ مُوسَى فَيَقُولُونَ: يَا مُوسَى أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ فَضَّلَكَ اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلامِهِ عَلَى النَّاسِ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ !

فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ.

فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَى أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ !

فَيَقُولُ عِيسَى: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ قَطُّ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ . وَلَمْ يَذْكُرْ ذَنْبًا .، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ.

فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتِمُ الأَنْبِيَاءِ وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ!

فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَهْ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ.

فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَقُولُ: أُمَّتِي يَا رَبِّ أُمَّتِي يَا رَبِّ أُمَّتِي يَا رَبِّ.

فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لا حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْبَابِ الأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الأَبْوَابِ.

ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَحِمْيَرَ أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى) واللفظ للبخاري.

ثامنًا: حوض النبي ﷺ

وهو الذي أكرم الله عز وجل به نبينا محمد ﷺ في هذا الموقف العظيم، حوضًا واسع الأرجاء، ماؤه أبيض من اللبن وأحلى من العسل، من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبدًا، يشرب منه من سار على نهج النبي ﷺ من غير تحريف ولا تبديل ويسمى بنهر الكوثر.

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾[الكوثر:١]

روى البخاري (٦٥٧٩) ومسلم (٦٠٧٣) عن عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنْ اللَّبَنِ وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنْ الْمِسْكِ وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلا يَظْمَأُ أَبَدًا.)

وروى البخاري (٦٥٨٥) عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، مَنْ مَرَّ عَلَيَّ شَرِبَ وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا، لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَأَقُولُ إِنَّهُمْ مِنِّي!

فَيُقَالُ: إِنَّكَ لا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ

فَأَقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا لِمَنْ غَيَّرَ بَعْدِي.)

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: سُحْقًا بُعْدًا، يُقَالُ: سَحِيقٌ: بَعِيدٌ، سَحَقَهُ وَأَسْحَقَهُ: أَبْعَدَهُ.

المبحث الرابع

ما بعد يوم القيامة

وهذا نهاية مصير العباد فإما إلى جنة عرضها السماوات والأرض وإما إلى نار وقودها الناس والحجارة.

قال أبو جعفر الطحاوي في عقيدته السلفية: .

والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان أبدًا ولا تبيدان، فإن الله تعالى خلق الجنة والنار قبل الخلق وخلق لهما أهلاً، فمن شاء منهم إلى الجنة فضلاً منه، ومن شاء منهم إلى النار عدلاً منه، وكلٌّ يعمل لما قد فرغ له وصائر إلى ما خلق له، والخير والشر مقدَّران على العباد. أ. هـ

قال الإمام ابن أبي العز الحنفي: [1]

أما قوله: إن الجنة والنار مخلوقتان؛ فاتفق أهل السنة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن، ولم يزل أهل السنة على ذلك حتى نبغت نابغة من المعتزلة والقدرية فأنكرت ذلك، وقالت بل ينشئهما الله يوم القيامة، وحملهم على ذلك أصلهم الفاسد الذي وضعوا به شريعة لما يفعله الله، وأنه ينبغي أن يفعل كذا ولا ينبغي له أن يفعل كذا، وقاسوه على خلقه في أفعالهم، فهم

(١) أنظر شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص٤٢٠

مشبهة في الأفعال، ودخل التجهم فيهم فصاروا مع ذلك معطلة، وقالوا: خلق الجنة قبل الجزاء عبث؛ لأنها تصير معطلة مددا متطاولة، فردوا من النصوص ما خالف هذه الشريعة الباطلة التي وضعوها للرب تعالى، وحرفوا النصوص عن مواضعها وضللوا وبدعوا من خالف شريعتهم. أ. هـ

روى البخاري (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لا يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلا لِحَيَاتِهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ.

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ رَأَيْنَاكَ تَنَاوَلْتَ شَيْئًا فِي مَقَامِكَ، ثُمَّ رَأَيْنَاكَ كَعْكَعْتَ !

قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنِّي رَأَيْتُ الْجَنَّةَ فَتَنَاوَلْتُ عُنْقُودًا، وَلَوْ أَصَبْتُهُ لأَكَلْتُمْ مِنْهُ مَا بَقِيَتْ الدُّنْيَا، وَأُرِيتُ النَّارَ فَلَمْ أَرَ مَنْظَرًا كَالْيَوْمِ قَطُّ أَفْظَعَ، وَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ.

قَالُوا: بِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟

قَالَ: بِكُفْرِهِنَّ

قِيلَ: يَكْفُرْنَ ؟

قَالَ: يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، وَيَكْفُرْنَ الإِحْسَانَ؛ لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ كُلَّهُ ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا قَالَتْ مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ.

والشاهد: أن النبي ﷺ رأى الجنة والنار رؤيا العين.

المطلب الأول

الجنة

هي الدار التي أعدها الله لعباده الصالحين الأخيار فيما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر علي قلب بشر قال تعالى: ﴿ جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَاباً﴾[النبأ:٣٦]

وهم في سعادة أيما سعادة عند دخولهم لها واستقبال الملائكة لهم فرحين بسلامة وصولهم إليها

قال تعالى: ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾[الزمر:٧٣]

ونلخص بعض أوصاف الجنة وما يحدث فيها فيما يلي:

(١) أول البشر دخولا هو النبي ﷺ

وأول الأمة دخولا هو أبو بكر.

روى مسلم (١٩٦) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَنَا أَكْثَرُ الأَنْبِيَاءِ تَبَعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَقْرَعُ بَابَ الْجَنَّةِ)

(٢) الذين يدخلون الجنة بغير حساب

روى أحمد في مسنده (٢١٨٠٠) والترمذي (٢٤٣٧) وابن ماجة (٤٢٨٦) عَنْ أَبِي أُمَامَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺقَالَ وَعَدَنِي رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُدْخِلَ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعِينَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلا عَذَابٍ مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعُونَ أَلْفًا وَثَلاثَ حَثَيَاتٍ مِنْ حَثَيَاتِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ) والحديث صحيح بطرقه وشواهده.

وفي حديث البخاري (٦٤٧٢) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ هُمْ الَّذِينَ لا يَسْتَرْقُونَ وَلا يَتَطَيَّرُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)

(٣)آخر من يدخل الجنة له مثل الدنيا عشر مرات

روى البخاري(٦٥٧١) ومسلم (١٨٦) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنِّي لأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا وَآخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولا رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنْ النَّارِ كَبْوًا فَيَقُولُ اللَّهُ: اذْهَبْ فَادْخُلْ الْجَنَّةَ فَيَأْتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلأَى فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلأَى فَيَقُولُ: اذْهَبْ فَادْخُلْ الْجَنَّةَ فَيَأْتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلأَى فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلأَى

فَيَقُولُ: اذْهَبْ فَادْخُلْ الْجَنَّةَ فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشَرَةَ أَمْثَالِهَا أَوْ إِنَّ لَكَ مِثْلَ عَشَرَةِ أَمْثَالِ الدُّنْيَا

فَيَقُولُ: تَسْخَرُ مِنِّي أَوْ تَضْحَكُ مِنِّي وَأَنْتَ الْمَلِكُ.فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ وَكَانَ يَقُولُ ذَاكَ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً)

(٤) خلود الجنة وأبديتها

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً * خَالِدِينَ فِيهَا لا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً﴾[الكهف: ١٠٧: ١٠٨]

وروى مسلم (٢٨٣٦) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَنْعَمُ لا يَبْأَسُ لا تَبْلَى ثِيَابُهُ وَلا يَفْنَى شَبَابُهُ)

وقد قال بفنائها جهم بن صفوان إمام الجهمية الكفار.

(٥)أبواب الجنة ثمانية

روى البخاري (٣٢٥٧) عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:(فِي الْجَنَّةِ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابٍ فِيهَا بَابٌ يُسَمَّى الرَّيَّانَ لا يَدْخُلُهُ إِلا الصَّائِمُونَ.)

(٦) أنهار الجنة خمسة

نهر الخمر ونهر العسل ونهر الماء ونهر اللبن ونهر الكوثر

قال تعالى: ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفّىً ﴾[محمد: ١٥]

وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾[الكوثر:١]

وهو النهر الذي جعله الله للنبي ﷺ خاصة.

(٧) طعام ونعيم أهل الجنة

قال تعالى: ﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ * فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ * وَظِلٍّ مَمْدُودٍ * وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ * وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ * لا مَقْطُوعَةٍ وَلا مَمْنُوعَةٍ * وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ * إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً * فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً * عُرُباً أَتْرَاباً﴾[الواقعة:٢٧ . ٣٧]

وقال تعالى: ﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾[الرحمن: ٥٤]

(٨) رؤية المؤمنين ربهم في الجنة

قال تعالى: ﴿وُجوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾[القيامة:٢٢] وقد تقدم الكلام عنها في باب الصفات.

(٩) الحور العين

وهن زوجات المؤمنين في الجنة فضلا عن زوجاتهم المؤمنات في الدنيا

قال تعالى: ﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلالٍ عَلَى الأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ﴾[يّس:٥٦]

وقال تعالى: ﴿ كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾[الدخان:٥٤]

والحور: جمع حوراء: وهي التي كانت بيضاء عينها شديد البياض وسواد وعينها شديد السواد قال تعالى في وصفهن:

﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازاً * حَدَائِقَ وَأَعْنَاباً * وَكَوَاعِبَ أَتْرَاباً﴾[النبأ:٣١.٣٣]

والكاعب المرأة الجميلة التي برز ثديها

قال تعالى: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ﴾[الرحمن:٧٤]

وقال تعالى: ﴿ وَحُورٌ عِينٌ *كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾[الواقعة٢٢: ٢٣].

وقال تعالى: ﴿حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾[الرحمن:٧٢]

روى البخاري (٣٢٥٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَالَّذِينَ عَلَى آثَارِهِمْ كَأَحْسَنِ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ، إِضَاءَةً قُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ لا تَبَاغُضَ بَيْنَهُمْ وَلا تَحَاسُدَ، لِكُلِّ امْرِئٍ زَوْجَتَانِ مِنْ الْحُورِ الْعِينِ يُرَى مُخُّ سُوقِهِنَّ مِنْ وَرَاءِ الْعَظْمِ وَاللَّحْمِ.)

وقال البخاري في صحيحه: بَاب: حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الْحُورُ: السُّودُ الْحَدَقِ

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: مَقْصُورَاتٌ: مَحْبُوسَاتٌ قُصِرَ طَرْفُهُنَّ وَأَنْفُسُهُنَّ عَلَى أَزْوَاجِهِنَّ قَاصِرَاتٌ لا يَبْغِينَ غَيْرَ أَزْوَاجِهِنَّ. أ . هـ

(١٠) . قصور الجنة

قال تعالى: ﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴾[الزمر:٢٠]

روى مسلم (٢٨٣٨) عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ النَّبِيِّ

ﷺ قَالَ: (إِنَّ لِلْمُؤْمِنِ فِي الْجَنَّةِ لَخَيْمَةً مِنْ لُؤْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ مُجَوَّفَةٍ طُولُهَا سِتُّونَ مِيلا لِلْمُؤْمِنِ فِيهَا أَهْلُونَ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ الْمُؤْمِنُ فَلا يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا)

وروى البخاري (٣٦٨٠)عن هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ قَالَ: (بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي فِي الْجَنَّةِ فَإِذَا امْرَأَةٌ تَتَوَضَّأُ إِلَى جَانِبِ قَصْرٍ، فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا الْقَصْرُ ؟ قَالُوا: لِعُمَرَ ، فَذَكَرْتُ غَيْرَتَهُ فَوَلَّيْتُ مُدْبِرًا، عُمَرُ وَقَالَ: أَعَلَيْكَ أَغَارُ يَا رَسُولَ اللَّهِ.)

وروى أحمد (٨٥٢٩) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (بِنَاءُ الْجَنَّةِ لَبِنَةٌ مِنْ ذَهَبٍ وَلَبِنَةٌ مِنْ فِضَّةٍ) وصححه الألباني

المطلب الثاني

النار

وهي الدار التي أعدها الله للكافرين والعصاة ﴿ جزاء وفاقا ﴾[النبأ: ٢٦]

يدخلوها بالتقريع والتوبيخ والمهانة

قال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[الزمر: ٧١]

ونتكلم عن النار وحال أهلها ووصفها بإيجاز

(١) وقودها الناس والحجارة

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾[التحريم:٦]

(٢) أبواب النار سبعة

قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ * لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾[الحجر: ٤٣٤٤]

(٣) شدة حرها وعظم دخانها وشررها

قال تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ * فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ * وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ * لا بَارِدٍ وَلا كَرِيمٍ﴾[الواقعة:٤١:٤٤]

قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ * نَارٌ حَامِيَةٌ﴾[القارعة٨: ١١]

وقال تعالى: ﴿انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلاثِ شُعَبٍ * لا ظَلِيلٍ وَلا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ * إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ﴾[المرسلات:٣٠٣١]

(٤) النار خالدة لا تبيد

وهذا باتفاق الأمة كما نقل ابن حزم ذلك

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾[الزخرف:٧٤]

وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾[فاطر: ٣٦]

وقال تعالى: ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا لا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾[البقرة:١٦٢]

وقال تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾[المائدة:٣٧]

وروى البخاري (٤٧٣٠) ومسلم (٢٨٤٩) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ فَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ

فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا ؟

فَيَقُولُونَ:نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ

ثُمَّ يُنَادِي: يَا أَهْلَ النَّارِ فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ

فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا ؟

فَيَقُولُونَ: نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، فَيُذْبَحُ ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلا مَوْتَ وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلا مَوْتَ ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ ﴾[سورة مريم:٣٩] وَهَؤُلاءِ فِي غَفْلَةٍ أَهْلُ الدُّنْيَا ﴿وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾.

(٥) النار لها دركات ودرجات

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرا﴾[النساء:١٤٥]

وقال تعالى: ﴿ أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ * دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾[آل عمران: ١٦٢١:١٦٣]

قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: درجات الجنة تذهب علوًا ودرجات النار تذهب سفولا.

(٦) عمق جهنم وسعتها

وروى مسلم (٢٨٤٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺإِذْ سَمِعَ وَجْبَةً فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: تَدْرُونَ مَا هَذَا قَالَ: قُلْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ

قَالَ: هَذَا حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ فِي النَّارِ مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفًا فَهُوَ يَهْوِي فِي النَّارِ الآنَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَعْرِهَا)

وروى مسلم (٢٨٤٢) عَنْ شَقِيقٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا)

(٧) طعام أهل النار وشرابهم ولباسهم

قال تعالى: ﴿ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلا مِنْ ضَرِيعٍ * لا يُسْمِنُ وَلا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾[الغاشية٧:٦]

قال تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ * طَعَامُ الأَثِيمِ *كَغَلْيِ الْحَمِيمِ﴾[الدخان٤٣: ٤٦]

وقال تعالى: ﴿ وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾[محمد: ١٥]

وقال تعالى: ﴿ وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقاً﴾[الكهف: ٢٩]

وقال تعالى: ﴿وَلا طَعَامٌ إِلا مِنْ غِسْلِينٍ * لا يَأْكُلُهُ إِلا الْخَاطِئُونَ﴾[الحاقة: ٣٦:٣٧]

وقال تعالى: ﴿ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ * سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾[إبراهيم:٤٩:٥٠]

وروى (٢٧٣٠) والترمذي (٢٥٨٥) وابن ماجة (٤٣٢٥) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺقَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ: اتَّقوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَوْ أَنَّ قَطْرَةً مِنْ الزَّقُّومِ قُطِرَتْ فِي دَارِ الدُّنْيَا لأَفْسَدَتْ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا مَعَايِشَهُمْ فَكَيْفَ بِمَنْ يَكُونُ طَعَامَهُ)

قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ

(٨) عظم خلق أهل النار

روى البخاري (٦٥٥٣) ومسلم (٢٨٥٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (مَا بَيْنَ مَنْكِبَيْ الْكَافِرِ مَسِيرَةُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ للرَّاكِبِ الْمُسْرِعِ)

وروى مسلم أيضا (٢٨٥١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (ضِرْسُ الْكَافِرِ أَوْ نَابُ الْكَافِرِ مِثْلُ أُحُدٍ وَغِلَظُ جِلْدِهِ مَسِيرَةُ ثَلاثٍ)

(٩) خروج المذنبين من الموحدين من النار:

وذلك بعد أن أوجب الله عليهم دخولها وتطهيرهم من آثار ذنوبهم، يخرجهم بشفاعة الشافعين ممن أذن لهم الله بذلك، ثم تبقى فئة من هؤلاء لم يستحقوا

شفاعة الشافعين لأنهم لم يكن معهم من أعمال الخير التي يستحقوا ذلك؛ ولكن الله تبارك وتعالى تعظيمًا لاسمه وتوحيده يخرجهم بقبضته.

روى البخاري (١٨٣) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ في حديث الشفاعة الطويل .

وفي آخره .: حَتَّى إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنْ النَّارِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشَدَةً لِلَّهِ فِي اسْتِقْصَاءِ الْحَقِّ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ لِلَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِإِخْوَانِهِمْ الَّذِينَ فِي النَّارِ يَقُولُونَ: رَبَّنَا كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا وَيُصَلُّونَ وَيَحُجُّونَ.

فَيُقَالُ لَهُمْ: أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ فَتُحَرَّمُ صُوَرُهُمْ عَلَى النَّارِ فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا قَدْ أَخَذَتْ النَّارُ إِلَى نِصْفِ سَاقَيْهِ وَإِلَى رُكْبَتَيْهِ.

ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا مَا بَقِيَ فِيهَا أَحَدٌ مِمَّنْ أَمَرْتَنَا بِهِ

فَيَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا

ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا أَحَدًا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا.

ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا

ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا أَحَدًا

ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا

ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا خَيْرًا.

ـ وَكَانَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ يَقُولُ: إِنْ لَمْ تُصَدِّقُونِي بِهَذَا الْحَدِيثِ فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾

فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: شَفَعَتْ الْمَلائِكَةُ وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ وَلَمْ يَبْقَ إِلا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، **فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنْ النَّارِ فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ**، قَدْ عَادُوا حُمَمًا فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهَرٍ فِي أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ نَهَرُ الْحَيَاةِ، فَيَخْرُجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، أَلا تَرَوْنَهَا تَكُونُ إِلَى الْحَجَرِ أَوْ إِلَى الشَّجَرِ مَا يَكُونُ إِلَى الشَّمْسِ أُصَيْفِرُ وَأُخَيْضِرُ، وَمَا يَكُونُ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ يَكُونُ أَبْيَضَ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَأَنَّكَ كُنْتَ تَرْعَى بِالْبَادِيَةِ !

قَالَ : فَيَخْرُجُونَ كَاللُّؤْلُؤِ فِي رِقَابِهِمْ الْخَوَاتِمُ يَعْرِفُهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ **هَؤُلاءِ عُتَقَاءُ اللَّهِ الَّذِينَ أَدْخَلَهُمْ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ وَلا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ.**

ثُمَّ يَقُولُ: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ فَمَا رَأَيْتُمُوهُ فَهُوَ لَكُمْ

فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ الْعَالَمِينَ

فَيَقُولُ: لَكُمْ عِنْدِي أَفْضَلُ مِنْ هَذَا

فَيَقُولُونَ: يَا رَبَّنَا أَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا !!

فَيَقُولُ: رِضَايَ فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا.)

وفي حديث مسلم (١٩٣) عن مَعْبَدُ بْنُ هِلالٍ الْعَنَزِيُّ قَالَ: انْطَلَقْنَا إِلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ وَتَشَفَّعْنَا بِثَابِتٍ فَانْتَهَيْنَا إِلَيْهِ وَهُوَ يُصَلِّي الضُّحَى فَاسْتَأْذَنَ لَنَا ثَابِتٌ فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ وَأَجْلَسَ ثَابِتًا مَعَهُ عَلَى سَرِيرِهِ

فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا حَمْزَةَ إِنَّ إِخْوَانَكَ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ يَسْأَلُونَكَ أَنْ تُحَدِّثَهُمْ حَدِيثَ الشَّفَاعَةِ

قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ ﷺ قَالَ: إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مَاجَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ لَهُ: اشْفَعْ لِذُرِّيَّتِكَ فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلام فَإِنَّهُ خَلِيلُ اللَّهِ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلام فَإِنَّهُ كَلِيمُ اللَّهِ، فَيُؤْتَى مُوسَى فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلام فَإِنَّهُ رُوحُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ، فَيُؤتَى عِيسَى فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأُوتَى فَأَقُولُ: أَنَا لَهَا، فَأَنْطَلِقُ فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي، فَيُؤْذَنُ لِي، فَأَقُومُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَأَحْمَدُهُ بِمَحَامِدَ لا أَقْدِرُ عَلَيْهِ الآنَ يُلْهِمُنِيهِ اللَّهُ ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا فَيُقَالُ لِي: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ وَسَلْ تُعْطَهْ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيُقَالُ: انْطَلِقْ فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ بُرَّةٍ أَوْ شَعِيرَةٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ مِنْهَا، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَرْجِعُ إِلَى رَبِّي فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيُقَالُ لِي: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ وَسَلْ تُعْطَهْ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيُقَالُ لِي: انْطَلِقْ فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ

حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ مِنْهَا، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَعُودُ إِلَى رَبِّي فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيُقَالُ لِي، يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ وَسَلْ تُعْطَهْ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي ، فَيُقَالُ لِي: انْطَلِقْ فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى أَدْنَى أَدْنَى مِنْ مِثْقَالِ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ مِنْ النَّارِ، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ.

. هَذَا حَدِيثُ أَنَسٍ الَّذِي أَنْبَأَنَا بِهِ . فَخَرَجْنَا مِنْ عِنْدِهِ فَلَمَّا كُنَّا بِظَهْرِ الْجَبَّانِ قُلْنَا لَوْ مِلْنَا إِلَى الْحَسَنِ فَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ وَهُوَ مُسْتَخْفٍ فِي دَارِ أَبِي خَلِيفَةَ، قَالَ: فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ فَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ فَقُلْنَا: يَا أَبَا سَعِيدٍ جِئْنَا مِنْ عِنْدِ أَخِيكَ أَبِي حَمْزَةَ فَلَمْ نَسْمَعْ مِثْلَ حَدِيثٍ حَدَّثَنَاهُ فِي الشَّفَاعَةِ !

قَالَ: هِيَهِ ، فَحَدَّثْنَاهُ الْحَدِيثَ، فَقَالَ: هِيَهِ ، قُلْنَا: مَا زَادَنَا، قَالَ: قَدْ حَدَّثَنَا بِهِ مُنْذُ عِشْرِينَ سَنَةً وَهُوَ يَوْمَئِذٍ جَمِيعٌ، وَلَقَدْ تَرَكَ شَيْئًا مَا أَدْرِي أَنَسِيَ الشَّيْخُ أَوْ كَرِهَ أَنْ يُحَدِّثَكُمْ فَتَتَّكِلُوا !

قُلْنَا لَهُ: حَدِّثْنَا

فَضَحِكَ وَقَالَ: خُلِقَ الإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ، مَا ذَكَرْتُ لَكُمْ هَذَا إِلا وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أُحَدِّثَكُمُوهُ: ثُمَّ أَرْجِعُ إِلَى رَبِّي فِي الرَّابِعَةِ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيُقَالُ لِي: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ وَسَلْ تُعْطَ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ.

فَأَقُولُ: يَا رَبِّ ائْذَنْ لِي فِيمَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ.

قَالَ: لَيْسَ ذَاكَ لَكَ . أَوْ قَالَ لَيْسَ ذَاكَ إِلَيْكَ . وَلَكِنْ وَعِزَّتِي وَكِبْرِيَائِي وَعَظَمَتِي وَجِبْرِيَائِي لأُخْرِجَنَّ مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ.

قَالَ: فَأَشْهَدُ عَلَى الْحَسَنِ أَنَّهُ حَدَّثَنَا بِهِ أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ أُرَاهُ قَالَ قَبْلَ عِشْرِينَ سَنَةً وَهُوَ يَوْمِئِذٍ جَمِيعٌ.

وهذان الحديثان غصة في حلوق المبتدعة ممن يريدون تكفير الناس، فيلجأون إما إلى إنكار الحديث أو إلى تأويله، أو رده بمحتملات باردة، كمن يقول أن حديث عام وقد خصص، وهذا والله ما فعله أحد من الأولين أصحاب القرون الخيرية؛ وإنما هي أُطروحات عصرية من أصحاب بدعة جنس العمل لرد هذا الحديث وأمثاله مما هو عقبة في طريق بدعتهم والله المستعان.

(٩)عقيدة أهل الضلال في النار وأهلها

(أ) الجهمية:

قالوا بفناء النار والجنة على السواء

(ب) ابن عربي ومن اتبعه من الاتحادية:

قالوا: إن أهل النار يعذبون فيها مدة معينة ثم ينقلب عذابها نعيمًا عليهم

(جـ) أبو الهزيل العلاف:

من أئمة المعتزلة قال: إن حياة أهل النار تفنى ويصيرون جمادا لا حراك لهم.

(د) الخوارج والمعتزلة:

قالوا: إن أهل النار يخلدون فيها ولا يخرج منها أحد ولو كانوا أهل التوحيد

(١٠) قول شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم في فناء النار وبقائها:

ذكر عن ابن تيمية بفناء النار وتبعه على ذلك ابن القيم ولكن المتتبع لكلام شيخ الإسلام يجده يقول ببقائها، وأما ابن القيم فقد انتصر لهذا القول في كتابه (حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح) ورد عليه الإمام الصنعاني رحمه الله في كتابه (رفع الأستار عن أدلة القائلين بفناء النار)[1].

قال شيخ السلام رحمه الله في مجموع الفتاوى (١٨/ ٣٥٧): وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة والجماعة على أن من المخلوقات ما لم يعدم ولا يفنى بالكلية كالجنة والنار والعرش وغير ذلك ولم يقل بفناء جميع مخلوقاته إلا طائفة من أهل الكلام المتبعين كالجهم بن صفوان ومن وافقهم من المعتزلة ونحوهم وهذا القول باطل يخالف كتاب الله وسنته ورسوله وإجماع سلف الأمة وأئمتها. أ. هـ.

(١) وقد حققه العلامة المحدث شيخنا محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله وعليه تعليقات مفيدة

الفصل الثالث عشر

الإيمان بالقضاء والقدر

المبحث الأول

معنى القضاء والقدر

أولاً: معنى القضاء

١ . لغة: من قضى، وهو الحكم، والجمع أقضية

٢ . معاني القضاء في القرآن:

ورد القضاء في القرآن بعدة معان منها:

الأول: الأمر الديني الشرعي

قال تعالى: ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾[الإسراء٢٣].

الثاني: بمعنى الانتهاء

قال تعالى : ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً ﴾[النساء: ١٠٣].

الثالث: الإخبار

قال تعالى: ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرائيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً﴾ [الإسراء:٤].

الرابع: أمر الله الذي لا مرد له

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[البقرة: ١١٧].

الخامس: إتمام الشيء

قال تعالى: ﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَات﴾[فصلت: ١٢].

السادس: بمعنى كتب

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلا دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ﴾[سبأ: ١٤].

السابع: بمعنى التحديد

قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلاً﴾[الأنعام: ٢].

الثامن: بمعنى الحكم

قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ﴾[غافر: ٢٠].

ثانيًا: معنى القدر

١ . لغة: من التقدير

٢ . معناه في القرآن:

وقد ورد بعدة معانٍ منها:

الأول: الكمية المحدودة

قال تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر:٤٩]

وقال تعالى: ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ [الحجر:٢١].

الثاني: القسمة

قال تعالى: ﴿ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ [الواقعة:٦٠]

الثالث: جعل

قال تعالى: ﴿ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ ﴾[يس: ٣٩].

الرابع: العلم في الأزل وحتمية الإنجاز

قال تعالى: ﴿ وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُوناً فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ [القمر:١٢].

وقال تعالى: ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَراً مَقْدُوراً﴾[الأحزاب: ٣٨].

الخامس: الاستطاعة

أو ملكية التصرف في الشيء على حسب ما يريد منه، قال تعالى: ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِراً﴾[الكهف: ٤٥]

وقال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[البقرة: ٢٨٤].

السادس: الأجل

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ * فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ [المرسلات: ٢٠-٢٢]

السابع: الوعد والموعد

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى﴾[طه: ٤٠]

ثالثًا: المعنى الاصطلاحي للقضاء والقدر (١)

هو وقوع الأشياء التي قدرها الله عز وجل منذ الأزل وما سبق في علمه وفق ما أراد وقدر بالطريقة التي شاءها سبحانه وكيف شاءها.

رابعًا: وجوب الإيمان بالقضاء والقدر

وذلك الركن هو الركن السادس من أركان الإيمان الذي لا يصح إيمان العبد إلا به،

روى مسلم (٩) عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ قَالَ: كَانَ أَوَّلَ مَنْ قَالَ فِي الْقَدَرِ بِالْبَصْرَةِ مَعْبَدٌ الْجُهَنِيُّ فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَحُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحِمْيَرِيُّ حَاجَّيْنِ أَوْ مُعْتَمِرَيْنِ فَقُلْنَا: لَوْ لَقِينَا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺفَسَأَلْنَاهُ عَمَّا يَقُولُ هَؤُلاءِ فِي الْقَدَرِ، فَوُفِّقَ لَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ دَاخِلا الْمَسْجِدَ، فَاكْتَنَفْتُهُ أَنَا وَصَاحِبِي أَحَدُنَا عَنْ يَمِينِهِ وَالآخَرُ عَنْ شِمَالِهِ، فَظَنَنْتُ أَنَّ صَاحِبِي سَيَكِلُ

(١) أنظر في ذلك كتاب (القضاء والقدر للأشقر) و (القضاء والقدر لعبد الكريم زيدان) و (وإيماننا الحق بين النظر والدليل ص٢٤٩ لإبراهيم نعمة) و(شرح العقيدة الواسطية ١٨٧/٢ لابن عثيمين)

الْكَلامَ إِلَيَّ، فَقُلْتُ: أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ قِبَلَنَا نَاسٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ وَيَتَقَفَّرُونَ الْعِلْمَ، وَذَكَرَ مِنْ شَأْنِهِمْ وَأَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنْ لا قَدَرَ وَأَنَّ الأَمْرَ أُنُفٌ؟ قَالَ: فَإِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ وَأَنَّهُمْ بُرَآءُ مِنِّي، وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ لَوْ أَنَّ لأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَ اللَّهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ

ثُمَّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ لا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ وَلا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺفَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ ! أَخْبِرْنِي عَنْ الإِسْلامِ ؟

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الإِسْلامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ﷺوَتُقِيمَ الصَّلاةَ وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلا

قَالَ: صَدَقْتَ

قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ الإِيمَانِ ؟

قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ..... الحديث)

المبحث الثاني

مراتب الإيمان بالقضاء والقدر [1]

المرتبة الأولى: الإيمان بعلم الله الأزلي:

وهو الإيمان بأن الله عز وجل وسع كل شيء علمًا وأحاط وأنه يعلم الأشياء قبل كونها، ويعلم ما كان وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون وعلم جميع خلقه وأرزاقهم وآجالهم وأعمالهم وشقاوتهم وسعادتهم ومن هو من أهل ومن هو من أهل النار، وعلم عدد أنفاسهم ولحظاتهم وجميع حركات وسكناتهم أين تقع ومتى تقع وكيف تقع كل ذلك بعلمه وبمرأى منه ومسمع لا تخفي عليه خافية ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض.

قال تعالى: ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلا يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام:٥٩]

وقال تعالى: ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر:١٩].

---

(١) أنظر غي ذلك كتاب (شفاء العليل لابن القيم) و (معارج القبول ٢٦٤/٢ وما بعدها لابن حكمي) و (القضاء والقدر للأشقر) و(شرح العقيدة الواسطية ١٩٣/٢ لابن عثيمين)

وروى مسلم في صحيحه (٤٧٩٧) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ قَالَ وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ).

والكتابة لا تأتي إلا بعد علم أحاط بهذه المقادير جزيئات وكليات ولم ينكر علم الله إلا أوائل القدرية ولذلك حكم عليهم العلماء بالكفر.

المرتبة الثانية: الإيمان بكتابة المقادير

وذلك أن ذلك عز وجل علم مقادير الخلق وأعمالهم وحركاتهم وسكناتهم فكتب ذلك في كتاب عنده

قال تعالى: ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾[يس: ١٢].

وروى مسلم في صحيحه (٤٧٩٧) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺيَقُولُ: (كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ قَالَ وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ). ويدخل في الكتابة خمس مقادير.

(١) التقدير الأزلي

وذلك قبل أن يخلق السماوات والأرض عندما خلق الله تعالى القلم كما قال تعالى: ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد:٢٢].

وروى أحمد (٢١٦٤٧) و(٢١٦٤٩) وأبو داود (٤٠٧٨) والترمذي (٢٠٨١) و(٣٢٤١) عن عبادة بن الصامت قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:(إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ قَالَ رَبِّ ! وَمَاذَا أَكْتُبُ ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ). وصححه الألباني

كتابة الميثاق

وهذا الذي أخذه الله عز وجل على بني آدم وهم في ظهر أبيهم بعد أن نثرهم أمامه كالذر واعترافهم بربوبيته سبحانه.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [الأعراف:١٧٢،١٧٣]

وروى أحمد (١٧٢٠٧) والحاكم وصححه ووافقه الذهبي والألباني عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ قَتَادَةَ السُّلَمِيِّ أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺيَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ آدَمَ ثُمَّ أَخَذَ الْخَلْقَ مِنْ ظَهْرِهِ وَقَالَ: هَؤُلاءِ فِي الْجَنَّةِ وَلا أُبَالِي وَهَؤُلاءِ فِي النَّارِ وَلا أُبَالِي

قَالَ: فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ! فَعَلَى مَاذَا نَعْمَلُ ؟

قَالَ: عَلَى مَوَاقِعِ الْقَدَرِ)

ولا يظن ظان أن هذا الحديث يحمل معاني الجبر؛ بل توضيحه أن الله عز وجل علم أهل الجنة وأهل النار من غير جبر لهم على الأعمال ثم كتب ذلك عنده، ولذلك فهم الصحابي نفس الفهم فقال: على ماذا العمل فرد النبي ﷺ على مواقع القدر " أي أن الله عز وجل علم أن عبده يعمل حسنة أو سيئة باختياره وإرادته فكتبها عنده وقدرها عليه.

(٢) التقدير العمري

وهذا يكون عند تخليق النطفة في الرحم، فيكتب ذكورتها وأنوثتها والأجل والعمل والشقاوة والسعادة والرزق وجميع ما هو لاق.

روى البخاري (٢٩٦٩) ومسلم (٤٧٨١) عن عبد الله بن مسعود قال: حدثنا رسول الله ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ: إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ بِكَتْبِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ... الحديث). وهذا التقدير تابع للتقدير الأزلي أيضًا.

(١) التقدير الحولي في ليلة القدر

وذلك ما يحدث ويكون في السنة المقبلة

قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ * فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ * أَمْراً مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ [الدخان:٣-٥].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: في أم الكتاب في ليلة القدر ما يكون في السنة من موت وحياة ورزق ومطر حتى الحُجاج يقول: يحج فلان ولا يحج فلان.

(٤) التقدير اليومي

هو سوق المقادير التي قدرت لها فيما سبق في التقدير الأزلي ثم في التقدير العمري ثم في التقدير الحولي ثم في التقدير اليومي، قال تعالى: ﴿ يَسأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن:٢٩]

قال أبو الدرداء: " فمن شأن الله تعالى أن يغفر ذنبًا ويفرج كربًا ويرفع قوما ويضع آخرين ".

المرتبة الثالثة: الإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة

ومعناها: لا يقع شيء في الكون رغمًا عنه ولا خارجا عن قدرته فما شاء الله كونه فهو كائن بقدرته لا محالة وما لم يشأ لم يكن أيضا بقدرته ليس خارجًا عنها

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يّس:٨٢]

وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة:١٣]

قال تعالى: ﴿ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد:٣٩]

روى البخاري (٧٤٦٤) عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِذَا دَعَوْتُمْ اللَّهَ فَاعْزِمُوا فِي الدُّعَاءِ وَلا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ إِنْ شِئْتَ فَأَعْطِنِي فَإِنَّ اللَّهَ لا مُسْتَكْرِهَ لَهُ)

المرتبة الرابعة: مرتبة الخلق

وهي الإيمان بأن الله خلق كل عامل وعمله وكل متحرك وحركته وكل ساكن وسكونه.

قال تعالى: ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر:٦٢]

قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلونَ﴾ [الصافات:٩٦]

وقال تعالى: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً﴾[الفرقان: ٢].

المبحث الثالث

الفرق بين الإرادة الكونية والإرادة الشرعية

أولاً: الإرادة الكونية القدرية

وهي التي تكلمنا عنها في مرتبة المشيئة، وهي أن لا يقع شيء في الكون إلا وفق إرادته لا رغمًا عنه أو فوق قدرته قال تعالى: ﴿ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ [البروج:١٦]

ثانيًا: الإرادة الشرعية الدينية

وهي الأوامر والنواهي الشرعية التي كلف الله بها عباده، فخلق الله الخير وأراده منهم، وخلق الشر ولم يرده لهم

قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ ﴾[النساء: ٢٧]

وقال تعالى: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾[البقرة: ١٨٥]

قال ابن القيم رحمه الله في (شفاء العليل ص ٢٨٠):

الباب التاسع والعشرون

في انقسام القضاء والحكم والإرادة والكتابة والأمر والإذن والجعل والكلمات والبعث والإرسال والتحريم والانتباه إلى كوني متعلق بخلقه وإلى ديني متعلق بأمره، وما يحقق ذلك من إزالة اللبس والإشكال هذا الباب متصل بالباب

الذي قبله، وكل منهما يقرر لصاحبه: فما كان من كوني فهو متعلق بربوبيته وخلقه، وما كان من الديني فهو متعلق بإلاهيته وشرعه، وهو كما أخبر عن نفسه سبحانه: ﴿ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ﴾[الأعراف: ٥٤]

فالخلق: قضاؤه وقدره وفعله

والأمر: شرعه ودينه

فهو الذي خلق وشرع وأمر، وأحكامه جارية على خلقه قدرا وشرعا، ولا خروج لأحد عن حكمه الكوني القدري

وأما حكمه الديني الشرعي: فيعصيه الفجار والفساق، والأمران غير متلازمين؛ فقد يقضي ويقدر ما لا يأمر به ولا شرعه، وقد يشرع ويأمر بما لا يقضيه ولا يقدره، ويجتمع الأمران فيما وقع من طاعات عبادة وإيمانهم، وينتفي الأمران عما لم يقع من المعاصي والفسق والكفر، وينفرد القضاء الديني والحكم الشرعي في ما أمر به وشرعه ولم يفعله المأمور وينفرد الحكم الكوني فيما وقع من المعاصي.

إذا عرف ذلك فالقضاء في كتاب الله نوعان:

كوني قدري كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْت﴾[سبأ: ١٤]

وقوله تعالى: ﴿ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقّ﴾[الزمر: ٦٩]

وشرعي ديني: كقوله تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ ﴾[الإسراء: ٢٣]؛ أي أمر وشرع، ولو كان قضاء كونيا لما عبد غير الله والحكم أيضا نوعان:

فالكوني: كقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ﴾[الأنبياء: ١١٢] أي افعل ما تنصر به عبادك وتخذل به أعداءك.

والديني: كقوله تعالى: ﴿ ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾[الممتحنة: ١٠]

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾[المائدة: ١]

وقد يرد بالمعنيين معا كقوله تعالى: ﴿ وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَداً﴾[الكهف: ٢٦] فهذا يتناول حكمه الكوني وحكمه.

والإرادة أيضًا نوعان:

فالكونية: كقوله تعالى: ﴿ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾[هود: ١٠٧]

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً﴾[الإسراء: ١٦]

وقوله تعالى: ﴿ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ ﴾[هود: ٣٤]

وقوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ﴾[القصص: ٥]

والدينية: كقوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾[البقرة: ١٨٥]

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾[النساء: ٢٧]

فلو كانت هذه الإرادة كونية لما حصل العسر لأحد منا، ولو وقعت التوبة من جميع المكلفين.

وبهذا التفصيل يزول الاشتباه في مسألة الأمر والإرادة هل هما متلازمان أم لا؟

فقالت القدرية: الأمر يستلزم الإرادة واحتجوا بحجج لا تندفع.

وقالت المثبتة: الأمر لا يستلزم الإرادة واحتجوا بحجج لا تندفع.

والصواب: أن الأمر يستلزم الإرادة الدينية ولا يستلزم الإرادة الكونية؛ فإنه لا يأمر إلا بما يريده شرعا ودينا، وقد يأمر بما لا يريده كونًا وقدرًا ؛ كإيمان من أمره ولم يوفقه للإيمان مراد له دينا لا كونا، وكذلك أمر خليله بذبح ابنه ولم يرده كونا وقدرا ، وأمر رسوله بخمسين صلاة ولم يرد ذلك كونا وقدرا ، وبين هذين الأمرين وأمر من لم يؤمن بالإيمان فرق؛ فإنه سبحانه لم يحب من إبراهيم ذبح ولده؛ وإنما أحب منه عزمه على الامتثال وأن يوطن نفسه عليه، وكذلك أمره محمد ﷺ ليلة الإسراء بخمسين صلاة، وأما أمر من علم أنه لا يؤمن بالإيمان فإنه سبحانه يحب من عباده أن يؤمنوا به وبرسله؛ ولكن اقتضت حكمته أن أعان بعضهم على فعل ما أمره ووفقه له، وخذل بعضهم فلم يعنه ولم يوفقه فلم تحصل مصلحة الأمر منهم وحصلت من الأمر بالذبح. أ . هـ

فالعبد المؤمن موافق للإرادة الله الكونية القدرية والشرعية الدينية

والكافر موافق للإرادة الكونية القدرية ومخالف للإرادة الشرعية.

ومن حكمته سبحانه أن ركب في العباد إرادة، وجعل لهم عقلا، وأرسل لهم رسلا يأمروهم وينهوهم، فبإرادتهم يختارون طريق الخير والشر، وبعقولهم يميزون بين الخطأ والصواب، وبالشرع يستبصرون الطريق وتجلى لهم الحقائق، ثم وعدهم سبحانه بالجنة إن ساروا في طريق الخير وتوعدهم النار إن سلكوا

طريق الشر، وسواء فعلوا الخير أو الشر فليس هو بخارج عن إرادة الله الكونية وقدرته سبحانه وتعالى.

قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٧: ١٠]

وقال سبحانه: ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً * إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلاسِلا وَأَغْلالاً وَسَعِيراً * إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً﴾ [الإنسان: ٥٠٣].

المبحث الرابع

مسائل تتعلق بالقضاء والقدر

المسألة الأولى:

وهو ما يلتبس على البعض في حديث: لا يراد القضاء إلا الدعاء ولا يزيد في العمر إلا البر " ... الحديث رواه الترمذي والحاكم عن سلمان وحسنه الألباني فيقول قائل إذا كان الله عز وجل فرغ في قضاءه فكيف يرده الدعاء وقضاءه نافذة لا محالة ؟ وإذا كان العمر قد قدر منذ الأزل فكيف يزيد ؟

والجواب

أن الدعاء والقضاء من قدر الله والبر والعمر من قدر الله بمعنى أن الله عز وجل علم منذ الأزل أن عبده فلان سوف ينزل عليه البلاء (قضاء منه عز وجل) وسوف يدعوا في نفس اللحظة التي ينزل فيها البلاء أو قبلها فكتب الله عز وجل برد هذا البلاء بسبب هذا الدعاء، وقدره على العبد، وكذلك علم الله عز وجل أن عبده فلان عمره سيكون كذا عام وإن هذا العبد سوف يقوم بأعمال البر فكتب عنده زيادة من عمره وقدره له. وهذا الأمر لا يدعونا إلى الشك والحيرة بل يدعونا إلى الجد في الدعاء وعمل البر لعلمنا أنه يرفع البلاء

ويزيد في العمر وإن هذا كله من قدر الله وليس بخارج عنه

المسألة الثانية: أنواع القدر

الأقدار ثلاث أنواع:

النوع الأول: قدر مجبور عليه العبد لا مفر له منه

وهذا كونه أن الله عز وجل خلقه فقيرًا أو غنيًا، يتيمًا أو غير يتيم، طويلاً أو قصيرًا نحيفًا أو بدينًا من بلد كذا ومن قرية كذا، أسمر أو أبيضا، دميمًا أو جميلاً ... الخ

فهذه أقدار ليس للعبد إرادة فيها ولا يحاسبه الله عز وجل عليها يوم القيامة؛ ولكن يحاسبه على آثارها. فالفقير هل صبر على فقره وقنع به أو عارض قدر الله وتمرد ؟ والغني هل شكر وأدى حق ربه ؟ أم طغى وتجبر ؟ وهكذا

النوع الثاني: أقدار ظاهرها شر ولكن عقبتها الفلاح

المصائب والبلايا التي تنزل بالعبد ففيها الألم والأذى والعناه والشقاة ولكن إذا أسترجع العبد وصبر كانت له كفارة لخطاياه وذنوبه وربما رفعت عنه، وإذا عارض وقنط من رحمة الله ربما زيدت عليه وكانت عليه سخط من الله وعذاب.

والنوع الثالث: أقدار تدفع بأقدار

فالجوع قدر والطعام قدر فالعبد لا يصبر على قدر الجوع ولكن يدفعه بقدر الطعام، والظمأ قدر فيدفع قدر الظمأ بقدر الماء، وهكذا، فالضلال قدر والهداية قدر فلم يصبر العبد على قدر الضلال ولا يدفعه بقدر الهداية ؟!

قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءاً فَلا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾[الرعد:١١].

المسألة الثالثة: الأخذ بالأسباب

وهو مقتضى الإيمان بالقضاء والقدر؛ لأن الله عز وجل ربط الأسباب بمسبباتها، قال تعالى عن ذي القرنين: ﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً * فَأَتْبَعَ سَبَباً ﴾ [الكهف: ٨٤:٨٥]

وكذلك أمر الله عز وجل نوحًا بصناعة الفلك، ومريم بهز الجذع وموسى بضرب البحر بعصاه ومحمد ﷺ بالهجرة المدينة وهكذا ... ومن تمام التوكل الأخذ بالأسباب والتوكل من التوحيد وعدم مباشرة الأسباب قدح التوكل.

قال ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد (٤/١٥): .

" مباشرة الأسباب التي نصبها الله مقتضيات لمسبباتها قدرًا وشرعًا، وإن تعطيلها يقدح في نفس التوكل كما يقدح في الأمر والحكمة ويضعفه من حيث يظن معطلها أن تركها أقوى في التوكل، فإن تركها عجزًا ينافي التوكل الذي حقيقته اعتماد القلب على الله في حصول ما ينفع العبد في دينه ودنياه ودفع ما يضره في دينه ودنياه، ولا بد مع هذا الاعتماد من مباشرة الأسباب وإلا كان معطلاً للحكمة والشرع فلا يجعل العبد عجزه توكلاً ولا توكله عجزًا ". أ. هـ

المبحث الخامس

الاعتقادات المنحرفة في القضاء والقدر

أولاً: الجهمية أو الجبرية

بدعتهم وما يلزم منها:

وهؤلاء قالوا: إن العبد مجبور على أفعاله من غير إرادة له فهو كالريشة في مهب الريح تعصف به يمينًا وشمالا؛ لأن الله هو الخالق لأفعال خلقه، واستدلوا على ذلك بآيات منها، قوله تعالى: ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾[الأنفال: ١٧].

وقوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات:٩٦].

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير:٢٩]

وهذا قول باطل وضلال، ومن لوازم هذه المقالة:

(١) **استحلال المعاصي** بحجة أن العبد مجبور عليها ولا دخل للإنسان فيها وإليك جملة من ضلالاتهم التي وقعوا فيها:

(أ) صعد رجل يومًا على سطح دار له فرأى غلامًا له يزني بجاريته فنزل فأخذهما ليعاقبهما فقال الغلام: إن القضاء والقدر لم يدعنا حتى فعلنا ذلك فقال: لعلمك بالقضاء والقدر أحب إلي من كل شيء أنت حر لوجه الله.

(ب) رأى رجل رجلاً يزني بامرأته فبادر ليأخذه فهرب فأقبل يضرب المرأة وهي تقول: القضاء والقدر. فقال: يا عدوة الله أتزنين وتعتذرين بمثل هذا ؟ قالت: أوه تركت السنة وأخذت بمذهب بن عباس ؟! فرمى بالسوط واعتذر إليها وقال: **لولاك** لضللت.

(ج) رأى رجل آخر رجلاً يفجر بامرأته فقال ما هذا ؟

فقالت: هذا قضاء الله وقدره.

فقال الخيرة فيما قضى الله.

(د) عوتب جبري على ارتكاب معاصي الله فقال: إن كنت عاصيا لأمره فأنا مطيع لإرادته.

(هـ) قال أحدهم: ذنبة أذنبها أحب إلي من عبادة الملائكة

قيل لم ؟ قال: لعلمي بأن الله قضاها عليّ وقدرها ولم يقضيها إلا والخيرة لي فيها.

فانظر رحمك الله إلى أي درجة وصل الشيطان بهؤلاء.

(٢) تعطيل شرع الله وتكذيبه

إذ كيف يقام حد على عبد لا ذنب له في فعله ؟!

يذكر أن رجلاً جيء به لعمر بن لخطاب سارقًا لتقطع يده فقال الرجل: ما سرقت إلا بقدر الله

فقال له عمر رضي الله عنه: ونحن نقطع يدك بقدر الله.

(٣) ومما يلزم من هذا المذهب:

وصف الله عز وجل بالظلم. تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا. وذلك لأن الله أضل أقواما وهدى أقواما من غير أن تكون لهم إرادة في أفعالهم.

١ . اجتمع جماعة من الجبرية يومًا فتذكروا القدر فجرى ذكر الهدهد فقال أحدهم: كان الهدهد قدريا أضاف العمل إليهم والتزيين إلى الشيطان وجميع ذلك فعل الله.

وقيل لأحدهم: أترى الله كلف عباده مالا يستطيعون ثم يعذبهم عليه: قال والله قد فعل ذلك ولكن لا نجسر أن نتكلم.

٢ . وقرئ بحضرة أحدهم: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ﴾[صّ: ٧٥]

فقال: هو الله منعه ولو قال إبليس ذلك لكان صادقا وقد أخطأ إبليس الحجة ولو كنت حاضرا لقلت له أنت منعته.

٣. وقيل لجبري أليس هو . أي الله . يقول : ﴿ وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾[الزمر: ٧]؟

فقال: دعنا من هذا رضيه وأحبه وأراد وما أفسدنا غيره.

(٤) يلزم من قولهم التسوية: بين أهل الكفر وأهل الإيمان فكذبوا القرآن بذلك؛ لأن الله فرق فيه بين هؤلاء وهؤلاء قال تعالى: ﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [القلم: ٣٥: ٣٦]

وقال تعالى: ﴿ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ [ص:٢٨]

الرد عليهم

نحن ما سقنا بعض كلامهم أو أقولهم إلا لتكون بمثابة الرد عليهم لنكشف زيفهم وضلالهم للناس من القرآن والسنة وأقوال السلف ونزيد بعد ذلك من الردود

(١) قال تعالى: ﴿ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ* كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر: ٣٧: ٣٨]

قال الحسن البصري: ذلك أن الله تعالى جعل فيهم من القرون ما يقدمون بها يتأخرون وابتلاهم لينظر كيف يعملون أو ليبلوا أخبارهم فلو كان الأمر كما ذهب إليه المخطئون لما كانوا إليه يتقدموا ولا يتأخروا ولما كان لمتقدم أجر فيما عمل ولا على متأخر لوم فيما لم يعمل ". أ. هـ

(٢) قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الأَلْبَابِ﴾ [الزمر:١٨]

(٣) قال تعالى: ﴿ **وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً**﴾[آل عمران: ٩٧]

(٤) قال تعالى: ﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلا وُسْعَهَا﴾[البقرة: ٢٨٦]

(٥) **قال تعالى:** ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[الكهف: ٢٩]

(٦) **قال الأوزعي:** " ما أعرف للجبر أصلا في القرآن والسنة فأهاب أن أقول ذلك ولكن القضاء والقدر والخلق والجبل فهذا يعرف في القرآن والحديث عن رسول الله.

(١) **وقال الزبيدي:**" أمر الله وقدرته أعظم من أن يجبر ويقهر ولكن يقضي ويخلق ويجبل عبده على ما أحب "

(٨) **قال ابن القيم رحمه الله:** أخبرني شيخ الإسلام ابن تيميه . قدس الله روحه إنه لام بعض هذه الطائفة على محبة ما يبغض الله ورسوله فقال له الملوم: المحبة نار تحرق من القلب ما سوى مراد المحبوب وجميع ما في الكون مراده فأي شيء أبغض منه ؟ فقال له الشيخ: " إذ كان الله قد سخط على أقوام ولعنهم وغضب عليهم وذمهم فواليتهم أنت وأحببتهم وأحببت أفعالهم ورضيتها تكون مواليًا أو معاديًا له ؟

قال: فهبت الجبري ولم ينطق بكلمة " أ. هـ

ومعنى الكلام لو أجاب بمحبته لما يسخط الله ويلعن لكان عدوًا لله وناقض القرآن والسنة، ولو أجاب ببغضهم لناقض قوله وصار ولياً لله ووافق القرآن والسنة.

(٩) **الجبرية** لم يفرقوا بين الإرادة الكونية القدرية وبين الإرادة الشرعية الدينية وجعلوا الإرادتين إرادة واحدة وأن العبد محال أن يخالف إرادة الله؛ ولكن مع التفريق يتبين الخطأ وهو أن العبد سواء آمن أو كفر لا يخالف الإرادة الكونية القدرية؛ لأنه لا يقع شيء في ملك الله خارج قدرته وعلمه ولكن من الممكن أن يخالف الإرادة الدينية الشرعية ويترتب على ذلك الثواب والعقاب.

ثانيًا: القدرية (المعتزلة)

بدعتهم وما يلزم منها: .

وهؤلاء يقولون: لا قدر، وأن الإنسان له قدرة وبها تقع تلك الأفعال، وأن الاستطاعة التي يكون بها الفعل هي قبل الفعل موجودة في الإنسان، وأن العبد قادر خالق لأفعاله خيرها وشرها، مستحقًا على ما يفعله ثوابًا وعقابًا في الدار الآخرة، والرب تعالى منزه أن يضاف إليه شر وظلم وفعل كفر ومعصية؛ لأنه لو خلق الظلم كان ظالما كما لو خلق العدل كان عادلا.

وما يلزم من هذا القول من الضلال أمور:

(١) جعل خالقين للكون، الله خالق العباد والعباد خالقون لأفعالهم وبذلك ناقضوا القرآن والسنة،

قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات:٩٦]

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[الزمر: ٦٢] وأعمال العباد داخلة في هذا العموم، وهم بقولهم هذا تشبهوا بالمجوس في إثباتهم أن للكون خالقين.

(٢) نفي قدرة الله في هداية العباد وإضلالهم وهذا أيضًا مناقض للقرآن.

قال تعالى: ﴿ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مُرْشِداً﴾ [الكهف: ١٧].

وقال تعالى: ﴿ مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأعراف:١٨٦].

وقال تعالى: ﴿ مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[الأنعام: ٣٩].

وقال تعالى: ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

ويلزم من قولهم هذا: أن الله عز وجل يقع في ملكه ما لا يشاء . تعالى الله عن ذلك علوا كبيرًا ..

(٢) نَفُوا أن يكون لله على العبد نعمة، فالعبد هو الرازق لنفسه وهو الذي يخلق فعله وهو الذي يحدد لنفسه الشقاوة والسعادة، حتى إن كبيرهم وهو عمرو بن عبيد سمع حديث بن مسعود في مراحل التخليق في الرحم وكتابة

المقادير، فقال: لو سمعت الأعمش يرويه لكذبته ولو سمعته من زيد بن وهب لما أحببته ولو سمعته من ابن مسعود لما قبلته ولو سمعته من رسول الله ﷺ لرددته ولو سمعت الله يقول هذا لقلت ما على هذا أخذت علينا الميثاق **وهذا من أقبح الكفر والضلال.**

(٣) كبارهم أنكروا علم الله الأزلي، وبعضهم أنكروا علم الله بالجزيئات ولذلك حَكَمَ بكفرهم علماء الأمة منهم القرطبي والنووي وابن حجر والسفاريني.

(ب) ما ورد في ذمهم وإنكار بدعتهم:

(١) روى الحاكم (٩٣) الطبراني في معجمه الكبير (١٢٧٦٤) عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: (إن أمر هذه الأمة لا يزال مقاربًا حتى يتكلموا في الولدان وفي القدر). وصححه الألباني.

(٢) وروى الطبراني في الأوسط (٥٩٠٩) عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: (أخر الكلام في القدر لشرار أمتي) وحسنه الألباني.

(٣) وروى أبو داود (٤٦٩١) وحسنة الألباني عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ:(قَالَ الْقَدَرِيَّةُ مَجُوسُ هَذِهِ الأُمَّةِ إِنْ مَرِضُوا فَلا تَعُودُوهُمْ وَإِنْ مَاتُوا فَلا تَشْهَدُوهُمْ)

(٤) وروى مسلم في صحيحه (٤٧٩٠) عَنْ أَبِي الأَسْوَدِ الدِّيلِيِّ قَالَ: قَالَ لِي عِمْرَانُ بْنُ الْحُصَيْنِ أَرَأَيْتَ مَا يَعْمَلُ النَّاسُ الْيَوْمَ وَيَكْدَحُونَ فِيهِ أَشَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ وَمَضَى عَلَيْهِمْ مِنْ قَدَرِ مَا سَبَقَ أَوْ فِيمَا يُسْتَقْبَلُونَ بِهِ مِمَّا أَتَاهُمْ بِهِ نَبِيُّهُمْ وَثَبَتَتْ الْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ ؟

فَقُلْتُ: بَلْ شَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ وَمَضَى عَلَيْهِمْ

قَالَ: فَقَالَ: أَفَلا يَكُونُ ظُلْمًا ؟

قَالَ: فَفَزِعْتُ مِنْ ذَلِكَ فَزَعًا شَدِيدًا، وَقُلْتُ: كُلُّ شَيْءٍ خَلْقُ اللَّهِ وَمِلْكُ يَدِهِ فَلا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ.

فَقَالَ لِي: يَرْحَمُكَ اللَّهُ إِنِّي لَمْ أُرِدْ بِمَا سَأَلْتُكَ إِلا لأَحْزِرَ عَقْلَكَ إِنَّ رَجُلَيْنِ مِنْ مُزَيْنَةَ أَتَيَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَال: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ مَا يَعْمَلُ النَّاسُ الْيَوْمَ وَيَكْدَحُونَ فِيهِ أَشَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ وَمَضَى فِيهِمْ مِنْ قَدَرٍ قَدْ سَبَقَ أَوْ فِيمَا يُسْتَقْبَلُونَ بِهِ مِمَّا أَتَاهُمْ بِهِ نَبِيُّهُمْ وَثَبَتَتْ الْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ ؟

فَقَالَ: لا بَلْ شَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ وَمَضَى فِيهِمْ وَتَصْدِيقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ " وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا "

(ج) محاورات تبين فساد قولهم

١ . ذكر عمر بن الهيثم فقال: خرجنا في سفينة وصحبنا فيها قدرى ومجوسي، فقال القدري للمجوسي: أسلم

فقال المجوسي: حتى يريد الله

فقال القدري: إن الله يريد ولكن الشيطان لا يريد

قال المجوسي: أرد الله وأراد الشيطان فكان ما أراده "

وفي رواية " أنه قال: أنا مع أقواهما ".

٢ . يذكر أهل العلم أن إعرابيا أتى عمر بن عبيد فقال: إن ناقتي قد سرقت فادع الله أن يردها على

قال عمر بن عبيد: اللهم إن ناقة هذا الفقير سرقت ولم ترد سرقتها اللهم أردها عليه

فقال الأعرابي: الآن ذهبت ناقتي وآيست منها

قال: وكيف ؟

قال: لأن الله أراد أن تسرق فسرقت؛ لم آمن أن يريد رجوعها فلا ترجع ونهض من عنده منصرفا.

٣ . دخل عبد الجبار الهمداني أحد شيوخ المعتزلة على الصاحب بن عباد وعنده أبو إسحاق الأسفراييني أحد أئمة السنة فلما رأى الأستاذ قال: سبحان من تنزه على الفحشاء

فقال الأستاذ فورا: سبحان من لا يقع في ملكه إلا ما يشاء.

فقال القاضي عبد الجبار: أيشاء ربنا أن يعصي ؟!

فقال الأستاذ: أيعصي ربنا قهرا ؟

فقال القاضي: أرأيت إن منعني الهدى وقضى على بالردى أحسن إلى أم أساء ؟

فقال الأستاذ: إن منعك ما هو لك فقد أساء وإن منعك ما هو له فهو يختص برحمته من يشاء. فبهت القاضي.

٤ . قال أبوجعفر الخطمي: شهدت عمر بن عبد العزيز وقد دعا غيلان لشيء فقال له: ويحك يا غيلان ما هذا الذي بلغني عنك ؟

قال: يُكذب علي يا أمير المؤمنين ويقال علي ما لا أقول.

قال: ما تقول في العلم ؟

فقال: نفد العلم

قال: أنت مخصوم إذهب الآن فقل ما شئت يا غيلان إنك إن أقررت بالعلم خُصمت، وإن جحدته كفرت وإنك إن تقر به فتخصم خير لك من أن تجحد فتكفر. ثم قال له: أتقرأ (يس) ؟

فقال:نعم

قال: فقرأ ﴿ يس * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ إلى قوله تعالى . . . ﴿ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾

قال: قف كيف ترى ؟

قال: كأني لم أقرأ هذه الآية يا أمير المؤمنين.

قال: زد

فقرأ ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلالاً فَهِيَ إِلَى الأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ * وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدّاً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدّاً فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ * وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ [يّس:٧-١٠]

قال: كيف ترى ؟

قال: كأني لم أقرأ هذه الآيات قط وإني أعاهد الله أن لا أتكلم في شيء مما كنت أتكلم فيه أبدًا

قال: اذهب، فلما ولى قال: اللهم إن كان كاذبا فيما قال فأذقه حر السلاح قال: فلم يتكلم زمن عمر، فلما كان يزيد بن عبد الملك كان رجلا لا يهتم بهذا ولا ينظر فيه، قال: فتكلم غيلان فلما ولي هشام أرسل إليه فقال له: ألست كنت قد عهدت الله لعمر ألا تتكلم في شيء من هذا أبدًا؟

قال: أقلني فوا الله لا أعود

قال: لا أقالني الله إن أقلتك هل تقرا فاتحة الكتاب ؟

قال: نعم

قال: اقرأ: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

فقرأ: (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: ٢-٥].

قال: قف على ما استعنته ؟ على أمر بيده لا تطيقه أو على أمر في يدك أو بيديك إذهبا فاقطعا يديه ورجليه واضربا عنقه واصلباه.

ثالثًا: الأشاعرة:

وهي فرقة كلامية خالفت أهل السنة في بعض الأصول كالصفات والنبوات والقدر والإيمان ولكن بشهادة المنصفين من أهل العلم أنهم أقرب إلى أهل السنة من باقي الفرق.

أما قولهم في القدر فهم يرون أن الإنسان له قدرة قد كتبت فيه ولكن لا تأثير لهذه القدرة في أفعاله مع خلق الله تعالى لها وليس للإنسان غير اكتسابها؛ أي أن الفاعل الحقيقي هو الله وهذا القول يرجع إلى مذهب الجبر مع بعض التطورات التي أحدثت فيه بما يقارب مذهب أهل السنة ولكنه بعيد لأن الإنسان بهذه الصورة هو مجبر في صورة مختار.

والرد عليهم مثلما رد على أهل الجبر

رابعًا: عوام الناس وجهالهم

وهم يسيرون على إطارين . الجبرية والقدرية . وذلك أن أحدهم إذا فعل ذنبًا وأصر عليه وأنكرت عليه احتج بالقدر وأن هذه مشيئة الله وإرادته وهذا في الحقيقة مذهب المشركين قال تعالى مخبرًا عنهم: ﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ

قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلا تَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام:١٤٨]

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ * قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف:٢٩،٢٨].

فليس للعبد أن يحتج بالقدر على معاصي الله لأنه لا يلبث أن يناقض ذلك في حياته، مثال: فلو كان عنده دكان وجعل فيه عاملا ورآه يسرق منه أيتركه ويحتج بالقدر أم يعاقبه على ما فعل ؟ فإن تركه سرق كل دكانه وصار بتركه له سفيهًا وإن عاقبه ناقض قوله وعمله.

أما كونهم يميلون للقدرية: .

فإن أحدهم لو جمع مالا أو نجح في تجارة أو في شيء ما بعد جد وعناء لقال الناس: إنما فعلت ذلك بذكائي وقدرتي وخبرتي وجهدي وعملي وهذا مذهب قارون عليه لعنة الله حيث قال في ماله: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾[القصص:٧٨]

فخلاصة الأمر في القضاء والقدر أن الناس على ثلاثة أصناف قدرية وجبرية وأهل سنة ونسأل الله تعالى أن يحيينا على السنة ويحشرنا في زمرة أهلها وأن يجنبا البدع ومصير أهلها يا رب العالمين.

وبعد فهذا مختصر لطيف أردت من ورائه أن يهدي الله عز وجل به رجلا واحدًا فيكون لنا حجة يوم القيامة، فإن وقفت فيه فهذا من فضل ربي عليَّ وعلى المؤمنين وإن أخطأت في شيء فهو من نفسي المقصرة والشيطان ورحم الله امرءً أهدى إليَّ عيوبي وأسأله سبحانه هداية الطريق والثبات عليه يوم نلقاه إنه ولى ذلك والقادر عليه وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وسلم والحمد لله رب العالمين.

من مراجع الكتاب

أولاً: القرآن الكريم

١ . تفسير ابن جرير الطبري

٢ . تفسير القرطبي.

٢ . تفسير ابن كثير.

ثانيًا: مراجع الحديث وشروحه

١ . سنن أبى داود.

٢ . سنن النسائي بحاشية السندي.

٣ . سنن الترمذي / تحقيق أحمد شاكر.

٤ . سنن ابن ماجة / ترتيب محمد فؤاد عبد الباقي.

٥ . السنة لابن أبي عاصم / تخريج وتحقيق الألباني.

٦ . مسند الإمام أحمد / تحقيق أحمد شاكر، وحمزة الزيني

٦ . السنة لعبد الله بن الأمام أحمد.

٧ . مستدرك الحاكم

٨ . مسند أبي يعلى الموصلي

٩ . صحيح ابن حبان

١٠ . سلسة الأحاديث الصحيحة / محمد ناصر الدين الألباني.

١١ . فتح الباري شرح صحيح البخاري / الحافظ بن حجر العسقلاني.
١٢ . شرح صحيح مسلم / الإمام النووي.
١٣. صحيح مسلم / بترتيب محمد فؤاد عبد الباقي.
١٤ . مختصر صحيح البخاري للزبيدي.
١٥ . صحيح الجامع الصغير وزيادة للألباني.
١٦ . ضعيف الجامع الصغير للألباني.
١٧ . مشكاة المصابيح للتبريزي / تحقيق الألباني.
١٨ . رياض الصالحين للنووي.
١٩ . الترغيب والترهيب للإمام المنذري.
٢٠ . إرواء الغليل / الألباني.
٢١ . تقريب التهذيب للحافظ بن حجر / تحقيق محمد عوامة.
٢٢ . المغنى في الضعفاء للذهبي / تحقيق نور الدين عتر.
٢٣ . الضعفاء الكبير للعقيلي / تحقيق عبد المعطي أمين قلعجي.
١٤ . الجرح والتعديل / ابن أبي حاتم الرازي
٢٥ . مجموع الضعفاء للسيرواني.
٢٦ . ميزان الاعتدال للحافظ الذهبي

ثالثًا: مراجع العقيدة

١ . مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية.

٢ . فتح المجيد شرح كتاب التوحيد / عبد الرحمن حسن آل الشيخ.
٣ . مدارج السالكين / ابن قيم الجوزية.
٤ . اجتماع الجيوش الإسلامية / ابن قيم الجوزية.
٥ . التوحيد للحافظ ابن خزيمة.
٦ . الإيمان الأوسط لابن تيمية بتحقيق المؤلف.
٧ . عقيدة السلف أصحاب الحديث للإمام الصابوني.
٨ . الإيمان لأبي عبيد القاسم بن سلام.
٩ . الإيمان لإبن أبي شيبة / تحقيق الألباني.
١٠. الأسماء والصفات للإمام البيهقي.
١١ . شفاء العليل / ابن قيم الجوزية.
١٢ . القضاء والقدر البيهقي.
١٣ . شرح العقيدة الطحاوية / ابن أبي العز الحنفي / تحقيق الألباني
١٤ . خلق أفعال العباد للإمام البخاري.
١٥ . الروح / ابن قيم الجوزية.
١٦ . معنى لا إله إلا الله للزركشي.
١٧ . تحقيق كلمة الإخلاص / ابن رجب الحنبلي / تحقيق الألباني
١٨ . التخويف من النار لابن رجب الحنبلي.
١٩ . الأصول الثلاثة / محمد بن عبد الوهاب.

٢٠ . معنى لا إله إلا الله / للشيخ عبد العزيز بن باز.
٢١ . الدرر البهية بشرح القصيدة التائية / عبد الرحمن بن ناصر السعدي
٢٢ . تقريب التدميرية / الشيخ ابن عثيمين.
٢٣ . شرح أصول الإيمان / الشيخ ابن عثيمين.
٢٤ . عقيدة أهل السنة والجماعة / ابن عثيمين.
٢٥ . التوسل أنواعه وأحكامه / الألباني.
٢٦ . التوحيد لابن فوزان.
٢٧ . عقيدة المؤمن / أبو بكر الجزائري
٢٨ . الجامع الصحيح في القدر / مقبل بن هادي الوادعي
٢٩ . القضاء والقدر / أبو الوفا درويش.
٣٠ . عالم الجن والشياطين / عمر سليمان الأشقر.
٣١ . لوامع الأنوار البهية للسفاريني.
٣٢ . القضاء والقدر / عمر سليمان الأشقر
٣٣ . الرسل والرسالات / عمر سليمان الأشقر
٣٤ . القيامة الصغرى / عمر سليمان الأشقر
٣٥ . القيامة الكبرى / عمر سليمان الأشقر
٣٦ . الجنة والنار / عمر سليمان الأشقر
٣٧ . العقيدة الإسلامية وأسسها / عبد الرحمن حسن حنبكة

٣٨ . القضاء والقدر / عبد السلام التونجي
٣٩ . الإيمان بالرسل والرسالات / عبد السلام التونجي
٤٠ . الإيمان وحقيقته عند السلف المؤلف
٤١ . إيماننا الحق بين النظر والدليل / إبراهيم النعمة
٤٢ . الثمرات الزكية في العقائد السلفية / أحمد بن فريد
٤٣ . مختصر معارج القبور لابن حكمي / اختصره هشام عقدة
٤٤ . الطريق إلى الجنة
٤٥ . شرح نواقض الإيمان / سليمان بن ناصر العلوان
٤٦ . مقالات الإسلاميين / أبو الحسن الأشعري
٤٧ . الجداول الجامعة في العلوم النافعة / جاسم المهلهل
٤٨ . كتاب النبوات / شيخ الإسلام ابن تيميه
٤٩ . التوحيد / الشيخ بن عثيمين
٥٠ . فضل الغنى الحميد / ياسر برهامي
٥١ . الإيمان محمد نعيم ياسين
٥٢ . شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين
٥٣ . العقيدة في الله لعمر سليمان الأشقر
٥٤ . خطأ في التفسير / وحيد الدين خان
٥٥ . هذه هي الصوفية / عبد الرحمن الوكيل

٥٦ . عقيدة السلف أصحاب الحديث / للإمام أبي عثمان الصابوني
٥٧ . اعتقاد أئمة الحديث للإسماعيلي
٥٨ . الرسالة الإكميلية / ابن تيمية
٥٩ . مختصر الصواعق المرسلة / ابن قيم الجوزية
٦٠ . القواعد المثلى / ابن عثميين
٦١ . صفة العلو / الحافظ الذهبي
٦٢ . التحفة المدنية في العقيدة السلفية / حمد بن ناصر آل عمر
٦٣ . تلبيس إبليس / أبو الفرج ابن الجوزي
٦٤ . الفصل في الملل والنحل / ابن حزم
٦٥ . الملل والنحل / للشهرستاني
٦٦ . درأ تعارض العقل والنقل / ابن تيمية
٦٧ . الدرر السنية في الأجوبة النجدية
٦٨ . القول المفيد على كتاب التوحيد / ابن عثيميين
٦٩ . إظهار الحق / رحمة الله الهندي
٧٠ . عالم السحر والشعوذة / عمر سليمان الأشقر
٧١ . معارج القبول / حافظ أحمد حكمي
٧٢ . فيض الرحمن ببيان الأعمال وعلاقتها بالإيمان / للمؤلف

رابعًا: مراجع السيرة واللغة

١ . البداية والنهاية / ابن كثير
٢ . زاد المعاد لابن قيم الجوزية
٣ . لسان العرب / ابن منظور
٤ . مختار الصحاح للرازي
٥ . مختار القاموس / طاهر أحمد الزواوي

فهرس الكتاب

تقديم ٣
مقدمة الطبعة الأولى..... ٥
الفصل الأول: أسس العقيدة ٩
أولاً: معنى العقيدة لغة وشرعا ٩
أقسام العقيدة ٩
ثانيًا: أسس العقيدة ١٠
الفصل الثاني: الإيمان ١١
أولاً: معناه لغة وشرعا ١١
ثانيًا: تفصيل معنى الإيمان ١٢
ثالثا: معنى الإيمان عند الفرق والمنحرفة عن منهج ال..... ١٣
رابعًا: الفرق بينهم وبين السلف ١٤
تنبيه: أعمال القلوب ١٦
خامسًا: الإيمان عند السلف على ثلاث درجا..... ٢٠
سادسًا: الأدلة على زيادة الإيمان ونقصانه عند السلف ٢٢
سابعًا: تفاضل أهل الإيمان ٢٥
ثامنًا: الاستثناء في الإيمان ٢٦

تاسعًا: نواقض الإيمان ٢٨
عاشرًا: قواعد وأمور مهمة للمسلم في مسألة التكفير ٤٣
الفصل الثالث: توحيد الربوبية ٤٧
معنى التوحيد لغة وشرعا ٤٧
أقسام التوحيد ٤٧
توحيد الربوبية ٤٨
أولاً: معناه لغة وشرعا ٤٨
ثانيًا: الذين أنكروا توحيد الربوبية ٥٠
ثالثًا: الذين أقروا بتوحيد الربوبية ٥٢
رابعًا: الذين أشركوا في توحيد الربوبية ٥٢
خامسًا: الأدلة على إقرار المشركين بتوحيد الربوبية ٥٤
سادسًا: توحيد الربوبية لا يكف في الدخول في الإسلام ٥٤
سابعً: مظاهر الشرك في الربوبية ٥٥
الفصل الرابع: توحيد الأسماء والصفات ٥٦
المبحث الأول: منهج أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات..... ٥٦
توضيح معنى التأويل والتكييف والتحريف إلخ..... ٦٢
المبحث الثاني: أقسام الصفات ٦٨

المبحث الثالث: صفات وقع فيها الخلاف ٧١
صفة العلو والإستواء..... ٧١
صفة الكلام ٧٦
رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة ٨١
المبحث الرابع: أسماء الله الحسنى ٨٤
المبحث الخامس: قواعد مهمة في فهم الأسماء والصفات .. ٣٦
المبحث السادس: الفرق التي انحرفت في فهم الأسماء والصفات عن منهج السلف ١٠٧
١ ـ أهل التعطيل ١٠٧
الجهمية والرد عليهم ١٠٧
المعتزلة والرد عليهم ١٠٩
(ج) الأشاعرة والماتردية ١١١
٢ ـ أهل التشبيه ١١١
٣ ـ أهل التفويض ١١٢
الفصل الخامس: توحيد الألوهية ١١٣
أولاً: معنى الألوهية ١١٣
ثانيًا: معنى توحيد الألوهية ١١٥
ثالثًا: الله وحده هو المستحق بالعبادة ١١٥

رابعًا: العبادة هي الغاية التي من أجلها خلق الله الخلق ومن أجلها بعث الرسل ١١٨
خامسًا: معنى العبادة وأقسامها ١٢٢
العبادة في اللغة والشرع ١٢٢
أقسام العبادة ١٢٣
القسم الأول: عبادات قلبية ومنها ١٢٣
١ . الخوف. ١٢٣
٢ . المحبة ١٢٥
٣ . التوكل ١٢٨
٤ . الخشية ١٢٩
٥ . الصبر ١٣٠
٦ . الرغبة والرهبة والخشوع ١٣٠
٧ . الإنابة ١٣١
٨ . الاستعانة ١٣١
٩ . الرجاء ١٣١
١٠ . الإخلاص ١٣١
القسم الثاني: عبادات قولية منها: ١٣١
١ . الدعاء ١٣١

٢ . الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ... ١٣٣
٣ . الذكر ١٣٣
٤ . الاستعاذة ١٣٤
القسم الثالث: عبادات بدنية ١٣٥
القسم الرابع: عبادات مالية ١٣٧
سادسًا شروط صحة العبادة وقبولها ١٣٨
سابعًا: معنى لا إله إلا الله محمد رسول الله ١٤٥
معنى لا إله إلا الله ١٤٥
(ب) فضل لا إله إلا الله ١٤٦
شروط لا إله إلا الله ١٥٢
(ج) معنى محمد رسول الله ١٥٢
الفصل السادس: قضايا مهمة في التوحيد ١٥٤
المبحث الأول: الشرك ١٥٤
أولاً: تعريفه (أ) لغة (ب) شرعًا .. ١٥٤ثانيا:
الميثاق الذي أخذه الله على نبي آدم وهمك في ظهر أبيه ١٥٤
ثالثا: أول حدوث الشرك ١٥٥
رابعا: أقسام الشرك ١٥٨
١ . الشرك الأكبر وأنواعه ١٥٨

النوع الأول: شرك الدعاء ١٥٩
النوع الثاني شرك المحبة ١٦٠
النوع الثالث: شرك الطاعة ١٦٢
٢ ـ الشرك الأصغر ١٦٥
أنواعه ١٦٥
خامسا: الفرق بين الشرك الأكبر والشرك الأصغر ١٦٦
سادسا: صور أخرى من ١٦٧
المبحث الثاني التوسل ١٦٨
أولا: ـ معناه لغة وشرعا ١٦٨
ثانيًا: أقسام التوسل ١٦٩
القسم الأول: المشروع وأنواعه ١٦٩
التوسل الممنوع وأنواعه ١٧٤
المبحث الثالث: الشفاعة ١٧٧
أولاً: ـ تعريف الشفاعة ١٧٧
ثانيًا: أنواع الشفاعة ١٧٧
النوع الأول: شفاعة الدنيا ١٧٧
النوع الثاني: شفاعة الآخرة ١٧٨
أقسامها ١٧٩

شروطها ١٨٢
الفصل السابع: الإيمان بالغيب ١٨٣
أولاً: تعريف الغيب والشهادة ١٨٣
ثانيًا: الإيمان بالغيب ١٨٣
ثالثًا: ينقسم العالم إلي قسمين ١٨٤
١ ـ عالم الغيب ١٨٤
٢ ـ عالم الشهادة ١٨٤
لا يعلم الغيب إلا الله ١٨٦
رابعًا: أنواع الغيب التي يجب الإيمان بها ١٨٦
الفصل الثامن: الإيمان بالملائكة ١٨٧
أولاً: تعريف الملائكة لغة وشرعا ١٨٧
ثانيًا: مادة خلقهم ١٨٧
ثالثًا: وجوب الإيمان بهم ١٨٨
رابعًا: من ي كفر بالملائكة أو بواحد منهم معلوم فهو كافر ١٨٨
خامسًا: من أسماء الملائكة ١٨٨
سادسًا: من صفاتهم ١٨٩
سابعًا: من صفاتهم الخليفة وقدراتهم التي وهبهم الله إياها ١٩٠
ثامنًا: علاقتهم بالمؤمنين ١٩٢

تاسعًا: علاقتهم بالكافرين الفجار ١٩٣
عاشرًا: عددهم ١٩٣
حادي عشر: أعمالهم ١٩٣
ثاني عشر: عقيدة الناس في الملائكة ١٩٧
الفصل التاسع: الإيمان بالجن والشياطين ١٩٩
أولاً: تعريف الجن والشياطين لغة وشرعا ١٩٩
ثانيًا: مادة خلقهم ٢٠٠
ثالثًا: عدم رؤية بني آدم لهم على الغالب ٢٠٠
رابعاً: وجوب الإيمان بهم وأنهم خلقوا قبل البشر ٢٠٠
خامسًا: منهم المؤمنين ومنهم الكافرين العصاة ٢٠١
سادسًا: هم مكلفون بالعباد مثل البشر ٢٠١
سابعاً: المؤمن منهم يدخل الجنة والكافر يدخل النار ٢٠١
ثامنًا: يأكلون ويشربون ٢٠٢
تاسعاً: يتزاوجون ويتوالدون ٢٠٢
عاشرًا: قدرتهم ٢٠٢
حادي عشر: أصنافهم ٢٠٤
ثاني عشر: مساكنهم ٢٠٤
ثالث عشر: إيذاؤهم للناس ٢٠٤

رابع عشر:عقيدة الناس في الجن والشياطين ٢٠٥
خامس عشر: بني آدم أفضل وأكرم من الجن ٢٠٦
سادس عشر: الجن لا يعلم الغيب ٢٠٦
سابع عشر: من أساليب الشيطان في إضلال بني آدم ٢٠٧
ثامن عشر: حبائل الشيطان التي يصيد بها بني آدم ٢٠٨
تاسع عشر: من طرق التحصن من الشيطان ٢٠٨
الفصل العاشر: الإيمان بالكتب ٢٠٩
أولا: تعريف الكتب لغة وشرعا ٢٠٩
ثانيًا: وجوب الإيمان بالكتب السماوية ٢٠٩
ثالثًا: أنواع الكتب يجب الإيمان بها ٢١٠
رابعًا: ما يجب على المؤمن في اعتقاده لهذه الكتب ٢١٢
خامسًا: التحريف الذي أدخل على الكتب السابقة .....
٢١٤سادسًا: عقيدة أهل الضلال في الكتب السماوية وخاصة القرآن٢١٩
الفصل الحادي عشر: الإيمان بالأنبياء والرسل ٢٢١
أولا: تعريف النبي والرسول لغة وشرعا ٢٢١
ثانيًا: الفرق بين النبي والرسول ٢٢٢
ثالثًا: الإيمان بالأنبياء والرسل ٢٢٥
رابعًا: ما يجب على المؤمن تجاه الأنبياء والرسل ٢٢٥

خامسًا: عدد الأنبياء والرسل ٢٢٦
سادسًا: مهمة الرسل ٢٢٦
سابعًا: من صفات الأنبياء والرسل ٢٢٩
(I) صفات يشتركون فيها مع باقي البشر ٢٢٩
(II) خصائص أختص بها الأنبياء والرسل من سائر البشر.. ٢٣١
ثامنًا: أمور تتعلق بالمؤمن اتجاه الرسل ٢٣٤
تاسعًا: المعجزة . الكرامة ٢٣٦
(١) معنى المعجزة لغة وشرعا ٢٣٦
(٢) معنى الكرامة لغة وشرعا ٢٣٦
(٣) أنواع الخوارق للعادة ٢٣٦
(٤) الفرق بين المعجزة والكرامة ٢٣٨
(٥) أحوال صاحب الكرامة ٢٣٩
عاشرًا: الولاية ٢٣٩
١ . تعريف الولي لغة وشرعا ٢٣٩
٢ . أقسام الولاية ٢٣٩
(I) أولياء الرحمن ٢٣٩
(II) أولياء الشيطان ٢٤٠
٣ . مراتب أولياء الرحمن ٢٤٠

٤ . ما يجب على المؤمن تجاه الأولياء ٢٤١
حادي عشر: اعتقاد أهل الضلال في الأنبياء والرسل والأول. ٢٤٣
الفصل الثاني عشر: الإيمان باليوم الآخر ٢٤٥
المبحث الأول: أدلة وجوب الإيمان باليوم الآخر ٢٤٥
المبحث الثاني: أحداث ما قبل يوم القيامة ٢٥٠
المطلب الأول: الموت ٢٥٠
أولاً: معنى الموت لغة وشرعًا ٢٥١
ثانيًا: النوم موت أصغر ٢٥١
ثالثًا: الموت والفناء لأزمان الخلق ٢٥١
رابعًا: وقت الموت من الغيب الذي استأثر الله بعلمه ٢٥١
خامسًا: للموت سكرات ٢٥٢
سادسًا: حالة الاحتضار وحضور الملائكة ٢٥٢
سابعًا: علامات حسن الخاتمة ٢٥٤
ثامنًا: من أسباب سوء الخاتمة ٢٥٤
المطلب الثاني: الروح ٢٥٥
أولاً: معناها ٢٥٥
ثانيًا: الروح مسكنها كل الجسد ٢٥٦
ثالثًا: الروح مخلوقة ٢٥٧

رابعًا: الروح لا يعلمها إلا خالقها ٢٥٧
المطلب الثالث: حياة البرزخ ٢٥٨
أولاً: معنى البرزخ لغة وشرعًا ٢٥٨
ثانيًا: القبر ٢٥٨
١ . هو أول منازل الآخرة ٢٥٨
٢ . ظلمته وضمته ٢٥٩
٣ . فتنة القبر وسؤال الملكان وعذاب القبر ونعيمه ٢٥٩
٤ . الذين أنكروا عذاب القبر ونعيمه ٢٦٣
المطلب الرابع: من أشراط الساعة ٢٦٤
أولاً: وقت الساعة ٢٦٤
ثانيًا: أشراط الساعة الصغرى التي وقعت وانقضت ٢٦٥
ثالثًا: أشراط الساعة الصغرى التي وقعت وتكررت والتي قد تتكرر ٢٦٥
رابعًا: العلامات الصغرى التي لم تقع ٢٧٢
خامسًا: علامات الساعة الكبرى ٢٧٦
المبحث الثالث: من أحداث يوم القيامة ٢٨٨
المطلب الأول: التعريف بيوم القيامة وأسمائه ٢٨٨
المطلب الثاني إفناء الأحياء والنفخ في الصور ٢٩٠

المطلب الثالث: البعث والنشور ٢٩٢
أولاً: المراد بالبعث ٢٩٢
ثانيًا: أول من تنشق عنه الأرض ٢٩٢
ثالثًا: جميع الخلائق تحشر يوم القيامة ٢٩٢
رابعًا: صفة العباد في الحشر ٢٩٣
خامسًا: أرض المحشر ووصفها ٢٩٣
سادسًا: اعتقاد أهل الضلال في البعث ٢٩٦
المطلب الرابع: أهم أحداث في يوم القيامة ٢٩٧
١ . اللقاء ٢٩٧
٢ . العرض والحساب ٢٩٨
٣ . المجيء بالكتاب والأشهاد والأعضاء والجوارح ٢٩٩
٤ . نشر صحائف الأعمال وأخذها باليمين والشمال ٣٠٠
٥ . الميزان ٣٠١
٦ . الصراط ٣٠١
٧ . الشفاعة ٣٠٢
٨ . الحوض ٣٠٤
المبحث الرابع: ما بعد يوم القيامة ٣٠٥
المطلب الأول: الجنة ٣٠٦

١ . أول البشر دخولا ٣٠٦
٢ . الذين يدخلون الجنة بغير حساب ٣٠٧
٣ . آخر من يدخل الجنة..خ..... ٣٠٧
٤ . خلود الجنة ٣٠٨
٥ . أبواب الجنة ثمانية ٣٠٨
٦ . أنهار الجنة ٣٠٨
٧ . طعام ونعيم أهل الجنة ٣٠٨
٨ . رؤية المؤمنين ربهم في الجنة ٣٠٩
٩ . الحور العين ٣٠٩
المطلب الثاني: النار ٣١٠
١ . وقودها ٣١٠
٢ . أبواب النار ٣١٠
٣ . شدة حرها وعظيم شرارها ٣١٠
٤ . النار خالدة لا تبيد ٣١١
٥ . النار لها دركات ودرجات ٣١٢
٦ . عمق جهنم وسعتها ٣١٢
٧ . طعام أهل النار ٣١٥
٨ . عظم أهل النار ٣١٥

٩ . عقيدة أهل الضلال في النار وأهلها ٣١٦
١٠ . قول ابن تيميه وابن القيم في فناء النار وبقائها. ٣١٦
الفصل الثالث عشر: الإيمان بالقضاء والقدر ٣١٧
المبحث الأول: معنى القضاء والقدر ٣١٧
أولاً: معنى القضاء ٣١٧
ثانيًا: معنى القدر..... ٣١٨
ثالثا: المعنى الاصطلاحي للقضاء والقدر ٣٢٠
رابعًا: وجوب الإيمان بالقضاء والقدر ٣٢٠
المبحث الثاني: مراتب الإيمان بالقضاء والقدر ٣٢٢
المرتبة الأولى: الإيمان بعلم الله الأزلي ٣٢٢
المرتبة الثانية: الإيمان بكتابة المقادير ٣٢٣
المرتبة الثالثة: الإيمان بمشيئة الله النافذة ٣٢٦
المرتبة الرابعة: مرتبة الخلق ٣٢٦
المبحث الثالث: الفرق بين الإرادة الكونية والشرعية ٣٢٧
المبحث الرابع: مسائل تتعلق بالقضاء والقدر ٣٣٢
المسألة الأولى: لا يرد القضاء إلا الدعاء ٣٣٢
المسألة الثانية: أنواع القدر ٣٣٣
المسألة الثالثة: الأخذ بالأسباب ٣٣٤

المبحث الخامس: الاعتقادات المنحرفة في القضاء والقدر ٠ ٣٣٥
أولاً: الجهمية ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ ٣٣٥
الرد عليهم ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ ٣٣٧
ثانيًا: القدرية ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ ٣٤٠
(أ) بدعتهم ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ ٣٤٠
(ب) ما ورد في ذمهم وذم بدعتهم ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ ٣٤١
(ج) محاورات تبين فساد قولهم وبدعتهم ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ ٣٤٣
ثالثًا: الأشاعرة ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ ٣٤٦
رابعًا: عوام الناس وجهالهم ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ ٣٤٦
مراجع البحث ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ ٣٤٨
الفهرس ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ ٣٥٤

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٩٥/٧١٣١

الترقيم الدولي ISBM –55 –55671

دولي: ٩٧٧